أبو بكر الصديق رضي الله عنه

أفضل الصحابة وأحقهم بالخلافة

جمعه ورتبه

فضيلة الشيخ محمد بن عبد الرحمن ابن قاسم رحمه الله

(١٣٤٥ - ١٤٢١هـ)

من منهاج السنة النبوية لشيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه

(٦٦١ - ٧٢٨هـ)

حققه ابنه

د. عبد المحسن بن محمد القاسم

إمام وخطيب المسجد النبوي الشريف

أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ

أَفْضَلُ الصَّحَابَةِ وَأَحَقُّهُمْ بِالْخِلَافَةِ

ⓗ عبد المحسن بن محمد القاسم، ١٤٤٥هـ.

القاسم، محمد بن عبد الرحمن
أبو بكر الصديق أفضل الصحابة وأحقهم بالخلافة. / محمد بن عبد الرحمن القاسم
- ط١ . . - المدينة المنورة، ١٤٤٥هـ
٣٦٣ص؛ ١٧ × ٢٤ سم

رقم الإيداع: ١٤٤٥/١٣٢٣٨
ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٠٤-٨٩٠٦-٠

الطبعة الأولى
١٤٤٥هـ - ٢٠٢٣م

أبو بكر الصديق رضي الله عنه

أفضل الصحابة وأحقهم بالخلافة

جمعه ورتبه

فضيلة الشيخ محمد بن عبد الرحمن ابن قاسم رحمه الله

(١٣٤٥ - ١٤٢١هـ)

من منهاج السنة النبوية لشيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه

(٦٦١ - ٧٢٨هـ)

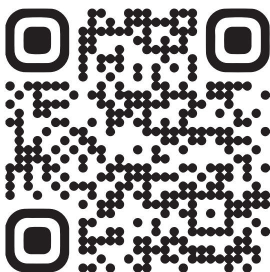
حققه ابنه

د. عبد المحسن بن محمد القاسم

إمام وخطيب المسجد النبوي الشريف

يُمكنُ الاطِّلاع وتَحميلُ جميع مُؤلَّفات فضيلة الشَّيخ على الرَّابط:

a-alqasim.com/books/



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

المُقَدِّمَةُ

الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ، أَمَّا بَعْدُ:

فالأممُ والشُّعوبُ لا تَزالُ تَذكرُ نُبلاءَها وعظماءَها، تَأْنَسُ بسِيَرِهم، وتقتدِي بهداهم؛ وأفضل الخلق رسل اللَّه، ثم صحابة نبيِّنا مُحمَّد ﷺ، وكلُّ مُؤْمِنٍ فللصَّحابة عليه فَضْلٌ، وكلُّ خيرٍ فيه المسلمون - من الإيمان والعِلْم والعبادة والسَّعادة -؛ إنَّما هو بفَضْلِ اللَّه ﷻ، ثم ببَرَكة ما فعلوه بتبليغهم الدِّين.

وأكملُ الصَّحابة وأفضلُهم وأعلمُهم وأشجعُهم وأسبقُهم إلى الخيراتِ: أبو بكرٍ الصِّدِّيقُ عبدُ اللَّه بنُ عثمانَ بنِ عامرٍ القُرَشِيُّ رضي الله عنه.

ولِمَا لأبي بكرٍ رضي الله عنه عنه من فَضْلٍ عظيم، ومنزلةٍ رَفِيعةٍ في الإسلامِ؛ جَمَعَ الوالدُ رحمه الله ما تفرَّق مِن سِيرتِه مِن كتابِ «مِنْهَاجِ السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ» لشيخ الإسلام رحمه الله، وسَمَّاه: «**أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ أَفْضَلُ الصَّحَابَةِ، وَأَحَقُّهُمْ بِالخِلَافَةِ**».

وقد بَذَلَ فيه الوالدُ رحمه الله جُهْداً كبيراً، وأعانه على إخراجه بعد فضل اللَّه تبحُّرُه في كتب شيخ الإسلام، قال في مُقَدِّمتِه(١): «هذا البحثُ - فَضَائِلُ الصِّدِّيقِ وَأَحَقِّيَّتُهُ بِالخِلَافَةِ - مُفَرَّقٌ في ثنايا (المِنْهَاجِ)،

---

(١) (ص٩٨).

لا يُحْصَلُ عليه كاملاً إلَّا بمُطالعةِ الكتاب كلِّه، وفي ذلك مَشَقَّةٌ، ويحتاج إلى وقتٍ؛ لأنَّ ابن تيميَّة رحمه الله لم يُؤَلِّف الكتابَ في فضائل أبي بكرٍ؛ وإنَّما أَلَّفَهُ رَدّاً على الرَّافِضِيِّ، مُتَمَشِّياً مع عباراتِه واعتراضاتِه».

وبَيَّن الوالدُ رحمه الله في المقدِّمة[1] قصده من تأليف الكتاب فقال: «قصدي الأوَّل: أن يكون عند المسلم إلمامٌ كاملٌ بأفضليَّة الصِّدِّيق، وأحقِّيَّته بالخلافة بعد رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم»؛ وقد طَبَعَهُ الوالدُ رحمه الله في حياتِه، ولَاقَى قَبُولاً حَسَناً.

ولأهمِّيَّتِه، وإِنْفَاذاً لوصيَّةِ الوالدِ لي - مُشافهةً وكتابةً - بأن أعمل على تحقيقِ كُتُبِه وإخراجِها، وسعياً لتحقيق أُمنيَّته في هذا الكتاب؛ حيث قال في مقدِّمته[2]: «وأنا أودُّ أن يكون هذا الكتابُ أو مثلُه في بيت كلِّ مسلم»؛ حَقَّقْتُه وَأَعَدْتُ طِباعتَه، ليَخْرُجَ في أَبْهَى حُلَّةٍ كما أراد الوالدُ رحمه الله.

أسألُ اللَّه أن ينفعَ به كما نَفَعَ بأصلِه، وأن يجزيَ علماءَ المسلمين خير الجزاءِ، وأن يجمعنا بهم في جنَّات النَّعيم.

وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

د. عبد المحسن بن محمد القاسم

إمام وخطيب المسجد النبوي الشريف

فَرَغْتُ مِنْهُ فِي الثَّالِثَ عَشَرَ مِنْ شَهْرِ صَفَرٍ

عَامَ خَمْسَةٍ وَأَرْبَعِينَ وَأَرْبَعِ مِئَةٍ وَأَلْفٍ مِنَ الهِجْرَةِ النَّبَوِيَّةِ

فِي المَسْجِدِ النَّبَوِيِّ الشَّرِيفِ

---

(١) (ص٩٩).

(٢) (ص٩٧).

مَنْهَجِي فِي ٱلتَّحْقِيقِ

عَمَلِي في تحقيق الكتاب على النَّحو الآتي:

١ - تَرْجَمْتُ لشيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٢ - تَرْجَمْتُ للوالد رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٣ - نقلتُ عَزْوَ الآيات التي وضعها الوالد في الهامش إلى المتن بعد الآية.

٤ - ضَبطْتُ بالشَّكل جميع الأحاديث والآثار الواردة في الكتاب.

٥ - ضَبطْتُ بالشَّكل ما يَحتاج إلى ضبط.

٦ - كلُّ جُملة لها معنىً مستقلٌّ جَعلتُها مُرتبطةً بنسقٍ واحدٍ، وإذا تجدَّد المعنى جَعلتُه في فقرةٍ جديدةٍ.

٧ - وَضعتُ علامات التَّرقيم بدقَّة؛ ليسهل فهم الكتاب على القارئ.

٨ - أثبتُّ تعليقات الوالد رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الهامش، وصدَّرتُها بلفظ: «قال الوالد رَحِمَهُ ٱللَّهُ»، وعزوتُ ما يحتاج منها إلى عزو.

٩ - علَّقتُ في الهامش على ما يحتاج إلى بيان وإيضاح.

١٠ - اعتمد الوالد رَحِمَهُ ٱللَّهُ في عزوه لمباحث الكتاب على طبعتين قديمتين لمنهاج السُّنَّة النَّبويَّة؛ هما: طبعة مكتبة الرِّياض الحديثة، وطبعة المطبعة الأميريَّة ببولاق، فأبقيتُ عزوَه كما هو، وما أضفتُه من الإحالات للمنهاج زيادةً عن الوالد؛ بيَّنتُ أنَّه من طبعة جامعة الإمام.

١١ - خرَّجْتُ الأحاديث الواردة في الكتاب من مصادرها؛ ممَّا

فات الوالد ﵀، وأكملتُ تخريج ما خَرَّجه، وذلك عند أوَّل ورودها.

فإن كان الحديث في الصَّحيحَيْن أو أحدهما اكتفيتُ بذلك، وإن كان في غيرهما ذكرتُ مَنْ رواه من كتب السُّنَّة.

وقد أنقل نَصَّ الحديث في الحاشية عند الحاجة لذلك، وإذا تكرَّر الحديث أُشير إلى موضع تخريجه السَّابق.

١٢ - وثَّقتُ الآثار والأقوال الواردة في الكتاب من مصادرها.

١٣ - بيَّنتُ معاني الكلمات الغريبة معتمداً على كتب شروح الحديث ومعاجم اللغة.

١٤ - تَرْجَمْتُ الأعلام الوارد ذكرهم ترجمة مُوجَزة عند أوَّل ورودهم.

١٥ - عرَّفتُ بالطَّوائف والفِرَق الوارد ذكرها عند أوَّل ورودها.

١٦ - بيَّنتُ مواضع البلدان والأمكنة عند أوَّل ورودها، وحدَّدتُ مواضعَها بدِقَّة بحسب ما ظهر لي من خلال مراجعة الخرائط الحديثة والمراجع المختلفة.

١٧ - حَوَّلتُ المكاييلَ والأوزانَ الشَّرعيَّةَ إلى الأوزانِ المعاصرةِ؛ وَفقَ ما حرَّرتُه في كتابي: «**تَحْقِيقِ المَكَايِيلِ وَالأَوْزَانِ الشَّرْعِيَّةِ وَتَحْدِيدِهَا بِالأَوْزَانِ المُعَاصِرَةِ**».

١٨ - كلُّ موضع سابق أحال إليه الوالد ﵀، أو أشار إليه في موضع لاحق؛ بيَّنتُ موضعه.

١٩ - وضعتُ فهرساً تفصيليّاً للكتاب.

تَرجَمَةُ شَيخِ الإِسلَامِ ابنِ تَيمِيَّةَ

رَحِمَهُ اللهُ

(٦٦١ - ٧٢٨هـ)

اسمُه، ونَسبُه، ومولده

هو: أحمد بن شهاب الدِّين عبد الحليم بن مَجْد الدِّين عبد السَّلام بن عبد اللَّه بن الخضر بن مُحمَّد بن الخضر بن عليِّ بن عبد اللَّه ابن تيميَّة الحرَّانيُّ[(١)].

كُنيتُه: أبو العبَّاس[(٢)].

لَقبُه: تقيُّ الدِّين[(٣)]، واشتهر بـ«شيخ الإسلام»[(٤)].

ولد بـ«حرَّان»[(٥)] في عاشر ربيع الأوَّل سنة (٦٦١هـ)[(٦)].

---

(١) العقود الدُّرِّيَّة لابن عبد الهادي (ص١٨).

(٢) العقود الدُّرِّيَّة لابن عبد الهادي (ص١٨).

(٣) العقود الدُّرِّيَّة لابن عبد الهادي (ص١٨).

(٤) الشَّهادة الزَّكيَّة في ثناء الأئمَّة على ابن تيميَّة (ص٢٤).

(٥) حَرَّان: مدينةٌ جنوبَ شرقِ تركيَا على حدود سُوريَة، شمالَ مدينةِ الرَّقَّة السُّوريَّة، تبعد عنها مئة وعشرة (١١٠) كيلومترات. معجم ما استعجم (٢/ ٤٣٥)، معجم البلدان (٢/ ٢٣٥).

(٦) العقود الدُّرِّيَّة لابن عبد الهادي (ص١٨)، الأعلام العَلِيَّة (ص١٦).

نَشْأَتُه وطَلَبُه لِلعِلْم

نشأ رَحِمَهُ اللهُ في بيت عِلمٍ ودِينٍ؛ فوَالِدُه: شهاب الدِّين عبد الحليم[١]، كان له كرسيٌّ بجامع دِمشْق يتكلَّم عليه عن ظهرِ قلبِه، ووَلِي مَشْيَخَة دار الحديث السُّكَّرِيَّةِ[٢] بالقصَّاعين[٣].

وجَدُّه: مَجْد الدِّين عبد السَّلام[٤] صاحب «منتقى الأخبار»[٥]، كان فقيهاً مُحدِّثاً قرأ القراءات العَشْر، وصنَّف فيها أُرجُوزَةً.

قال حَفيدُه شيخ الإسلام: «كان الشَّيخ جمال الدِّين ابن مالك[٦]

---

(١) هو: أبو المَحَاسن وأبو أحمد عبد الحليم بن عبد السَّلام ابن تيميَّة الحَرَّانيُّ، ولد سنة (٦٢٧هـ)، إِمامٌ محقِّقٌ، من أعيان الحنابلة، توفي رَحِمَهُ اللهُ سنة (٦٨٢هـ). المقصد الأرشد (٢/ ١٦٦)، شذرات الذهب (٧/ ٦٥٦).

(٢) دار الحديث السُّكَّريَّة: جنوب غرب الجامع الأمويِّ بدِمشق، تبعد عنه أربع مئة (٤٠٠) متر، أوقفها شرف الدِّين عمر بن مُحمَّد السُّكَّريُّ، توفي رَحِمَهُ اللهُ سنة (٦٧١هـ). تاريخ البرزالي (١/ ٢٧١)، تاريخ الإسلام (١٥/ ٢٢٦)، الدارس في تاريخ المدارس (١/ ٥٦)، منادمة الأطلال ومسامرة الخيال (ص٤٥).

(٣) البداية والنهاية (١٧/ ٥٩٢).
والقَصَّاعين: حيٌّ مِنْ أحياء دِمشْق. منادمة الأطلال ومسامرة الخيال (ص١٩٤).

(٤) هو: أبو البَرَكات عبد السَّلام بن عبد اللَّه ابن تيميَّة الحَرَّانيُّ، ولد سنة (٥٩٠هـ) تقريباً، فقيهٌ مُقرِئ، شيخُ الحنابلة، توفي رَحِمَهُ اللهُ سنة (٦٥٢هـ). سير أعلام النبلاء (٢٣/ ٢٩١)، المقصد الأرشد (٢/ ١٦٢).

(٥) كتاب حَوَى جُلَّ أحاديث الأحكام.

(٦) هو: أبو عبد اللَّه مُحمَّد بن عبد اللَّه ابن مالك الطَّائيُّ الجيَّانيُّ، الشَّافعيُّ، ولد سنة (٦٠٠هـ)، إمام النُّحاة وحافظُ اللُّغة، توفي رَحِمَهُ اللهُ سنة (٦٧٢هـ). الوافي بالوفيات (١/ ١٦٥)، =

يقول: أُلِينَ للشَّيخ المَجْد الفِقْه كما أُلِينَ لِدَاوُد الحديد»[١].

بقي بحرَّان إلى أنْ بلغ سبع سنين، ثم انتقل به والده رحمه الله إلى دمشق، فنشأ بها أتمَّ إنشاء وأزكاه، وأنبته اللَّه أحسن النَّبات وأوفاه.

وكانت مخايل النَّجابة عليه في صغره لائحة، ودلائل العناية فيه واضحة؛ فخَتَم القرآن صغيراً، ثمَّ اشتغلَ بحفظ الحديث، والفقه، وأُصولِه، والعَربيَّة؛ حتَّى برع في ذلك، هذا كلُّه وهو ابن بِضْع عشرة سنة.

وأوَّلُ كتابٍ حَفِظَه في الحديث: «الجَمْعُ بين الصَّحيحَيْن» للإمام الحُمَيْدِيِّ[٢].

وقلَّ كتابٌ من فنون العِلم إلَّا وقف عليه، وقد خصَّه اللَّه بسرعةِ الحفظ وقوَّة الذَّاكرة[٣].

قال الذَّهبي رحمه الله[٤]: «قرأ القرآن والفقه وناظر واستدلَّ وهو دون

= بغية الوعاة (١/ ١٣٠).

(١) سير أعلام النبلاء (٢٣/ ٢٩٢).

(٢) هو: أبو عبد اللَّه مُحمَّد بن فتوح بن عبد اللَّه الأزديُّ، الحُمَيْدِيُّ، الأندلسيُّ، الظَّاهريُّ، ولد قبل سنة (٤٢٠هـ)، شيخُ المُحَدِّثين، توفي رحمه الله سنة (٤٨٨هـ). تاريخ دمشق لابن عساكر (٥٥/ ٧٧)، سير أعلام النبلاء (١٩/ ١٢٠).

(٣) العقود الدُّرِّيَّة لابن عبد الهادي (ص١٨-٢٠)، الأعلام العَلِيَّة (ص١٦).

(٤) هو: أبو عبد اللَّه مُحمَّد بن أحمد بن عثمان التُّركمانيُّ الذَّهبيُّ، الشَّافعيُّ، ولد سنة (٦٧٣هـ)، الإمام العلَّامة، مُؤَرِّخ الإسلام، وصاحب التَّصانيف الكثيرة المشهورة، توفي رحمه الله سنة (٧٤٨هـ). طبقات الشَّافعيَّة الكبرى (٩/ ١٠٠)، طبقات الشَّافعيَّة لابن قاضي شُهْبة (٣/ ٥٥).

البلوغ، وبرع في العِلْم والتَّفسير، وأفتى ودرَّس وله نحو العشرين سنة، وصنَّف التَّصانيف، وصار من كبار العلماء في حياة شيوخه، وله من المُصنَّفات الكِبار التي سارت بها الرُّكبان»[١].

وقال ابن حَجرٍ العَسقلانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ[٢]: «قَرَأ بنَفْسِه ونَسَخ سنن أبي داود وحَصَّل الأجزاء، ونظر في الرِّجَال والعِلَل، وتَفقَّه وتَمهَّر وتَميَّز وتَقدَّم وصَنَّف؛ ودَرَّس وأفتى، وفاق الأقران، وصار عجباً في سرعة الاستحضار، وقوة الجنان، والتَّوسُّع في المنقول والمعقول والاطِّلاع على مذاهب السَّلَف والخَلَف»[٣].

(١) العقود الدُّرِّيَّة لابن عبد الهادي (ص٣٨).

(٢) هو: أبو الفَضْل أحمد بن عليِّ بن مُحمَّد الكنانيُّ العَسْقلانيُّ ثمَّ المصريُّ، الشَّافعيُّ، ولد سنة (٧٧٣هـ)، إمام الحُفَّاظ في زمانه، برع في الحديث وتقدَّم في جَمِيع فنونه، توفي رَحِمَهُ اللَّهُ سنة (٨٥٢هـ). المنهل الصَّافي (٢/ ١٧)، طبقات الحُفَّاظ للسُّيوطي (ص٥٥٢).

(٣) الدُّرر الكامنة (١/ ١٦٨).

شُيوخُه

أخذ رحمه الله عن جماعة كثيرة في شتَّى الفنون، قال ابن عبد الهادي رحمه الله[(١)]: «وشُيوخُه الذين سَمِع منهم أكثر من مئتي شيخٍ»[(٢)].

ومِنْ شيوخه الذين أخذ عنهم[(٣)]:

١ - أبو العبَّاس أحمد بن عبد الدَّائم المقدسيُّ، الحنبليُّ، مُحدِّثٌ، توفي رحمه الله سنة (٦٦٨هـ).

٢ - أبو عبد اللَّه مَجْد الدِّين مُحمَّد بن إسماعيل بن المُظفَّر الدِّمشقيُّ، الشَّافعيُّ، توفي رحمه الله سنة (٦٦٩هـ).

٣ - أبو زكريَّا جَمَال الدِّين يحيى بن أبي منصور بن أبي الفتح الحَرَّانيُّ، المعروف بـ«ابن الصَّيرفيِّ»، فقيهٌ، توفي رحمه الله سنة (٦٧٨هـ).

٤ - أبو مُحمَّد أمين الدِّين القاسم بن أبي بكر الإربليُّ، مُقرِئٌ مُحدِّثٌ، توفي رحمه الله سنة (٦٨٠هـ).

---

(١) هو: أبو عبد اللَّه مُحمَّد بن أحمد بن عبد الهادي المَقدسيُّ، الحنبليُّ، ولد سنة (٧٠٤هـ)، مُحدِّثٌ حافظٌ فقيهٌ، وأحد الأذكياء، توفي رحمه الله سنة (٧٤٤هـ). ذيل طبقات الحنابلة (٥/ ١٢٣)، طبقات الحُفَّاظ للسيوطي (ص٥٢٥).

(٢) العقود الدُّرِّيَّة (ص١٩).

(٣) العقود الدُّرِّيَّة لابن عبد الهادي (ص١٩)، تاريخ الإسلام (١٥/ ٦٠٨)، الوافي بالوفيات (٢٠/ ١٢١)، (٢٤/ ٨٦)، البداية والنهاية (١٨/ ٢٩٧)، ذيل طبقات الحنابلة (٤/ ٩٩، ٣٠٩).

٥ - أبو الفَرَج شمس الدِّين عبد الرَّحْمَن بن أبي عمر مُحمَّد بن قُدَامَة المَقدسيُّ، الحنبليُّ، فقيهٌ، توفي رَحِمَهُ اللَّهُ سنة (٦٨٢هـ).

٦ - أبو مُحمَّد عفيف الدِّين عبد الرَّحيم بن فارس البغداديُّ، الحنبليُّ، فَقيهٌ عارفٌ بالمذهب، توفي رَحِمَهُ اللَّهُ سنة (٦٨٥هـ).

٧ - أبو مُحمَّد فخر الدِّين عبد الرَّحْمَن بن يوسف بن مُحمَّد البَعلبكيُّ، الحنبليُّ، مُحدِّثٌ، توفي رَحِمَهُ اللَّهُ سنة (٦٨٨هـ).

٨ - أبو الحَسَن فَخر الدِّين عليُّ بن أحمد بن عبد الواحد المَقدسيُّ، الحنبليُّ، فقيهٌ مُحدِّثٌ، توفي رَحِمَهُ اللَّهُ سنة (٦٩٠هـ).

٩ - أبو عبد اللَّه شمس الدِّين مُحمَّد بن عبد القويِّ بن بدران المَقدسيُّ المرداويُّ، الحنبليُّ، فقيهٌ، توفي رَحِمَهُ اللَّهُ سنة (٦٩٩هـ).

تَلامِيذُه

وَلِيَ شيخُ الإسلام ﷺ التَّدريسَ في دار الحديث السُّكَّريَّة وهو ابن عشرين سنة[(١)]، ودرَّس في المدرسة الشَّريفيَّة الحنبليَّة[(٢)]، وكان يجلس في صبيحة كلِّ جُمُعة على النَّاس يُفسِّر القرآن العظيم[(٣)]؛ فكَثُرَ تَلاميذُه، ومِنْ أَشهرِهِم[(٤)]:

١ - أبو مُحمَّد عَلَم الدِّين القاسم بن مُحمَّد البَرْزَاليُّ، الشَّافعيُّ، مُحدِّثٌ مُؤرِّخٌ، توفي ﷺ سنة (٧٣٩هـ).

٢ - أبو عبد اللَّه شمس الدِّين مُحمَّد بن أحمد بن عبد الهادي بن قُدَامَة المَقدسيُّ، الحنبليُّ، مُحدِّثٌ، توفي ﷺ سنة (٧٤٤هـ).

٣ - أبو عبد اللَّه شمس الدِّين مُحمَّد بن أحمد بن عثمان الذَّهبيُّ، الشَّافعيُّ، مُحدِّثٌ، صاحبُ التَّصانيف، توفي ﷺ سنة (٧٤٨هـ).

---

(١) البداية والنهاية (١٧/ ٥٩٣)، ذيل طبقات الحنابلة (٤/ ٤٩٥).

(٢) البداية والنهاية (١٧/ ٦٨٤).

والمدرسة الشَّريفيَّة الحَنبليَّة: قرب الجامع الأمويِّ بدِمشْق، بناها وأوقفها شرفُ الإسلام عبد الوهَّاب بن الشَّيخ أبي الفرج الأنصاريُّ الشِّيرازيُّ سنة (٥٣٦هـ). تاريخ الإسلام (١١/ ٦٥٧)، الدارس في تاريخ المدارس (٢/ ٥٠).

(٣) العقود الدُّرِّيَّة لابن عبد الهادي (ص٢٩).

(٤) العقود الدُّرِّيَّة لابن عبد الهادي (ص٢٨)، الأعلام العَلِيَّة (ص٢٧)، الوافي بالوفيات (٢/ ١١٣)، ذيل طبقات الحنابلة (٥/ ١٧١)، المَجْمَع المُؤَسِّس للمعجم المفهرس (٢/ ٦٠٥)، المقصد الأرشد (٢/ ٥١٩)، ذيل طبقات الحُفَّاظ (٥/ ٢٣٣).

٤ - أبو حفص سراج الدِّين عمر بن عليٍّ بن موسى البزَّار، مُحدِّثٌ فقيهٌ، توفي رَحِمَهُ اللَّهُ سنة (**٧٤٩هـ**).

٥ - أبو عبد اللَّه شمس الدِّين مُحمَّد بن أبي بكر بن أيوب الزُّرَعِيُّ، الحنبليُّ، الشَّهير بـ«ابن قيِّم الجوزيَّة»، فقيهٌ، صاحبُ التَّصانيف الكثيرة، توفي رَحِمَهُ اللَّهُ سنة (**٧٥١هـ**).

٦ - أبو عبد اللَّه شمس الدِّين مُحمَّد بن مفلح بن مُحمَّد المَقدسيُّ، الحنبليُّ، فقيهٌ، توفي رَحِمَهُ اللَّهُ سنة (**٧٦٣هـ**).

٧ - أبو الفداء عماد الدِّين إسماعيل بن عمر بن كثيرٍ، الشَّافعيُّ، مُفسِّرٌ مُحدِّثٌ، توفي رَحِمَهُ اللَّهُ سنة (**٧٧٤هـ**).

مُؤلَّفاتُه

قال الذَّهبيُّ ﷺ: «ولعلَّ فتاويه في الفنون تَبلُغ ثلاث مئة مُجلَّد؛ بل أكثر»[(١)].

وقال أيضاً ﷺ: «ولعلَّ تصانيفه في هذا الوقت تكون أربعة آلاف كرَّاس وأكثر»[(٢)].

وقال ابن رَجب ﷺ[(٣)]: «وأمَّا تصانيفه ﷺ: فهي أشهر من أن تُذكَر، وأَعرَفُ مِنْ أنْ تُنكَر، سارت مسير الشَّمس في الأقطار، وامتلأت بها البلاد والأمصار، قد جَاوَزَت حدَّ الكثرة، فلا يمكن أَحدٌ حَصْرَها، ولا يتَّسع هذا المكان لعَدِّ المعروف منها، ولا ذِكرها»[(٤)].

قال الجَدُّ عبد الرَّحْمَن ابن قَاسمٍ ﷺ[(٥)]: «وذَكُروا له من

(١) الدُّرر الكامنة (١/ ١٧٥).

(٢) العقود الدُّرِّيَّة لابن عبد الهادي (ص٣٩)، الرَّدُّ الوافر (ص٣٣)، الشَّهادة الزَّكيَّة في ثناء الأئمَّة على ابن تيميَّة (ص٤٠).

(٣) هو: أبو الفرج عبد الرَّحْمَن بن أحمد بن رَجَبٍ البغداديُّ، الحنبليُّ، ولد سنة (٧٣٦هـ)، إمامٌ فقيهٌ مُحَدِّثٌ، توفي ﷺ سنة (٧٩٥هـ). الجوهر المنضَّد (١/ ٤٦)، طبقات الحُفَّاظ للسُّيوطي (ص٥٤٠).

(٤) ذيل طبقات الحنابلة (٤/ ٥٢٠).

(٥) هو: أبو عبد اللَّه عبد الرَّحمن بن مُحمَّد ابن قاسم العاصميُّ النَّجديُّ، الحنبليُّ، ولد سنة (١٣١٢هـ)، جامع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيميَّة ﷺ، وصاحب المصنَّفات النافعة؛ منها: «حاشية الرَّوْض المُربع»، و«الدُّرر السَّنيَّة في الأجوبة النَّجديَّة»، توفي ﷺ سنة (١٣٩٢هـ).

المُصنَّفات أكثر من ستَّة آلاف مُجلَّد»[١].

وممَّا صنَّفه شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ اللهُ[٢]:

١ - اقتضاء الصِّراط المُستَقِيم لمخالفة أصحاب الجحيم.

٢ - الاستقامة.

٣ - التَّدمريَّة.

٤ - التِّسعينيَّة.

٥ - الصَّفديَّة.

٦ - الجواب الصَّحيح لمَنْ بَدَّل دين المَسِيح.

٧ - العقيدة الواسطيَّة.

٨ - السِّياسَة الشَّرعيَّة.

٩ - الصَّارم المَسْلُول على شاتم الرَّسُول.

١٠ - بيان تلبيس الجَهميَّة في تأسيس بدعهم الكلاميَّة.

١١ - دَرْءُ تعارض العَقْل والنَّقْل.

١٢ - رفع المَلَام عن الأئمَّة الأعلام.

١٣ - منهاج السُّنَّة النَّبويَّة.

---

(١) مقدِّمة مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ اللهُ.

(٢) ذيل طبقات الحنابلة (٤/ ٥٢٠).

وجُمِعت له فتاوى تُعتَبر مِنْ أعظم المجاميع، وهي:

١ - مختصر الفتاوى المِصريَّة، جمعها أبو عبد اللَّه بدر الدِّين البَعليُّ رحمه الله (٧٧٨هـ)، يقع في مُجلَّد كبير.

٢ - مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيميَّة رحمه الله، جَمَعَها الجَدُّ عبد الرَّحْمَن ابن قَاسمٍ، وسَاعَدُه في ذلك الوالد مُحمَّد بن عبد الرَّحْمَن رحمهما الله، في سبعة وثلاثين (٣٧) مُجلَّداً.

٣ - المُستَدْرَك على مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيميَّة رحمه الله، جَمَعَه الوالد رحمه الله في خمسة (٥) مُجلَّدات.

وَفاتُه

مَرِض شيخ الإسلام قبل وفاته بأيَّامٍ يسيرة بدِمشْق، وقال قبل وفاته: «قد أَحللتُ كلَّ وَاحدٍ ممَّا كان بيني وبينه؛ إلَّا مَنْ كان عَدوّاً للَّه ورسوله»(١)؛ بل قد أحلَّ الوَالِي - السُّلطان النَّاصر(٢) - الذي حَبَسه.

ثمَّ توفي رَحِمَهُ اللَّهُ في سَحَر يوم الاثنين، الثَّاني والعشرين من ذي القَعدة، سنة ثمان وعشرين وسبع مئة، وهو على حَالِه؛ مُجاهداً في ذات اللَّه تعالى صابراً محتسباً، وكان رَحِمَهُ اللَّهُ إلى حين وفاته في حبسه مُشْتَغلاً باللَّه عَنْ جَمِيع ما سواه.

ولَمَّا سمع النَّاس بمَوْتِه لم يَبْقَ في دِمشْق مَنْ يستطيع المجيء للصَّلاة عليه إلَّا حضر لذلك وتفرَّغ له، حتَّى غُلِّقت الأسواق بدِمشْق، وعُطِّلت معايشها حينئذٍ، وحصل للنَّاس بمُصابِه أَمرٌ شغلهم عن غالب أمورهم وأسبابهم.

وخرج الأمراء والرُّؤَسَاء، والعلماء والفُقَهَاء، والأتراك والأجناد، والرِّجَال والنِّساء والصِّبْيَان؛ من الخَواصِّ والعَوامِّ.

---

(١) الأعلام العَلِيَّة (ص٨٢).

(٢) هو: أبو الفتح مُحمَّد بن قلاوون بن عبد اللَّه الصَّالحيُّ، المعروف بـ«السُّلطان النَّاصر»، ولد سنة (٦٨٤هـ)، من كبار ملوك الدَّولة القلاوونيَّة، كان مطاعاً، مهيباً، عارفاً بالأمور، توفي رَحِمَهُ اللَّهُ سنة (٧٤١هـ). الوافي بالوفيات (٤/ ٢٥١)، شذرات الذَّهب (٨/ ٢٣٣)، الأعلام للزِّركلي (٧/ ١١).

وصُلِّي عليه رحمه الله في جامع بني أميَّة[(١)].

قال ابن كثير رحمه الله[(٢)]: «اجتمعوا لجنازته اجتماعاً لو جمعهم سلطان قاهر، وديوان حاصر، لَمَا بلغوا هذه الكثرة التي انتهوا إليها»[(٣)].

---

(١) الأعلام العَلِيَّة (ص٨٢-٨٣).

وجامع بني أميَّة: يُعرَف بـ«الجامع الأمويِّ»، يقع بدمشق، تولَّى بناءَه الوليد بن عبد الملك سنة (٨٧هـ)، واستمر العمل فيه تسع سنين، وأنفق عليه الأموال العظيمة حتى جَعَله نُزْهَةً للنَّاظرين. البداية والنهاية (١٢/ ٥٦٠)، تحفة النُّظَّار (١/ ٣٠٦)، منادمة الأطلال ومسامرة الخيال (ص٣٥٧).

(٢) هو: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثيرٍ البصريُّ، الشَّافعيُّ، ولد سنة (٧٠٠هـ)، مُفسِّرٌ، مُحدِّثٌ، فقيهٌ، مُؤَرِّخٌ، كُفَّ بَصرُه آخر حياته، توفي رحمه الله سنة (٧٧٤هـ). الرَّدُّ الوافر (ص٩٢)، ذيل طبقات الحُفَّاظ (٥/ ٢٣٨).

(٣) البداية والنهاية (١٨/ ٢٩٩).

ثَناءُ العُلَماء عليه

قال ابن دَقِيق العِيد رَحِمَهُ اللَّهُ(١): «لَمَّا اجتمعتُ بابن تيميَّة رأيت رجلاً العلوم كلُّها بين عينيه، يأخذ منها ما يريد، ويدع ما يريد»(٢).

وقال الذَّهبيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «كان يُقضَى منه العجبُ إذا ذكر مسألة من مسائل الخلاف واستدل ورجَّح، وكان يَحِقُّ له الاجتهاد لاجتماع شروطه فيه، وما رأيتُ أسرع انتزاعاً للآيات الدَّالَّة على المسألة التي يُورِدها منه، ولا أشدَّ استحضاراً للمتون وعزوها منه، كأنَّ السُّنَّة نُصْبُ عينيه وعلى طرف لسانه»(٣).

وقال مَرْعي الكرميُّ رَحِمَهُ اللَّهُ(٤): «حدَّث غير واحدٍ من الشُّيوخ عن المِزِّيِّ(٥) أنَّه قال عن ابن تيميَّة: ما رأيتُ مِثلَه، ولا رأى هو مِثلَ

---

(١) هو: أبو الفتح مُحمَّد بن عليِّ بن وهب المصريُّ المالكيُّ، ثم الشَّافعيُّ، الشهير بـ «ابن دقيق العيد»، ولد سنة (٦٢٥هـ)، فقيهٌ محدِّثٌ، شيخُ الإسلام، وأحدُ علماء وقته، توفي رَحِمَهُ اللَّهُ سنة (٧٠٢هـ). الوافي بالوفيات (٤/ ١٣٧)، طبقات الشَّافعيين (ص٩٥٢).

(٢) الرَّدُّ الوافر (ص٥٩).

(٣) الدُّرر الكامنة (١/ ١٧٥).

(٤) هو: مرعيُّ بن يوسف بن أبي بكر الكرميُّ المقدسيُّ، الحنبليُّ، صاحب التَّصانيف الكثيرة، برع في المذهب، توفي رَحِمَهُ اللَّهُ سنة (١٠٣٣هـ). السحب الوابلة (٣/ ١١١٨)، تسهيل السابلة (٣/ ١٥٤٨).

(٥) هو: أبو الحجَّاج يوسف بن عبد الرَّحْمَن بن يوسف المِزِّيُّ الدِّمشْقيُّ، الشَّافعيُّ، ولد سنة (٦٥٤هـ)، ناقدٌ مُحَقِّقٌ، ومُحَدِّثُ الشَّام ومصر، توفي رَحِمَهُ اللَّهُ سنة (٧٤٢هـ). المعجم المختص بالمُحَدِّثين (ص٢٩٩)، فوات الوفيات (٤/ ٣٥٣).

نفسه، وما رأيت أحداً أعلمَ بكتاب اللَّه وسُنَّة رسول اللَّه ولا أتبعَ لهما منه»[١].

وقال أيضاً رحمه الله: «ولقد أنصف العلَّامة الإمام قاضي قضاة الإسلام بهاء الدِّين ابن السُّبكيِّ[٢] حيث يقول لبعض مَنْ ذكر له الكلام في ابن تيميَّة، فقال: واللَّه يا فلان، ما يُبغِض ابن تيميَّة إلَّا جاهل أو صاحب هوى؛ فالجاهل لا يدري ما يقول، وصاحب الهوى يَصُدُّه هواه عن الحقِّ بعد معرفته به»[٣].

---

(١) الشَّهادة الزَّكيَّة في ثناء الأئمَّة على ابن تيميَّة (ص٤٥).

(٢) هو: أبو البقاء مُحمَّد بن عبد البَرِّ بن يحيى الأنصاريُّ السُّبكيُّ، الشَّافعيُّ، ولد سنة (٧٠٧هـ)، قاضٍ، مَهَرَ في العربية والفقه وأصول الفقه، توفي رحمه الله سنة (٧٧٧هـ). طبقات الشَّافعيَّة لابن قاضي شُهْبة (٣/ ١٢٧)، الدُّرر الكامنة (٥/ ٢٣٧).

(٣) الشَّهادة الزَّكيَّة في ثناء الأئمَّة على ابن تيميَّة (ص٢٤).

ترجمة الوالد العلامة محمد ابن قاسم رحمه الله (١)

(١٣٤٥ - ١٤٢١هـ)

---

(١) هذه التَّرجمة من كتابنا: «مختصر ترجمة الوالد العلَّامة مُحمَّد ابن قاسم؛ جامع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيميَّة، وفتاوى سماحة الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم آل الشَّيخ رحمهم الله».

اسمُه، ونَسبُه، ومَولدُه

هو: الشَّيخ العلَّامة مُحمَّد بن عبد الرَّحمن بن مُحمَّد بن عبد اللَّه ابن قاسمٍ، من آل عاصم، من قبيلة قحطان.

ولد سنة ألف وثلاث مئة وخمس وأربعين من الهجرة (١٣٤٥هـ) في بلدة «البِير» - تبعد عن الرِّياض مئة وعشرين (١٢٠) كيلومتراً شمالاً -.

نَشأتُه، وطلبُه للعِلم

نَشَأَ نشأة دينيَّة عِلميَّة؛ فوالده الشَّيخ العلَّامة عبد الرَّحمن ابن قاسم رَحِمَهُ اللَّهُ جامع «الدُّرر السَّنِيَّة في الأجوبة النَّجديَّة» - ستة عشر (١٦) مجلَّداً -، ومُصنِّفُ «حاشية الرَّوض المُرْبع» - سبعة (٧) مجلَّدات -، وغير ذلك من المُؤلَّفات النَّافعة.

وكان والده حريصاً عليه؛ فوجَّهه منذ صغره لتعلُّم القراءة والكتابة، ولَمَّا أتقنهما حَضَر والده إليه - وهو في الكُتَّاب - وأخذ بيده وأخرجه منه، وقال له: «أُريدك أن تكون عالِماً، وليس كاتباً فقط».

فقَدِم والدي على سماحة الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم وعُمُره ستُّ (٦) سنوات؛ للالتحاق بدروسه، فسأله سماحته: «هل أنت حافظٌ للقرآن؟ فقال: لا، فقال له: لا يحضر عندي أحد في الدَّرس إلَّا وهو حافظ للقرآن»، فعَكَف على حفظ القرآن الكريم، وحفظه في ثمانية أشهر، ثمَّ التحق بدروس سماحة الشَّيخ وغيره.

شُيوخُه

طَلَبَ العِلم على كبار العلماء في عصره، ومِنْ أولئك:

١ - سماحة الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم آل الشَّيخ رحمه الله - مفتي المملكة العربيَّة السُّعوديَّة، ورئيس القضاة والشُّؤون الإسلاميَّة - (ت ١٣٨٩هـ)؛ قرأ عليه في التَّفسير، والعقيدة، والحديث وعلومه، والفقه وأصوله، والفرائض، والنَّحو والصَّرف، والعَرُوض، والتَّاريخ، وغيرها من العلوم.

٢ - فضيلة الشَّيخ عبد اللَّطيف بن إبراهيم آل الشَّيخ رحمه الله - شقيق سماحة الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم، ومدير المعاهد العلمية والكليَّات - (ت ١٣٨٦هـ)؛ قرأ عليه الفرائض.

٣ - سماحة الشَّيخ عبد العزيز بن عبد اللَّه ابن باز رحمه الله - مفتي عام المملكة العربيَّة السُّعوديَّة - (ت ١٤٢٠هـ)؛ قرأ عليه في الحديث وعلومه: «نُخبَة الفِكَر» و«بلوغ المرام»، وفي الفقه: «زاد المستقنع».

٤ - سماحة الشَّيخ عبد اللَّه بن مُحمَّد ابن حُمَيد رحمه الله - رئيس المجلس الأعلى للقضاء - (ت ١٤٠٢هـ)؛ قرأ عليه في النَّحو: «الآجُرُّومِيَّة».

٥ - والده العلَّامة عبد الرَّحمن ابن قاسم رحمه الله - صاحب المُؤلَّفات النَّافعة - (ت ١٣٩٢هـ)؛ قرأ عليه في الفقه.

وكانت حصيلته العِلميَّة واستفادته الكبرى من سماحة الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم رَحِمَهُ اللَّهُ.

ما اختُصَّ به الوالد في دروس سماحة الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم رحمهما الله

اختُصَّ الوالد رحمه الله عن أقرانه في دروس سماحة الشَّيخ رحمه الله بعدَّة أمور؛ منها:

١ - أنَّه أكثر الطُّلاب ملازمة لسماحة الشَّيخ؛ فقد بدأ في ملازمته وعُمُره سبع (٧) سنوات، وامتدَّت ملازمته له سبعة وثلاثين (٣٧) عاماً - من عام (١٣٥٢هـ) إلى عام (١٣٨٩هـ) -.

٢ - أنَّه كان يجلس مُلاصِقاً لسماحة الشَّيخ في الدَّرس.

٣ - أنَّه هو الذي يقرأ الدَّرس على سماحته.

٤ - أنَّه الوحيد من طلاب سماحة الشَّيخ الذي يُدَوِّن جميع شروح سماحته، ولا يُعرف في التَّاريخ أنَّ تلميذاً كرَّر تدوينَ شرحِ شيخِه لكتابٍ ثمانيَ مرَّات.

٥ - أنَّ سماحة الشَّيخ كان يُمثِّل باسمه في درسه، قال رحمه الله في شرح الرَّوض المُرْبِع: «الوقف ينقسم إلى أربعة أقسام؛ هذه الدَّار وُقِفتْ على مُحمَّد ابن قاسم، وجُعِل له النَّظَر فيها».

٦ - كان سريع الكتابة جدّاً، لا يَفوتُه من شروح سماحة الشَّيخ شيءٌ.

٧ - مَكَثَ الوالد سبعة وثلاثين (٣٧) عاماً يُدَوِّن ما يسمعه من سماحة الشَّيخ.

٨ - الدُّروس الأخيرة لسماحته لم يحضرها من طلَّاب العِلم الكبار سواه، قال الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ عن آخرِ شرحٍ لسماحته للرَّوض المُرْبِع: «أكثر طلَّاب العِلم عليه قد تخرَّجوا ولم يُدرِكوا هذه القراءة، كما أنَّه قد استوفى كلَّ ما لديه فيها؛ لِمَا يرى من العناية بما يُقَرِّر، ولأنَّه يجزم بأنَّه ليس عنده وقت ولا طلَّاب؛ لأنَّ الأكثريَّة دخلوا المعاهد والكُلِّيَّة».

وقال أيضاً: «والَّذين درَسوا عليه قبلُ لم يُدرِكوا أكثر هذا الشَّرح والتَّفصيلِ والتَّصويرِ والتَّرجيحِ واختياراتِه، حتى الَّذين نقلوا عنه».

طَريقةُ تدوين الوالد لشروح سماحته رحمهما الله

كان رحمه الله حريصاً على نَفْعِ نفسه وغيره من عِلم سماحة الشَّيخ رحمه الله، أميناً فيما يسمعه من سماحته، دقيقاً في تدوينه، ويظهر ذلك في الآتي:

١ - أنَّه يُدَوِّن كلَّ ما سمعه من سماحة الشَّيخ بحروفه مِنْ فِيه في حِينِه، قال الوالد رحمه الله: «أكتب لفظَه مِنْ فِيه في حِينِه؛ حِرْصاً على تقييد الفوائد، ومحافظةً على أمانة النَّقْل»(١).

وقال أيضاً: «كتابتي عن سماعٍ في الحال، لا أُسقط حرفاً ولا أزيد».

٢ - إذا كان يكتب ونَفِدَ الورق كَتَبَ على ذراعه؛ لئلا يفوته شيء، قال الوالد رحمه الله: «بعض الأحيان أكتب الفائدة أو بَقيَّتها في ذراعي إذا نَفِد الورق».

٣ - أنَّه لا يُغَيِّر ما سمعه ولو كان في ضبط حركات الكلمة، قال سماحته رحمه الله: «أما لو كان مربوط، أو مُحَرول(٢)، أو مريض لا يقدر».

قال الوالد رحمه الله مُعَلِّقاً على هذا: «هذه الكلمات كتبتها هكذا، لأنَّه وَقَف عليها بالسُّكون»(٣).

---

(١) شرح كشف الشُّبهات لسماحته (ص٥).

(٢) أي: مُقعَد.

(٣) شرح آداب المشي إلى الصَّلاة لسماحته (ص١٩).

٤ - أنَّه يكتب جميع شروح سماحته للكتب، حتى ولو كان سماحته قد كرَّر شرحه، فقد كَتَب شرح الواسطيَّة ثمانيَ (٨) مرَّات، وشرح كشف الشُّبهات ستَّ (٦) مرَّات، وشرح الأربعين النَّوويَّة أربع (٤) مرَّات، وشرح الرَّوض المُرْبِع ثلاث (٣) مرَّات، وشرح آداب المشي إلى الصَّلاة مرَّتين.

٥ - إذا لم يُدَوِّن شرح الدَّرس؛ يترك صفحة فارغة من الدَّفتر أو جزءاً منها في موضع شرح الدَّرس، ويُبَيِّن سبب عدم تدوينه للشَّرح في ذلك اليوم، ومن الأسباب التي ذكرها: «لم أجد سيارة توصلني للدَّرس، انتهى الحبر، طَفَى السِّراج، طَفَى الكهرب، طَفَت اللَّمبات».

وما فاته يستدركه من شروحات سماحة الشَّيخ المتكرِّرة للكتاب نفسِه.

المَشقَّة التي لاقاها الوالد في تدوين شروح سماحته رحمهما الله

لَقِي الوالد رحمه الله مشقَّةً شديدةً في التَّدوين، وبيان ذلك في الآتي:

١ - طُولُ زمن الكتابة التي امتدَّت سبعة وثلاثين (٣٧) عاماً، يُدَوِّن فيها ما يسمعه من سماحة الشَّيخ.

٢ - أنَّ درس سماحة الشيخ يستغرق أكثر من ثماني (٨) ساعات يوميّاً، فقد كان لسماحته أربع جلسات يُدرِّس فيها، وهي:

أ - بعد صلاة الفجر إلى شروق الشَّمس .

ب - بعد ارتفاع الشَّمس مدَّةً تتراوح ما بين ساعتين وأربع ساعات.

ج - بعد صلاة الظُّهر .

د - بعد صلاة العصر.

وكان الوالد يدوِّن جميع الشُّروح في تلك الجلسات.

٣ - استرسال سماحة الشَّيخ في الشَّرح الذي يفوق سرعة الكتابة المعتادة.

٤ - كانت كتابة الوالد في بداية صناعة الأقلام، وكانت بدائية لا تُعِين على سرعة الكتابة.

٥ - قِلَّة الأوراق زمن كتابة الوالد.

٦ - انعدام الأمور المُعِينة على الكتابة - كالطَّاولة ونحوها -.

٧ - كانت كتابته على ضَوْء السِّراج أكثر من خمسة عشر (١٥) عاماً، وكان ضَوْء السِّراج ضعيفاً[١]، ثم لَمَّا دخلت الكهرباء في الرِّياض كانت كثيرة الانقطاع.

٨ - كانت جِلسته في الدَّرس: يفرش رجله اليسرى ويجلس عليها، ويثني قدمه اليمنى مرفوعة جهة بطنه، ويضع الدَّفتر على فخذه الأيمن، ويكتب ما يسمعه من سماحته قرابة أربع ساعات وهو على هذه الهيئة لا يغيرها.

٩ - كانت للوالد رَحِمَهُ اللَّهُ طريقةٌ في مَسْكِ القلم أثناء الكتابة؛ فقد كان يُمسك القلم بين إصبعيه السَّبَّابة والوسطى مع إبهامه، خلافاً لما هو معتاد مِن النَّاس مِن مَسْكِ القلم برأس أنملة السَّبَّابة مع الوسطى والإبهام؛ ومن كثرة كتابته لشروح سماحته وغيره سنين طويلة؛ رأيتُ جانب إصبعيه السَّبَّابة والوسطى محفورتين من أثر مَسْكِ القلم.

---

(١) الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ عَمِيَ بصرُه من وميض السِّراج وهو يُدَوِّن كتابه: «جامع المسانيد». المصعد الأحمد (ص٢٣).

هيئة جلوس الوالد في درس سماحة الشَّيخ وتدوينه للشَّرح السَّاعات الطِّوال



طَريقةُ مسك الوالد رَحِمَهُ ٱللَّهُ للقَلَم





المَشقَّة التي لاقاها الوالد رحمه الله في قراءة ما كَتَبَه

وكما كان الوالد رحمه الله يَجِدُ مَشَقَّة في الكتابة، يَجِدُ مَشَقَّة أخرى وهي قراءة ما كَتَبَه بسرعة، وقد بيَّن ذلك في الآتي:

١ - قال رحمه الله: «كم أنا أُلاقي في صعوبةِ التَّلقِّي والكتابة أوَّلاً، وصعوبة قراءة المكتوب الآن أخيراً؟!».

٢ - كان صابراً على هذه المَشَقَّة رجاء ثواب اللَّه، قال رحمه الله: «أنا أتعب في الكتابة لاستقبال ما يقول وكتابتِه بسرعة؛ أخشى أن تفوت الفائدة، أو أن أكتبها بطريقة الشَّكِّ فيها، وكذلك في هذا النَّسخ، وأرجو اللَّه المَثوبَة».

٣ - كان يجد العون من اللَّه في قراءة ما انغلق عليه ممَّا كتبه، وقد وَصَفَ ذلك بقوله: «كلَّما اشتبه عليَّ شيء من الكتابة أجد عوناً على فهمه».

٤ - فَهمُه لدروس سماحة الشَّيخ ومعرفته بمعانيها ساعدته بعد عون اللَّه في قراءة ما كتبه، قال رحمه الله: «معرفتي بالمعاني ساعدتني على قراءة ما كتبته بهذه السُّرعة».

خطُّ الوالد أثناء كتابته لشروح سماحة الشَّيخ

عِلْمُ سماحة الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم بكتابة الوالد رحمهما الله

كان سماحة الشَّيخ على عِلم بتقييد الوالد لكلِّ ما يقوله، ومطمئنّاً لأمانته، ودِقَّته، وحِرْصِه في كلِّ ما يُدَوِّنه عنه في شروحه وغيرها، ويدلُّ على ذلك الآتي:

١ - قال الوالد رحمه الله: «لا يَخفَى عليه اهتمامي بالكتابة عنه».

٢ - قال الوالد رحمه الله: «كنتُ القارئ عليه، وكان ينتظر أحياناً حتى أكمل الكتابة، وهو يسمع صريخ - صوت - القلم، ويقول: انتهيتَ يا مُحمَّد؟ وأنا أيضاً أُشغِله بقول: أحسن اللَّه إليك، وكانت عادتنا بعد كلِّ جملة يشرحها إذا أنهاها أقرأ ما بعدها وهكذا».

٣ - كان سماحته يدلُّه على مواطن تحتاج إلى تلخيصِ شَرْحِها مِمَّا كتبه الوالد، قال رحمه الله في شرح ثلاثة الأصول[1]: «لا بُدَّ من تلخيصٍ للكتابة».

٤ - كان سماحته يُحِيل على ما كتبه الوالد، قال رحمه الله في شرح شروط الصَّلاة: «تقدَّم لنا معنى شهادة أن لا إله إلَّا اللَّه بآخِرِ كتابة».

---

(١) (ص١٣٨).

٥ - شَهِد له أقرانه بأمانته فيما نَقَلَه ودَوَّنه ممَّا سَمِعه من سماحة الشَّيخ، حدَّثني الشَّيخ صالح ابن غصون رَحِمَهُ اللَّهُ - عضو هيئة كبار العلماء، ورئيس الهيئة الدَّائمة في مجلس القضاء الأعلى - أنَّه قال في اجتماعٍ لهيئة كبار العلماء، وبحضور سماحة الشَّيخ عبد العزيز ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: «يكفينا من الشَّيخ مُحمَّد ابن قاسمٍ أمانته في تدوين ما يسمعه من سماحة الشَّيخ».

أَثَرُ ملازمة الوالد وكتابته لشروح سماحة الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم رحمهما الله

قُرْب الوالد من سماحة الشَّيخ رحمه الله، وتقييد شروحه وغيرها كان له أثرٌ كبيرٌ في حِفظ ونَشْرِ عِلم سماحة الشَّيخ، ويتبيَّن هذا بالآتي:

١ - رَزَقَ اللَّه سماحة الشَّيخ عِلماً غزيراً، وقد سَخَّر اللَّه له الوالد لِحفْظِ عِلمه، قال الوالد رحمه الله: «ولمَحَبَّتي لحِفْظِ العِلم ونَشْرِه، حرصتُ على تسجيل هذه التَّقريرات في دفاتري، وظَلَّت محفوظةً عندي كغيرها من شروحات الشَّيخ وتقريراته وفوائده، ولولا لُطْفُ اللَّه بي وبها وبشيخنا لطارت في الهواء، أو نَدَّت في الصَّحراء؛ فلم يكن أحد يحفظها حرفيّاً أو يُقَيِّدها ويمتلك زمامها»[١].

٢ - أنَّه الوحيد الذي أخرج عِلم سماحة الشَّيخ، فجميع شروح وفتاوى ورسائل سماحته لم يُخرِجها إلَّا الوالد.

٣ - اختاره الملك فيصل رحمه الله لجمع فتاوى ورسائل سماحته والإشراف على طباعتها[٢]، فطُبِعت في ثلاثة عشر (١٣) مجلَّداً، ووَضَع لها فهرساً تفصيليّاً في مجلَّدٍ.

---

(١) شرح آداب المشي إلى الصَّلاة لسماحته (ص٧).

(٢) فتاوى ورسائل سماحة الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم (١/ ٤).

٤ - بفَضْلِ اللَّه ثمَّ الوالد أصبحت كتب سماحة الشَّيخ أكثر كتب أئمَّة الدَّعوة.

٥ - عَرَف العلماءُ للوالد قَدْرَه في حِفْظِ عِلم سماحته ونَشْرِه، وشَهِدوا له بذلك، فقال الشَّيخ صالح ابن غصون، والشَّيخ عبد اللَّه ابن غديَّان - عضو هيئة كبار العلماء -، والشَّيخ عبد الرَّحْمَن البرَّاك - عضو هيئة التَّدريس بجامعة الإمام -، وغيرهم من العلماء، قالوا جُمْلَةً واحدةً: «إنَّ اللَّه حَفِظ بالشَّيخ مُحمَّد ابن قاسمٍ عِلم سماحة الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم».

مَكانةُ الوالد عند سماحة الشَّيخ رحمهما الله

كان سماحة الشَّيخ رحمه الله يعتني بطلَّابه، ويَخُصُّ الوالد رحمه الله بعناية خاصَّة، ومنزلة عالية، ويتبيَّن ذلك بالآتي:

١ - حدَّثني الوالد وكتب بخَطِّ يده: «أصابني الجُدَريُّ[(١)] ولم يكن لي أحد في الرِّياض، فاستدعاني الشَّيخ إلى بيته، وجعلني في مكتبته، وخَصَّصَ لي مَنْ يداويني ويقوم برعايتي، وخَشِيَ الشَّيخ أن يُكَفَّ بَصَري، فقال: ضَعُوا في عينه عسلاً؛ فلم يُكَفَّ بَصَري».

قال الوالد رحمه الله: «فأرجو أن يكون ما كتبته عنه وفاءً له».

٢ - كان سماحة الشَّيخ يطلب من الوالد أن يقرأ عليه لتحضير درس الغد، قال الوالد رحمه الله: «لمَّا كنتُ أطالِع على الشَّيخ رحمه الله كعادته كتحضيرٍ لقراءة الغد، وقلتُ: كتاب الوقف؛ قال: الوقف يوقِف قارئاً أن يَقْحما[(٢)]».

٣ - كان سماحة الشَّيخ يتوقَّف عن الشَّرح يسيراً كي يُكمِل الوالد الكتابة.

٤ - كان الوالد في بعض الأحيان يستأذن للخروج من الدَّرس لحاجة، فإذا رجع، أعاد سماحته ما فات الوالد من الشَّرح.

---

(١) الجُدَريُّ: قروحٌ في البَدَن تَنَفَّطُ عن الجلد، مُمْتَلِئَة ماءً، وتَقَيَّحُ. لسان العرب (٤/ ١٢٠).

(٢) أي: قف في قراءة هذا اليوم إلى هنا - كتاب الوقف -.

٥ - رفع سماحة الشَّيخ للملك سعود رحمهما الله قائمة بأسماء الطُّلَّاب النَّوابغ لديه لتكريمهم، وكان من ضِمنهم الوالد، وكان أصغرَهم.

٦ - لمَّا عَيَّنَ سماحةُ الشَّيخ طُلَّابَه في مناصب، قال للوالد رَحِمَهُ اللَّهُ: «لم نَنْسَك يا مُحمَّد، نريدُك في مكانٍ لائق»، فقال له الوالد: «أريد أن أتفرَّغ لمساعدة والدي في جمع الفتاوى، ولإخراج تقريراتكم».

٧ - حَرَص سماحته أنْ يقوم الوالد بطَبْعِ مجموع فتاوى شيخ الإسلام؛ فكتبَ للوالد: «نُعمِّدك بسرعة السَّفَر إلى مكَّة المكرمة لتلك المُهِمَّة».

٨ - فرَّغ سماحتُه الوالدَ من التَّدريس وجميعِ أعماله لطَبْعِ مجموع فتاوى شيخ الإسلام، فكتب له: «عَمَلُك في التَّدريس بمعهد الرِّياض محفوظٌ لك بعد عودتك من هذه المهمَّة - إن شاء اللَّه -، وتُعفَى من التَّدريس بمكَّة، أو أيِّ عمل خلاف ما انتُدِبتَ له».

٩ - كان سماحته يَثِقُ بالوالد، فكتب له بخصوص طَبْعِ مجموع فتاوى شيخ الإسلام: «المُصَحِّحون والنُّسَّاخ على حسب اختيارك».

١٠ - كان يُتابِع عمل الوالد في طباعة مجموع فتاوى شيخ الإسلام، ويدعو له بالتَّوفيق، فكتب له: «عليك بالمبادرة بالسَّفَر على هذه الأُسُسِ، والاجتهاد في إنجاز ما وُكِّل إليك من عمل، وإخبارنا دائماً بمراحل العمل وتطوُّراته، والتَّعقيب على المطبعة دائماً وأبداً في إنجازه، واللَّه يُوَفِّقُك».

١١ - كان سماحته يفرح بما يُقَدِّمه الوالد من نَفْعٍ للمسلمين؛ حدَّثني الوالد رحمه الله فقال: «لمَّا فرغتُ من تحقيق وتكميل كتاب (نقض تأسيس الجَهميَّة) لشيخ الإسلام، قال لي الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم: سنذهب معاً للملك فيصل لطباعته، فوافق الملك على طباعته».

١٢ - سماحة الشَّيخ والجَدُّ عبد الرَّحْمَن ابن قاسم رحمهما الله أقرانٌ في السِّنِّ، فسماحته أسنُّ من الجَدِّ بعامٍ واحدٍ، وقد طَلَبا العِلم معاً على العلماء منذ عام (١٣١٥هـ)، وبينهما أُخوَّة وصداقة ومراسلات، وكان الجَدُّ يُلَقِّب سماحته بـ«الشَّيخ الوالد» تقديراً له، وسماحته يُجِلُّ الجَدَّ، ويقرأ مؤلَّفاته في دروسه كـ«أصول الأحكام»؛ بل كان سماحته يطلب مُسَوَّدة حاشية الجَدِّ على الرَّوض المُرْبع لتُقرَأ عليه حين تحضيره لدرس الغد.

وزادت العلاقة متانةً بقُرْبِ الوالد من سماحته، فبلغ زمن العلاقة بينهما أربعة وسبعين (٧٤) عاماً - من عام (١٣١٥هـ) إلى حين وفاة سماحته عام (١٣٨٩هـ) -، لذا كان سماحته رحمه الله يقول مراراً: «نحن وابن قاسم شيءٌ واحدٌ».

ولا تزال العلاقة مُستمرَّة بين الأسرتين منذ مئة وثلاثين (١٣٠) عاماً إلى اليوم، محفوفةً بالمَودَّة والتَّقدير.

١٣ - بَعَثَ سماحة الشَّيخ للجَدِّ رسالةً، كتب في آخرها: «وسلِّم على ابنكم مُحمَّد كثيراً».

مَكانةُ سماحة الشَّيخ عند الوالد رَحِمَهُمَا اللَّهُ

نَشَأ الوالد منذ صغره في كَنَفِ سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ، ولِمَا يتَّصِفُ به سماحته من أخلاق عالية وعِلميَّة فريدة؛ أحبَّه الوالد حُبّاً جَمّاً، وكانت له منزلة عالية عنده، ويتبيَّن ذلك بالآتي:

١ - سألتُ الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ: «كيف كان حبُّك لسماحة الشَّيخ؟» فقال: «كُنَّا في الطَّريق من الرِّياض إلى مكَّة للحَجِّ في سيارة قبل سيارة الشَّيخ بمسافة، فتأخَّرَت سيارة الشَّيخ كثيراً، فتوقَّفنا لانتظاره، وجلستُ أبكي؛ خشِيتُ أنَّ الشَّيخ أُصيبَ بشيء، فلمَّا قَدِم الشَّيخُ فرحت فرحاً شديداً، وذهبتُ للسَّلام عليه»، فقلتُ للوالد: «هل عَرَفَ الشَّيخ أنَّك كنتَ تبكي عليه؟» قال: «نعم، عَرَفَ ذلك من صوتي».

٢ - مِنْ حبِّ الوالد لسماحته: أنَّه كتب بخطِّه وصْف لباسه وَصْفاً دقيقاً فقال: «جَيْبُ شيخنا على صدره وهو مخفيٌّ تحت الثَّوب - لا فوقه، ولا في جنب الثَّوب كما هو الآن -، فيه الخَتْم، والعُود (الطِّيب)، والمفاتيح، والمِسواك».

٣ - كنتُ إذا أَردْتُ أن يُسَرَّ الوالد، أقول له: «حدِّثني عن سماحة الشَّيخ»؛ فيدخله السُّرور سريعاً، ويسترسل في الحديث عنه.

٤ - كان الوالد يُوصِي بقراءة كتب سماحته، فكتب الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ: «مَنْ فاتته القراءة على شخصه فليستمع إلى ما قرَّره».

وكتب أيضاً: «مَنْ لم يُدرِك هذا الشَّيخ ليُسمِّع عليه، ويَسمَع شرحه، فليقرأ هذا الشَّرح[1]».

٥ - كان يُسافِر أسبوعيّاً بالسَّيَّارة من الرِّياض إلى مكَّة ذهاباً وإياباً - ألفاً وثمان مئة (١٨٠٠) كيلومتر -، لطَبْعِ فتاوى سماحته، وقد استمرَّ على ذلك ثمانيَ (٨) سنوات.

٦ - أكبر برهان على مَحَبَّة الوالد لسماحة الشَّيخ؛ أنَّه أفنى جُلَّ عُمُره في حِفظ عِلم سماحته ونَشْرِه.

(١) أي: شرح الرَّوض المُرْبع.

ذَكاؤُه

مَنَحَهُ اللَّه ذكاءً حادّاً، ونبوغاً مُبَكِّراً، ويتَّضِح ذلك فيما يأتي:

١ - كان يَعقِلُ أموراً وعُمُره أربع (٤) سنوات، فقد سألتُه يوماً: «كم مَكَثَ الجَدُّ في تأليف (حاشية الرَّوض)؟» قال: «كنتُ أراه يكتب فيها وعُمُري أربع (٤) سنوات».

٢ - ظَهَرت عليه علامات النُّبوغ منذ صغره، قال لي الوالد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كان والدي يأمرني أن أطابقَ معه المطبوع من كتاب (الدُّرر السَّنيَّة) مع الأصل، فكان يتجاوزُ بعضَ الأسطر ليختبرني هل أنا متابعٌ معه أم لا؟»، وكان ذلك قبل بلوغه السَّادسة من عُمُره.

٣ - حَفِظ القرآن الكريم في ثمانية (٨) أشهر، وهو في السَّادسة من عُمُره.

٤ - كان يحفظ المتن من قراءته له مرَّة واحدة، وأحياناً مرَّتين؛ كما ذَكَر ذلك عنه الشَّيخ عبد اللَّه ابن جبرين رَحِمَهُ ٱللَّهُ - عضو الإفتاء بدار الإفتاء -، وهو من أقرانه في طَلَب العِلم.

٥ - التحق بدروس سماحة الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم وعُمُره سبع (٧) سنوات.

٦ - كان درسُ سماحة الشَّيخ مُقَسَّماً ثلاثة صفوف؛ الصَّف الأوَّل وهو الصَّف القريب منه، وفيه كبار طلَّاب العِلم أمثال سماحة الشَّيخ عبد العزيز ابن باز رحمه الله، ويليه الصَّف الثَّاني للمتوسِّطين، ثمَّ الصَّف الثَّالث لصغار السِّنِّ وكان الوالد معهم، فلمَّا رأى سماحة الشَّيخ نبوغَه قَدَّمَه إلى الصَّف الأوَّل القريب منه.

قال الشَّيخ عبد اللَّه ابن جبرين رحمه الله: «كان الشَّيخ مُحمَّد ابن قاسم أبرز مَن في الحلقة الذين قرأنا معهم على سماحة العلَّامة مُحمَّد بن إبراهيم، فكان هو الذي يقرأ على الشَّيخ المتن والشَّرح، حيث كان يهتمُّ بحِفظ المتون مع أنَّ في زملائه مَن هو أكبر منه سِنّاً، وأقدم منه تعلُّماً».

وقد حدَّثني الشَّيخ عبد اللَّه ابن غديَّان بمثل ما قاله الشَّيخ عبد اللَّه ابن جبرين رحمهما الله.

٧ - كان مُلِمّاً بالنَّحو، لا يَلْحَن في القراءة؛ لذا اتَّخذه سماحة الشَّيخ قارئاً له في الدَّرس وهو صغير، مع وجود كبار طلَّاب العِلم.

٨ - بدأ في تدوين شروح وفتاوى سماحة الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم وعُمُره سبع (٧) سنوات.

٩ - كان يفهم كلَّ ما يكتبه عن سماحة الشَّيخ من تقريراتٍ وفتاوى ويَعِي معانيَها، قال الوالد رحمه الله: «كلُّ ما كتبتُه عن الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم رحمه الله فقد فَهِمْتُه بحمد اللَّه».

١٠ - لَمَّا لَمَحَ الجَدُّ منه الذَّكاء والعِلم، كَتَبَ في وصيَّته: «والمجلَّد الأخير من شرح أصول الأحكام، والأخير من حاشية الزَّاد[١]، يُكمِلُها مُحمَّد»، وكان الوالد آنذاك في العشرين من عُمُره.

١١ - بدأ مع والده بجَمْعِ فتاوى شيخ الإسلام ابن تيميَّة وهو في العشرين من عُمُره.

١٢ - سَعَة علومه في مختلف الفنون، ويظهر ذلك في فهرسته لفتاوى شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ.

١٣ - قدرته على تمييز كلام شيخ الإسلام من غيره، ويتبيَّن ذلك فيما يأتي:

أ - قال الوالد بعد أن ساق ابنُ القيِّم كلاماً لشيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ: «الكلام متَّصل، ويحتمل أنَّه من كلام شيخ الإسلام، أو شرحٌ له من كلام ابن القيِّم»[٢].

ب - قال الوالد بعد أن ساق ابنُ القيِّم كلاماً لشيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ: «ويحتمل أن كلام ابن تيميَّة انتهى عند قوله: (في هذه الحال)، وأنَّ البقيَّة شرحٌ من ابن القيِّم»[٣].

---

(١) طبع باسم: «حاشية الرَّوض المُرْبِع».

(٢) المستدرك على مجموع فتاوى شيخ الإسلام (١/ ١٨١).

(٣) المستدرك على مجموع فتاوى شيخ الإسلام (١/ ١٨٢).

ج - قال الوالد بعد أن ساق ابنُ القيِّم كلاماً لشيخ الإسلام رحمه الله: «لم يُبَيِّن ابنُ القيِّم رحمه الله متى انتهى كلام شيخه، ويحتمل أنَّه انتهى قبل قوله: (ولهذا...) إلخ»[١].

د - شهادة العلماء له بذلك، قال الشَّيخ حَمَّاد الأنصاري رحمه الله - عضو هيئة التَّدريس بالجامعة الإسلامية -: «لو اجتمع النَّاسُ كلُّهم فتنفَّس ابن تيميَّة، لعَرَف مُحمَّد ابن قاسم نَفَسَه مِن بينهم».

١٤ - قُدرته على تلخيص الكُتُب من غير إخلالٍ بالمعنى، فقد لَخَّص بخطِّ يده جميع كتب ابن القيِّم وعُمُره اثنا عشر (١٢) عاماً.

١٥ - لنبوغه المُبَكِّر كُلِّف بالتَّدريس في معهد إمام الدَّعوة العِلميِّ بالرِّياض وهو طالبٌ في كُلِّيَّة الشَّريعة، وقد سألتُ الشَّيخ داود العلواني - أحد طلَّابه في المعهد -: كيف استطاع أن يجمع بين الدِّراسة والتَّدريس؟ فقال: «هو عالِمٌ كبيرٌ، أعلى عِلميّاً مِن بعض مَنْ يُدَرِّسونَه في الكُلِّيَّة».

١٦ - كان يُلقي دروسه في المعهد والكُلِّيَّة والمسجد عن ظهر قلب.

١٧ - عُرِفَ عنه سرعة بديهته، واستحضاره للجواب الدَّامغ.

---

(١) المستدرك على مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٥/ ٥٤).

عِبادتُه

علماء الأُمَّة الرَّبَّانيُّون يجمعون بين العِلم والعَمَل، وهي سُنَّة توارثها العلماء قرناً بعد قرنٍ، وقد انتظم الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ مع أولئك الرَّكب، ويتبيَّن هذا بالآتي:

١ - كان محافظاً على إخلاصه مع اللَّه، ويخشى ممَّا يُكَدِّره برياء أو سُمعة، فكان لا يُحِبُّ الظُّهور، أو إبراز أعماله، ولم تكن له أيُّ صورة سوى ما في أوراقه الرَّسميَّة.

٢ - بَدَا للنَّاس علاماتُ إخلاصه للَّه، قال سماحة الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «أشهد باللَّه أنَّ الشَّيخَ مُحمَّد ابنَ قاسم مُوحِّدٌ».

٣ - كان كثير الخشية للَّه، جاعلاً ربَّه نُصْبَ عَيْنَيه.

٤ - كان حريصاً على التَّأسِّي بالنَّبيِّ ﷺ، وصحابتِه، وسَلَفِ هذه الأمَّة، قال عنه المُحدِّث الشَّيخ مُحمَّد ناصر الدِّين الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ: «الشَّيخ الفاضل».

٥ - كان كثير التِّلاوة لكتاب اللَّه تعالى في سَفَرِه وحَضَرِه.

٦ - كان يذهب إلى المسجد لأداء الصَّلاة مُبَكِّراً، فيخرج قبل الأذان بربع ساعة، ومعه مفاتيح المسجد، وهو آخر مَنْ يخرج من المسجد.

٧ - كان كثيرَ العبادة؛ يستيقظ قبل الفجر بساعتين ويُصَلِّي إلى أذان الفجر، ثمَّ يذهبُ للمسجد لصلاة الفجر، وبعد الصَّلاة يجلس في مُصَلَّاه يقرأ القرآن الكريم إلى ارتفاع الشَّمس، ثمَّ يُصَلِّي ركعتين.

٨ - لا يَدَع قيام اللَّيل ولو في سفَرٍ في ليلةٍ شاتية، وإذا وافقت قيادته للسَّيَّارة ليلاً صَلَّى قيام اللَّيل وهو يقود السَّيَّارة.

٩ - كان ينقطع للعبادة في المسجد الحرام كلَّ عامٍ في شهر رمضان.

١٠ - كان شديد الوَرَع، قال الشَّيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «العالِمُ الوَرِعُ، التَّقِيُّ، الخفيُّ».

١١ - كان يغضب غَضَباً شديداً إذا تَخَلَّف أحد أبنائه عن صلاة الجماعة حتَّى وهم كبار.

أَخلاقُه

كان رَحِمَهُ اللَّهُ مُتَّبِعاً للكتاب والسُّنَّة، سائراً في ذلك على هَدْي السَّلَف، وكان هذا ظاهراً عليه في أخلاقه، وسَمْتِه، ووَقَاره، وسلوكه، ومعاملته مع ربِّه ومع النَّاس؛ ويتبيَّن هذا بما يأتي:

١ - نُصْحُه للمسلمين في معتقدهم وأخلاقهم، قال الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ في مقدِّمة كتابه - «أبو بكر الصِّدِّيق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أفضل الصَّحابة، وأحقُّهم بالخلافة»[1] -: «وأنا أَودُّ أن يكون هذا الكتاب أو مثله في بيت كلِّ مُسلمٍ؛ تكميلاً لمَحبَّتنا، وتَحصيناً لذرِّيَّتِنا».

٢ - كان يُحِبُّ الصَّالحين ولو كانوا من الأبعدين، ويُبغِض العاصين ولو كانوا من الأقربين.

٣ - كان بارّاً بوالِدَيْه، لا يدع زيارتهما، ولمَّا كان في مكَّة كان يُسافِر لزيارتهما ثمَّ يعود، ولمَّا مَرِضَ والده، سافر به إلى الخارج للعلاج، ومَكَثَ معه عِدَّة أشهر.

٤ - كان والده رَحِمَهُ اللَّهُ يُحبُّه كثيراً؛ لمَّا سافر الوالد إلى مكَّة لطبع فتاوى شيخ الإسلام بَعَثَ له والده رسالةً بخَطِّه، فيها: «ونرجو بِرَّكم ودعاءكم لنا بعد الوفاة وفي الحياة، كما هو مبذول لكم».

---

(١) (ص٩٧).

٥ - كان واصلاً لرَحِمِه؛ ولا يتخلَّف عن مناسبة لهم.

٦ - كان كثيرَ الصَّدَقة والبَذْلِ للفقراء والمحتاجين.

٧ - كان زاهداً في الدُّنيا، مُقبِلاً على الآخرة، فلم يكن يوماً طالباً لشُهْرَة أو منصب، قال الشَّيخ بكر أبو زيد رحمه الله - عضو هيئة كبار العلماء -: «كان رحمه الله عابداً زاهداً».

٨ - صادقُ الحديث، لا يُعرَف أنَّه كَذَبَ كَذْبة قط.

٩ - عَفُّ اللِّسان؛ لا يُعرَف أنَّه اغتاب أحداً.

١٠ - لا ينشغل بما لا يعنيه؛ لمَّا ضعف سَمْعُه قليلاً آخرَ عمره، عرضت عليه الذَّهاب للمستشفى، فقال لي: «أكثر كلام النَّاس لا حاجة لي بسماعه».

١١ - شديدُ التَّواضع مع النَّاس.

١٢ - اشتُهِرَ بالأمانة.

١٣ - عُرِفَ بالوفاء وردِّ الجميل لأهله.

١٤ - حريصٌ على الكَسْبِ الحلال، بعيد عن المشتبهات فَضْلاً عن المُحَرَّمات.

١٥ - عُرِفَ بالكرم والسَّخاء.

صِفاتُه

كان يَتَحَلَّى بصفات خُلُقيَّة حميدة، ومِنْ ذلك:

١ - حبُّه للعِلْم - طلباً، وقراءةً، وتأليفاً، ودلالة عليه -؛ لمَّا ضعُف بصره قليلاً آخرَ عمره، كان يقرأ ويكتب وعدسة تكبير الحروف بيده اليسرى.

٢ - شديدُ الصَّبر في طَلَبِ العِلم ونَشْرِه - جمعاً وتأليفاً -.

٣ - كان يعكف على القراءة السَّاعات الطِّوال، حدَّثني رَحِمَهُ اللَّهُ يوماً فقال: «صلَّيتُ العشاء، ثمَّ قرأت في (منهاج السُّنَّة) لشيخ الإسلام، فلم أشعر إلَّا والمؤذِّن يُؤَذِّن الفجر».

٤ - كان حريصاً على وقته في الجمع والتَّصنيف، كتب للمطبعة: «بعض الصَّفحات من هذا الكتاب كمُسَوَّدة، لم يكن عندي وقتٌ أُحسِّن فيه الخَطَّ وأتأنَّى».

٥ - تَعلُوه الهيبة والوَقَار، وعليه سَمْتُ العلماء.

٦ - كان مُتَعَفِّفاً عمَّا في أيدي النَّاس؛ أعطيته يوماً سِواكاً فقال: «لو كان مِنْ أَحدٍ غيرك ما قَبِلتُه».

٧ - دَمِثُ الخُلُق، متأثِّرٌ بأخلاق كبار العلماء.

٨ - كثيرُ الصَّمْتِ، ينتقي في حديثه أطايب القول.

٩ - جميلُ العِشْرة، حَسَن المعاملة؛ لا يُؤذي أحداً بقولٍ أو فعل.

١٠ - واسع الحِلْم؛ لا يُعرَف عنه الغضب.

١١ - كان حَيِيّاً وقوراً، لم أَرَهُ كاشفاً عن رأسه حتى في البيت، ولم أُشاهِد شعر رأسه إلَّا وهو مُحرِم بالحجِّ أو العمرة.

١٢ - كان قليلَ النَّوم، فاغتنَمَ حياته بالعبادة والعِلم.

١٣ - كان يستمع لمَن يُسدِي له نُصْحاً أو إشارةً له بخير؛ كان يصلي آخر اللَّيل مُدَّة ساعة، فقلتُ له: «ساعة قليل»، فرأيته يقوم بعدها ساعتين، وأشرتُ عليه أن يَضَع له وقفاً، فوقف عقاراً للفقراء.

وأمَّا صفاته الخَلْقِيَّة: فكان طويل القامة، متوسِّط البُنْيَة، قمحيَّ اللَّون، على وجهه أثر الجُدَريِّ، لحيته ليست بالكثيفة، شعره أسود وخَطَّ الشَّيْبُ نِصفَه.

مَواهِبُه

وَهَبَه اللَّه مواهب فريدة سَخَّرَها لخدمة الإسلام والمسلمين؛ ومِنْ مواهبه رَحِمَهُ اللَّهُ:

١ - كان جَهْوَرِيَّ الصَّوت، فصيحاً في القراءة.

٢ - سرعة قراءته للكُتُب، فكان يقرأ الصَّفحاتِ الكثيرةَ في وقتٍ وَجيزٍ.

٣ - يسَّر اللَّه له قراءة المخطوطات المُتعذِّر قراءتها على أربابها المختصِّين، وهذه الموهبة سَهَّلَتْ له إخراج كتب شيخ الإسلام ابن تيميَّة المخطوطة رغم صعوبتها.

٤ - أثناء متابعته لطباعة فتاوى شيخ الإسلام وفتاوى الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم بالآلات القديمة، كانت تُعرَض عليه الصَّفحة مقلوبةً لمراجعتها، فكان يَقرؤُها بكل سهولةٍ ويُسْرٍ.

٥ - مَنَحَه اللَّه سرعة الكتابة بشكلٍ عجيب، وقد شَهِد له بذلك أقرانه، أمثال: الشَّيخ عبد اللَّه ابن جبرين، والشَّيخ عبد اللَّه ابن غديَّان، والشَّيخ عبد اللَّه ابن عقيل - رئيس الهيئة الدَّائمة في مجلس القضاء الأعلى - وغيرهم.

وقد رأيتُه رَحِمَهُ اللَّهُ عِدَّة مرَّات يكتبُ ما يتكلَّم به الشَّخص بكلامٍ سريعٍ، ولا يفوتُه منه شيءٌ.

٦ - الجَلَدُ في الكتابة، فقد كَتَبَ بنفسه المجلَّدات الكثيرة، ومن ذلك ما يأتي:

أ - كَتَبَ عن سماحة الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم في درسه أكثر من ثلاثين ألف (٣٠,٠٠٠) ورقة، في أكثر من ألف (١,٠٠٠) دفتر.

ب - كَتَبَ بيده فتاوى ورسائل سماحة الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم، وأخرجها في مجموع حافل، بَلَغَ ثلاثة عشر (١٣) مجلَّداً.

ج - كَتَبَ فتاوى شيخ الإسلام ابن تيميَّة البالغة سبعة وثلاثين (٣٧) مجلَّداً.

د - كَتَبَ بيده «المُستدرَك على فتاوى شيخ الإسلام» البالغ خمسة (٥) مجلَّدات أكثر من مرَّة.

هـ - لَخَّصَ جميع كتب ابن القيِّم في عِدَّة مجلَّدات.

٧ - كان ذا فراسة قويَّة لا تكاد تُخطِئ، وله في ذلك مواقف كثيرة.

خطُّ شيخِ الإسلام الَّذي قرأه الوالد وطَبَعَه



حُسْنُ جَمْعِه وتَأْلِيفِه

امتاز رحمه الله بتحصيل الفنون المُتَعَدِّدة، ودِقَّة الجَمْعِ، وجَوْدَة التَّأليف، وحُسْنِ التَّرتيب والإعداد والإخراج في المُصَنَّفات، وقد نال ذلك بفَضْلِ اللَّه ثمَّ بما مَنَحَهُ من الذَّكاء، وسَعَة الفَهْم، ويَظهرُ ذلك في الآتي:

١ - جَمْعُه مع والده لـ«مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيميَّة»؛ في خمسة وثلاثين (٣٥) مجلَّداً، وكانت مُدَّة جَمْعِها وطَبْعِها أربعين (٤٠) عاماً، ومِنْ عَملِ الوالد فيها:

أ - سافر إلى الشَّام والعراق ومصر وباريس لجمع مخطوطات فتاوى شيخ الإسلام.

ب - قال الوالد رحمه الله عمَّا وَجدَه هناك من مخطوطات لشيخ الإسلام: «وفيها من خَطِّ شيخ الإسلام بيده ما يزيد على ثمان مئة وخمسين صحيفة لم يَسبِق لأحدٍ العثور عليها».

ج - تصفَّح خلال سِتَّة أشهر من رحلته تسع مئة (٩٠٠) مجلَّد من اثني عشر ألف (١٢٠٠٠) مجلَّد مخطوط.

د - شاهَدَ المحدِّثُ الشَّيخ مُحمَّد ناصر الدِّين الألباني رحمه الله الوالدَ في المكتبة الظَّاهريَّة بدمشق وهو في العشرين مِنْ عُمُره يُفَتِّش في مئات المخطوطات والمجلَّدات؛ بحثاً

عن فتاوى لشيخ الإسلام، فعَجِب مِنْ صنيع الوالد، فدَوَّن شهادة بخَطِّه، هذا نَصُّها:

«فبياناً لِمَا رأيتُ بنفسي، أشهد بما يأتي: لقد رأيتُ الشَّيخ الفاضل مُحمَّد بن عبد الرَّحْمَن ابن قَاسم في المكتبة الظَّاهريَّة بدمشق سنة (١٣٧٢هـ)، وهو مُهتمٌّ اهتماماً بالغاً بدراسة مئات المخطوطات - من رسائلَ ومجلَّدات - المحفوظة في المكتبة؛ لاستخراج ما قد يكون فيها من فتاوى لشيخ الإسلام ابن تيميَّة رحمه اللَّه تعالى...».

هـ - قال الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ واصفاً مَشَقَّة قراءة مخطوطات شيخ الإسلام، وأمانته في نَسْخِها وإخراجها للنَّاس: «ومَنْ عَثر على بعضها لا يستطيع قراءتها؛ لصعوبة الخَطِّ، أو عدم حفظ المعاني التي يبحثها الشَّيخ رَحِمَهُ اللَّهُ؛ فمن ثمان مئة سنة لم يقرأها، ولم يتحمَّل نَسْخها ومسؤوليتها إلَّا أنا».

٢ - «فهرس مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيميَّة»؛ في مجلَّدين.

وهو فهرسٌ لا نظير له في المُصَنَّفات، يُوحِي بقوَّة عِلمه، وذكائه، وفَهْمِه، ورسوخِه في مختلف العلوم، فلا توجد مسألة أو بحث مقصود أو مستطرد إلَّا ذكره في الفهرس، قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «ما لم يكن موجوداً في هذين المجلَّدين فليس موجوداً في الخمسة والثَّلاثين».

ومثل هذا العمل يَتعسَّر على مجاميع عِلميَّة أن يعملوا مثلَه، وقد تَتَبَّعتُ فهرسته مراراً مُستعيناً بالتقنية الحديثة، فلم أجده فاته منها شيءٌ.

٣ - «المُستدرَك على مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيميَّة»؛ في خمسة (٥) مجلَّدات.

جَمَع فيه جميع أقوال شيخ الإسلام مِنْ كتب طلَّابه وغيرهم، كما أضاف إليه مخطوطات لشيخ الإسلام ليست في «مجموع الفتاوى»، وقد مَكَثَ في جمعه ثلاثة عشر (١٣) عاماً، وقرأ الوالد لجمع هذا الكتاب أكثر من مئة (١٠٠) مجلَّد.

٤ - تصحيح وتكميل وتعليق على كتاب «بيان تلبيس الجهميَّة» لشيخ الإسلام الذي قال عنه ابنُ عبد الهادي ﷺ: «كتابٌ جليلُ القَدْرِ معدومُ النَّظير، كَشَفَ فيه الشَّيخ أسرار الجهميَّة، وهَتَكَ أستارَهم، ولو رَحَلَ طالبُ العِلم لأجل تحصيله إلى الصِّين ما ضاعت رحلتُه»[1].

وهو قطعة مخطوطة حَقَّقَها، وأكمل ما نقص منها من كُتُب شيخ الإسلام المخطوطة والمطبوعة.

٥ - تَبَحُّره في كُتُب شيخ الإسلام ﷺ، وقدرته على اختيار العِلم الدَّقيق منها، ويظهر ذلك في الآتي:

أ - كتابه: «آل رسول اللَّه ﷺ وأولياؤه»، وقد انتقاه من «منهاج السُّنَّة النَّبويَّة»، ومَنْ طالَعه رأى فيه العجب.

---

(١) العقود الدُّرِّيَّة (ص٤٤).

ب - كتابه: «أبو بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه أفضل الصَّحابة، وأحقُّهم بالخلافة»، والذي انتقاه أيضاً من «منهاج السُّنَّة النَّبويَّة»، قال في مُقَدِّمتِه[1]: «مُفَرَّقٌ في ثنايا (المِنْهَاجِ)، لا يُحْصَلُ عليه كاملاً إلَّا بمُطالعةِ الكتاب كلِّه، وفي ذلك مَشَقَّةٌ، ويحتاج إلى وقتٍ».

٦ - إلمامه بمؤلَّفات ابن القيِّم رحمه الله، فقد استخرج مِنْ كتبه كتابَ خُطَبٍ سمَّاه: «موضوعات صالحة للخُطَب والوعظ».

٧ - مِنْ حُسْنِ سَبْكِه، وعجيب تصنيفه للكُتُب الثَّلاثة «آل رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم، وأبو بكر رضي الله عنه، وموضوعات صالحة للخُطَب والوعظ»: أنَّ كلَّ جملة فيها انتقاها من موضع، حتى إنَّ القارئ يَظُنُّ أنَّ شيخ الإسلام وابنَ القيِّم رحمهما الله صَنَّفا هذه الكتب مُفْرَدَة في هذا الموضوع؛ ولا أظنُّ أنَّ أحداً في هذا العصر يصنع مثل ذلك.

٨ - جَمْعُه لـ«فتاوى ورسائل سماحة الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم رحمه الله» في ثلاثة عشر (١٣) مجلَّداً من تسع جهات مُتَفَرِّقة[2]، وقد مَكَثَ في جمعها ثلاثة عشر (١٣) عاماً.

٩ - فهرسته لـ«فتاوى سماحة الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم» فهرسة تفصيليَّة بديعة.

---

(١) (ص٩٨).

(٢) وهي: الشُّروح التي كان يُدَوِّنها من دروس سماحة الشَّيخ من عام (١٣٥٧هـ) إلى عام (١٣٨١هـ)، ودار الإفتاء، ورئاسة القضاة سابقاً (وزارة العدل حاليّاً)، والمكتب الخاص لسماحة المفتي، والدِّيوان الملكي، وديوان رئاسة مجلس الوزراء، ومكتبة سماحته، ومن الدُّرر السَّنيَّة في الأجوبة النَّجديَّة، وممَّا جمعه من أيدي بعض طلَّاب العِلم. فتاوى ورسائل سماحة الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم (١/ ٥).

شهادة الألبانيِّ للوالد رحمهما الله

بسم الله الرحمن الرحيم

حمدًا لله، وصلاةً وسلامًا على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه.

أما بعد، فبيانًا لما رأيت ينبغي أن أشهد بما يأتي:

لقد رأيت الشيخ الفاضل محمد بن عبد الرحمن بن قاسم في المكتبة الظاهرية منذ سنة (١٣٧٢) وهو مهتم اهتمامًا بالغًا بدراسة مئات المخطوطات من رسائل ومجلدات المحفوظة في المكتبة، لاستخراج ما خفي منها من فتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى.

ولقد وفق في ذلك توفيقًا بالغًا لا مثيل له في الجمع، وقرب به ما كان بعيدًا عن أيدي العلماء والطلاب من تراث الشيخ رحمه الله وعلمه، فجزاه الله خيرًا.

ولقد كان من ثمرة طبع تلك الفتاوى تحت عنوان «مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية» في خمس وثلاثين مجلدًا، وفي آخرها مجلدان فهارس تيسر على المرجع استخراج ما يصبو إليه من الأحاديث والمقاطع من الأحكام والأخلاق وغيرها من أبواب الشريعة، وذلك من أجلّ ثمرة فريدة. أقول: والحق كان من ثمرة طبعها توثيق نسبة الكثير من الرسائل التي كانت مطبوعة من قبل مثل كتاب «قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة» وغيرها مما صرح بذكره في مقدمة الشيخ للمجموع (ص م ون)، أثابه الله، وزاده توفيقًا في خدمة العلم.

عمان الأردن، ذي القعدة سنة ١٤١٠هـ

وكتبه

محمد ناصر الدين الألباني

تَلامِيذُه

سَخَّر الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ حياته في طلب العِلم والتَّدريس والجمع والتَّأليف، وقد كانت مسيرته في ذلك ما يأتي:

١ - كان يُدَرِّس في معهد إمام الدَّعوة العِلمي بالرِّياض، فدَرَس عليه كبار طلَّاب العِلم، ومِنْ أبرز طلَّابه فيه: سماحة مفتي عام المملكة الشَّيخ عبد العزيز بن عبد اللَّه آل الشَّيخ حفظه الله.

٢ - دَرَس عليه كثيرٌ من طلبة العِلم في كُلِّيَّة أصول الدِّين في جامعة الإمام مُحمَّد بن سعود الإسلاميَّة بالرِّياض.

٣ - كان له طلَّاب في درسه في جامع أبي بكر الصِّدِّيق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالمَلَز بالرِّياض، وكنتُ مِنْ ضِمْنِهم، وقد دَرَسْنا عليه كتاب التَّوحيد والواسطيَّة وغيرهما.

مَكانَتُه العِلميَّة

لِمَا امتاز به الوالد ﵀ مِنْ عِلمٍ رَاسخٍ، ومُصَنَّفات فريدة، وأَعمالٍ جليلةٍ نَفَعَت المسلمين، تبوَّأ مكانةً عِلميَّة؛ ويتبيَّن ذلك بالآتي:

١ - كان سماحة الشَّيخ عبد العزيز ابن باز ﵀ يُكَلِّفه بالإفتاء في دار الإفتاء بالرِّياض، إضافة إلى ما كَلَّفَه به الملك فيصل ﵀ من جمع «فتاوى ورسائل سماحة الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم آل الشَّيخ».

٢ - كان سماحة الشَّيخ ابن باز يسأله عن كلامٍ لشيخ الإسلام في الفتاوى.

٣ - طَلَبَ منه الشَّيخ مُحمَّد ناصر الدِّين الألبانيُّ صورةً من مخطوط كتاب «الضُّعفاء» للذَّهبيِّ.

٤ - كان العلماء يراسلونه عمَّا يُشكِل عليهم من مسائل عِلميَّة، فوجدتُ رسائل من مشايخ بخَطِّهم؛ أمثال الشَّيخ بكر أبو زيد، والشَّيخ حَمَّاد الأنصاريِّ، والشَّيخ إسماعيل الأنصاريِّ - الباحث في دار الإفتاء - ﵏.

٥ - قال الشَّيخ ابن جبرين ﵀: «مُحمَّد ابن قاسم خَيرٌ مِنِّي وأَعلمُ».

٦ - كانت عِلميَّته تفوق الشَّهادات العالميَّة العَالِيَة، فكان يُكَلَّف بمناقشة الرَّسائل العِلميَّة العَالِيَة في الجامعات.

٧ - كان المشايخ يُجِلُّونه ويُوَقِّرونه، فكان سماحة الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم يزوره في بيته، وكذا بقيَّة المشايخ؛ أمثال الشَّيخ عبد اللَّه ابن جبرين.

علاقتي بالوالد رَحِمَهُ اللَّهُ

كنتُ مِنْ أقرب النَّاس للوالد رَحِمَهُ اللَّهُ، وأحبِّهم إليه، وكان يأنسُ بي كثيراً، ويثق بي؛ ويتبيَّن ذلك فيما يأتي:

١ - كان يُوكِل إليَّ تدبير أمور البيت الماليَّة وأنا في سنِّ العاشرة.

٢ - كان يُكَلِّفني بالذَّهاب إلى المشايخ وغيرهم في كثيرٍ من شؤونه.

٣ - كنتُ الوحيد من أقاربه الذي تتلمذ عليه في المسجد.

٤ - كان فرحاً بالتحاقي بدروس المشايخ، وكان إذا خرج من المسجد بعد شروق الشَّمس لا يصعد إلى مكتبته حتَّى أعود من درس الشَّيخ عبد العزيز ابن باز ويسألني: «ماذا قال الشَّيخ من فوائد؟» وأُخبِرُه بها.

٥ - كان يأنسُ بي كثيراً، وعندما صَدَرَ قرار تعييني قاضياً في «البَدْع» - محافظة في منطقة تبوك - وسافرتُ إليها؛ بَكَى بكاءً شديداً.

٦ - كان ناصحاً مُرشِداً لي، ومِنْ نصائحه لي:

أ - كان يأمرني بقيام اللَّيل وعُمُري اثنا عشر (١٢) عاماً، وكان يَقولُ لي: «بعض أهل العِلم يرى وجوب قيام اللَّيل لحافظ القرآن».

ب - لَمَّا عُيِّنت إماماً وخطيباً للمسجد النَّبويِّ، وعند وداعي له للذَّهاب إلى «المدينة المنوَّرة» قال لي: «إذا صَلَّيتَ بالنَّاس راقب مَنْ هو فوقك - يعني: الرَّبَّ عَزَّ وَجَلَّ -، واتَّبع الذي على يسارك - يعني: النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأنَّ قَبرَه يسار محراب المسجد النَّبويِّ -»؛ ومراده رَحِمَهُ اللَّهُ: حَثُّه لي على الإخلاص للَّه، واتِّباع النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

٧ - كنتُ إذا وَدَّعتُه وهو في البيت كي أسافر إلى «البَدْع» أو «المدينة المنوَّرة» يُشَيِّعني إلى باب البيت، وإذا غِبْتُ عنه مُدَّةً يفاجئني بقدومه إليَّ، ويقول: «أنا أحسب لك إذا غِبْتَ عنِّي ثلاثة أشهر أزورك».

٨ - أقامني ناظراً ووصيّاً على جميع ما يَخُصُّه منذ أن كان عمري ثمانية عشر (١٨) عاماً، وقد أكَّد ذلك ووَثَّقَه تحريريّاً تسعَ مرَّات، وبيان ذلك:

أ - أقامني ناظراً على جميع أوقافه، ووَثَّق ذلك في صَكٍّ من المحكمة، ونصُّه: «والنَّاظر على هذا الوقف بعد الوصي: ابنه عبد المُحسِن، ثمَّ الصَّالح من الذُّرِّيَّة الذي يُعَيِّنه هو».

وفي صَكٍّ آخرَ نصُّه: «وجَعَل النّظارة على هذا الوقف بعده لابنه عبد المُحسِن».

وكَتَبَ بخَطِّه: «والنَّاظر على هذا الوقف وذاك: ابني الشَّيخ عبد المُحسِن».

ب - أقامني وصيّاً على جميع وصاياه، ووَثَّق ذلك في صَكٍّ من المحكمة، ونصُّه: «والنَّاظر على تنفيذ هذه الوصيَّة: ابني عبد المُحسِن».

وكَتَبَ بخَطِّه آمراً بذلك: «والوكيلُ على الوصايا: ابني عبد المُحسِن؛ مقرّاً به آمراً».

وكَتَبَ بخَطِّه أيضاً: «والوكيل على تنفيذ هذه الوصيَّة ابني عبد المُحسِن».

٩ - آخر حَجَّة حَجَّها طَلَبَ منِّي أن أحجَّ معه، ولمَّا كنَّا في الطَّريق قال: «أريدك أن تَحُجَّ معي كلَّ سنة».

١٠ - قبل موته بعشرة أيام قال لي: «منذ أن مات والدي وأنا أعتمرُ عنه كلَّ عام في رمضان»؛ إشارةً منه لي أن أفعل له مثل ذلك بعد موته؛ فأصبحت أعتمر عنه كلَّ شهر.

١١ - قبل وفاته بثلاثة أيَّام قال: «عبد المُحسِن سواد عيوني، وما ضَيَّقَ صدري في شيء من يوم طَلَعَ على الدُّنيا».

١٢ - قبل وفاته بيومين قال لي: «إذا متُّ فزُرْنِي».

١٣ - آخر صلاةٍ صَلَّاها صلاة الفجر، وكنتُ إماماً له؛ فقد كنتُ بجانبه قبل الإقامة، ثمَّ قَدَّمني للصَّلاة نيابةً عنه، فقرأتُ فيها سورة الواقعة، ثمَّ توفِّي بعدها بساعات.

وَصيَّة الوالد لي بإخراج كُتُبِه

كما أوصاني الوالد رَحِمَهُ اللهُ بجميع ما يَخُصُّه بعد وفاته مشافهة وكتابة، أوصاني أيضاً بإخراج كُتُبِه، وبيان ذلك ما يأتي:

١ - كان يُخبِرني بتفصيل ما يعمله من كُتُبِه، ومراحل عمله فيها.

٢ - أوصاني شفويّاً وتحريريّاً مراراً بتحقيق كُتُبِه وطبعها، وبيان ذلك:

أ - بَيَّنَ في وصيَّتِه لي بخَطِّه مواضعَ كُتُبِه التي شَرَعَ فيها فقال: «شرح التَّوحيد والواسطيَّة في شَنْطة في الدُّكَّان - مستودع كُتُبِه -، وشرح الرَّوض بقيَّته في الصُّندوق الأخضر».

ب - حين زيارتي له في الرِّياض، وبعد خروجي من المسجد بعد صلاة العشاء قال لي: «سأقول لك كلاماً ضَعْهُ في سِرِّك، أخشى أنِّي أموت قريباً، وقد وضعتُ لك مُسَوَّدة كتاب (المستدرك على مجموع فتاوى ابن تيميَّة)، وهو في خمسة مجلَّدات، في الشَّنْطة، في الدَّالوب الثَّاني على اليسار، لو متُّ اطبعه».

ج - أوصاني بإخراج كتابه «المستدرك على فتاوى ابن تيميَّة»، وكَتَبَ بخَطِّه: «الابنُ عبد المُحسِن حفظه الله:

(المستدرك على فتاوى ابن تيميَّة) في الشَّنْطة، في الدَّالوب الثَّاني على اليسار، إنْ قُدِّر عَلَيَّ بشيءٍ قبل تبييضه، بَيِّضْهُ واطبَعْهُ على حسابي، وحقوقه له - لعبد المُحسِن -، أثابك اللَّه».

د - أوصاني وأَمَرَني في الوصيَّة بتحقيق وطَبْع جميع كُتُبِه بعد وفاته، فكتب بخَطِّه: «إن أراد عبد المُحسِن يُحَقِّقها فبعد - أي: بعد وفاته -؛ مُقِرّاً به آمِراً».

٣ - قبل وفاته بخمسة أيَّام، وَضَعَ في يدي مُسَوَّدة «شرح الرَّوض المُرْبع»، وفتَح على آخرِ صفحةٍ عَمِلَ عليها، وقال: «وصلتُ في العمل إلى هذه الصَّفحة».

٤ - قال الوالد رحمه الله: «دعوتُ اللَّه عند المُلْتَزَم أنْ يرزقني ولداً بارّاً بي ينفعني»؛ ولعلَّ اللَّهَ استجاب دعوته بما أوصاني به من تحقيقِ وطبع كُتُبِه، وبما جعلني ناظراً لأوقافه، ووصيّاً على وصاياه.

٥ - رأيتُ فيه رؤى كثيرة جدّاً، كلُّها تَدُلُّ على سروره بالعمل على تحقيق كُتُبِه وإخراجها.

وَصايَاه لي، وإقامتي ناظراً على أوقافه





وجعل النظارة على هذا

الوقف بعده لأبنه عبد المحسن ثم الصالح من الذرية الذي يعينه هو

القاضي بالمحكمة

بسم الله الرحمن الرحيم

محمد بن عبد الرحمن بن قاسم
المملكة العربية السعودية

الرقم ....
التاريخ ....
التوابع ....

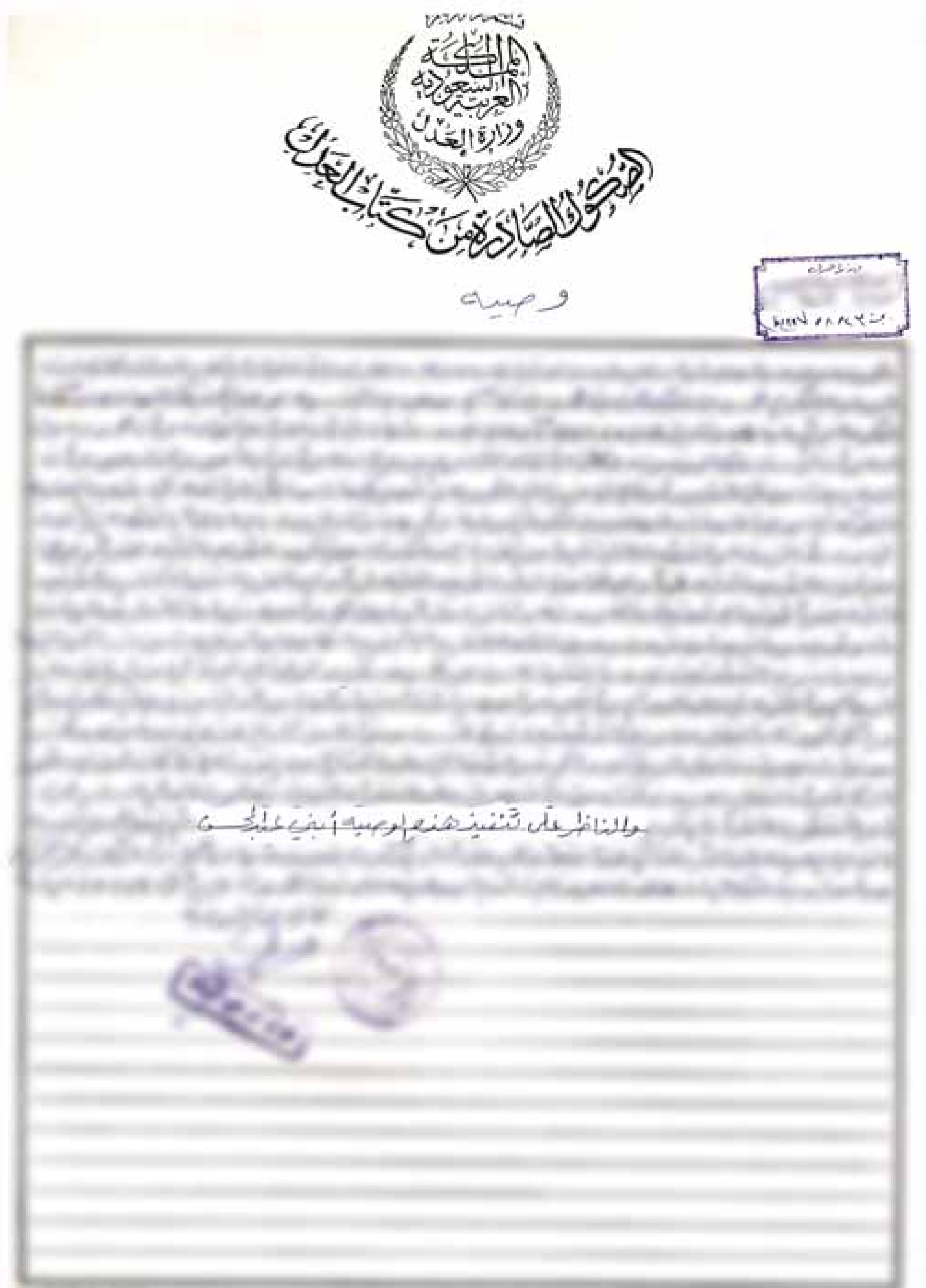
بسم الله الرحمن الرحيم

يعلم من يراه بأني كاتب هذه الأحرف محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن قاسم

والناظر على هذا الوقف وذلك ابني الشيخ عبد المحسن

وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم

محمد بن عبد الرحمن بن قاسم



المملكة العربية السعودية
وزارة العدل
الصكوك الصادرة من كتاب العدل

وصية

والناظر على تنفيذ هذه الوصية ابني علي الحسني

بسم الله الرحمن الرحيم

ص تابعه لملحق الوصية

محمد بن عبد الرحمن بن قاسم

المملكة العربية السعودية

والوكيل على الوصايا ابني عبد المحسن

بسم الله الرحمن الرحيم

محمد بن عبد الرحمن بن قاسم

المملكة العربية السعودية

بسم الله الرحمن الرحيم

وأشهد أن لا إله إلا الله

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله

الرقم ....

التاريخ اثنا عشر ربيع الثاني

التوابع عام سبعة عشر وأربعمائة وألف

وهذا ما أوصى به كاتب هذه الأسطر محمد بن عبد الرحمن ابن محمد بن قاسم

والوكيل على تنفيذ هذه الوصية ابني عبد المحسن

محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن قاسم

بسم الله الرحمن الرحيم

محمد بن عبد الرحمن بن قاسم
المملكة العربية السعودية

بسم الله الرحمن الرحيم
تابع للوصايا

الرقم
التاريخ ١٥/٦/١٤٢١هـ
المرفقات

الكتب شرح التوحيد والواسطية مشتغلة في الدكان وشرح الروض بقيته في الصندوق الأخضر

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله

١٥/٦/١٤٢١هـ كتبه/ محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن قاسم
محمد بن قاسم

١٠٠

الأخ عبد المحسن حفظه الله

المستدرك على فتاوى

ابن تيمية في الشنطة

في الدالوب الثاني

على اليسار

إن قدر على شيء فقبل

تبييضه بنصه واطبعه

على حسابي وحقوقه له

رعاك الله

محمد بن عبدالرحمن بن قاسم
المملكة العربية السعودية

الرقم
التاريخ ١٥/١٢/١٤١٠هـ
التوابع

إن ابن د عبدالمحسن يحققها فبعد

مقدره أخوك محمد

الأعمال الَّتي قام بها

لِمَا امتاز به الوالد ﵀ من العِلم والنُّبوغ؛ قام بعدَّة أعمال، منها:

١ - في عام (١٣٧٤هـ) عُيِّن مُعلِّماً في معهد إمام الدَّعوة العِلميِّ بالرِّياض، وهو طالب في كُلِّيَّة الشَّريعَة.

٢ - في عام (١٣٨٦هـ) كُلِّف بالعمل في مكَّة المكرَّمة لطبع «فتاوى شيخ الإسلام ابن تيميَّة» في مطابع الحكومة بمكَّة، بالإضافة إلى التَّدريس في معهد مكَّة العِلميِّ.

٣ - في عام (١٣٩٠هـ) صَدَر أمر الملك فيصل ﵀ بأَنْ يُفرَّغ الوالد لجمع «فتاوى ورسائل سماحة الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم آل الشَّيخ».

٤ - في عام (١٤٠٣هـ)، درَّس في كُلِّيَّة أصول الدِّين بجامعة الإمام مُحمَّد بن سعود الإسلاميَّة بالرِّياض.

٥ - في عام (١٤٠٥هـ) اعتذر عن التَّدريس في الجامعة؛ ليتفرَّغ لإخراج شروحات سماحة الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم آل الشَّيخ ﵀.

٦ - في عام (١٤٠٥هـ) أقام دروساً في العقيدة والفقه وغيرهما، في المسجد المُجاوِر لمنزله بالمَلَز بالرِّياض - جامع أبي بكر الصِّدِّيق ﵁ -.

٧ - كان خطيباً للجمعة تسعة وعشرين (**٢٩**) عاماً، خَلَفاً لوالده من عام (**١٣٩٢هـ**) إلى وفاته عام (**١٤٢١هـ**)، في جامع أبي الكِباش في طريق العمارية شمال الرِّياض.

٨ - لحِرْصِه على التَّفرُّغ للعِلم، وزهده في المناصب اعتذر عن أعمالٍ كثيرةٍ؛ منها:

أ - عضويَّة هيئة كبار العلماء.

ب - القَضَاء.

ج - إدارة الدَّعوة في الخارج التَّابعة لدار الإفتاء سابقاً.

آثَارُه ومُصنَّفاتُه

كان رحمه الله مُحِبّاً للعلماء، شديد الحُبِّ لشيخ الإسلام ابن تيميَّة، وتلميذه ابن القيِّم، وسماحة الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم رحمهم الله، بارّاً بهم، وَفِيّاً لهم، فقَضَى عُمُره في إخراج عِلْمِهم للمسلمين، ويظهر ذلك فيما يأتي:

١ - «مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيميَّة»، جَمَعَها مع والده في خمسة وثلاثين (٣٥) مجلَّداً.

٢ - فهرس «مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيميَّة»؛ في مجلَّدين.

٣ - «المستدرك على مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيميَّة»؛ في خمسة (٥) مجلَّدات.

٤ - «بيان تلبيس الجهميَّة في تأسيس بِدَعِهم الكلاميَّة» لشيخ الإسلام ابن تيميَّة؛ تصحيح وتكميل وتعليق في مجلَّدين.

٥ - «آل رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم وأولياؤه»، انتقاه من «منهاج السُّنَّة النَّبويَّة» لشيخ الإسلام ابن تيميَّة.

٦ - «أبو بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه أفضل الصَّحابة، وأحقُّهم بالخلافة»، انتقاه من «منهاج السُّنَّة النَّبويَّة» لشيخ الإسلام ابن تيميَّة.

٧ - «موضوعات صالحة للخُطَب والوعظ»، منتقاة من كتب ابن القيِّم.

٨ - «فتاوى ورسائل سماحة الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم بن عبد اللَّطيف آل الشَّيخ»؛ في ثلاثة عشر (١٣) مجلَّداً.

٩ - فهرس تفصيلي لـ«فتاوى ورسائل سماحة الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم بن عبد اللَّطيف آل الشَّيخ».

١٠ - «شرح العقيدة الواسطيَّة» لسماحة الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم آل الشَّيخ.

١١ - «شرح كشف الشُّبهات» لسماحة الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم آل الشَّيخ.

١٢ - «شرح ثلاثة الأصول» لسماحة الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم آل الشَّيخ.

١٣ - «شرح كتاب التَّوحيد» لسماحة الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم آل الشَّيخ؛ في ثلاثة (٣) مجلَّدات.

١٤ - «شرح الحمويَّة» لسماحة الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم آل الشَّيخ؛ في مجلَّدين.

١٥ - «شرح الأربعين النَّوويَّة» لسماحة الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم آل الشَّيخ.

١٦ - «شرح شروط الصَّلاة وأركانها وواجباتها» لسماحة الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم آل الشَّيخ.

١٧ - «شرح آداب المشي إلى الصَّلاة» لسماحة الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم آل الشَّيخ.

١٨ - «شرح الرَّوض المُرْبِع» لسماحة الشَّيخ مُحمَّد بن إبراهيم آل الشَّيخ؛ يزيد على عشرين (٢٠) مجلَّداً.

وغيرها من شروح سماحته رَحِمَهُ اللهُ.

وَفاتُه

بعد عُمُرٍ زاخرٍ بالعِلم وخدمة الدِّين، رأى الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ ثلاث رؤى تُشير بقُرْبِ أَجَلِه، وفي السَّاعة الثَّامنة صباحاً من يوم الاثنين في السَّابع والعشرين من شهر جُمَادى الآخرة لعام ألف وأربع مئة وواحد وعشرين (٢٧/ ٦/ ١٤٢١هـ) كان الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ يَسِيرُ على قدميه في مدينة الرِّياض، فصدمته سيَّارةٌ مُسْرِعة، وأُصيبَ بإصاباتٍ بَالغةٍ في رأسه وجسده، ثمَّ نُقِل إلى مدينة الملك سعود الطِّبِّيَّة بالرِّياض - المعروفة قديماً بـ«مستشفى الشميسي» - وتوفِّي فيها؛ وهو المستشفى نفسه الذي توفِّي فيه والده رَحِمَهُمَا اللَّهُ.

ومنذ وقوع الحادث إلى أنْ فارق الحياة وهو يتلفَّظ بالشَّهادة، مع أنَّه فاقدٌ وَعْيَه، وقد فارق الحياة عن ستَّةٍ وسبعين (٧٦) عاماً.

وصُلِّي عليه عصر الثُّلاثاء في الجامع الكبير بالرِّياض، في الثَّامن والعشرين من شهر جُمَادى الآخرة، عام ألف وأربع مئة وواحد وعشرين (٢٨/ ٦/ ١٤٢١هـ)، وقد أَمَّ المصلِّين سماحة مفتي المملكة العربيَّة السُّعوديَّة الشَّيخ عبد العزيز آل الشَّيخ، وحَضَرَ الصَّلاة عليه الأمير سلطان بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ - وَلِيُّ العهد -، وسماحة الشَّيخ صالح بن مُحمَّد اللُّحيدان رَحِمَهُ اللَّهُ - رئيس مجلس القضاء الأعلى -،

وجَمْع من العلماء والأعيان، وعامَّة النَّاس، وقد حزن الجميع لوفاته؛ لِمَا قَدَّم من خِدمة عظيمة للدِّين.

وقد قال لي الشَّيخ عبد اللَّه ابن غديَّان رحمه الله: «إنَّه شَهيدٌ بإذن اللَّه؛ لأنَّ الصَّدْمَ بالسَّيَّارة كالهَدْمِ، والنَّبيُّ ﷺ قال: (وَصَاحِبُ الهَدَمِ شَهِيدٌ)[١]».

أسأل اللَّه أنْ يغفر له، وأنْ يجزيَه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء، وأنْ يُسكِنَه الفردوس الأعلى بغير حساب.

---

(١) رواه النَّسائي، كتاب الجنائز، النَّهي عن البكاء على الميت، رقم (١٨٤٦)، من حديث جابر بن عَتِيك رضي الله عنه.

قال النَّبيُّ ﷺ:

«أَيُّهَا النَّاسُ، اعْرِفُوا لِأَبِي بَكْرٍ حَقَّهُ؛ فَإِنَّهُ لَمْ يَسُؤْنِي قَطُّ»

أبو بكر الصديق رضي الله عنه

أفضل الصحابة وأحقهم بالخلافة

بسم الله الرحمن الرحيم

المُقَدِّمَةُ

الحمدُ للَّه المَلِك الوَهَّابِ، هو أَعلمُ حيث يجعل رسالتَه، ويختار لكلِّ نبيٍّ حَوارِيِّينَ وأصحاباً، وأشهد أنْ لا إله إلَّا اللَّه وحدَه لا شريك له؛ شهادةً لا يَشُوبُها شِركٌ ولا ارْتِيابٌ، وأشهد أنَّ محمَّداً عبدُه ورسولُه المصطفى، وخَلِيلُه المُجتَبى، صلَّى اللَّه وسلَّم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه أئمَّة الهُدَى، ومصابيح الدُّجى.

أمَّا بعد:

فهذا مُلَخَّصٌ مُرتَّبٌ مُوَثَّقٌ بالأدلَّة مِن الكتاب والسُّنَّة وإجماعِ الأُمَّة في بيان أفضليَّةِ أبي بكرٍ الصِّدِّيق ﷺ، وأحقِّيَّته بالخلافة بعد رسول اللَّه ﷺ، دفعني إليه ما يلي:

١ - امتثالُ أمْرِ رسول اللَّه ﷺ؛ حيث قال: «أَيُّهَا النَّاسُ، اعْرِفُوا لِأَبِي بَكْرٍ حَقَّهُ؛ فَإِنَّهُ لَمْ يَسُؤْنِي قَطُّ»[(١)].

٢ - أنَّ معرفة فضائله من أسباب مَحَبَّته، وقد قال النَّبيُّ ﷺ: «المَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ»[(٢)].

---

(١) قال الوالد رحمه الله: «ويأتي تخريجه تحت عنوان: (لَمْ يَسُؤِ النَّبِيَّ قَطُّ)» (ص١٨٩).

(٢) رواه البخاري، كتاب الأدب، باب علامة حُبِّ اللَّه ﷻ، رقم (٦١٦٩)، ومسلم، كتاب البِرِّ والصِّلَة والآداب، باب المرء مع مَن أحب، رقم (٢٦٤٠)، من حديث عبد اللَّه بن مسعود رضي الله عنه.

٣ - أَنَّه رُوِيَ عن بعض السَّلَف: «أنَّ حُبَّ أبي بَكرٍ وعمر[١]، ومعرفة فَضْلِهِما من السُّنَّة»:

فَرَوى الإمام أحمد[٢] عَنْ مَسْرُوقٍ[٣] قال: «حُبُّ أبي بَكرٍ وعمر، ومعرفة فَضْلِهِما من السُّنَّة» - ومسروق من أَجَلِّ تابعي أهل الكوفة[٤] -.

وكذا قال شقيق - وهو من التَّابعين[٥] - عن عبد اللَّه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[٦].

---

(١) هو: أبو حفص عمر بن الخطَّاب بن نُفَيْل العَدويُّ القُرشيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ولد بعد عام الفيل بثلاث عشرة سنة، كان إسلامه عِزّاً ظهر به الإسلام، وهو من المهاجرين الأوَّلين، وثاني الخلفاء الرَّاشدين، وأحد العشرة المبشَّرين بالجَنَّة، قتله أبو لؤلؤة المجوسيُّ سنة (٢٣هـ). الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٣/ ١١٤٤)، أُسْد الغابة في معرفة الصَّحابة (٣/ ٦٤٢).

(٢) في العِلَل ومعرفة الرجال (١/ ٤٥٢).

والإمام أحمد هو: أبو عبد اللَّه أحمد بن مُحمَّد بن حنبل الشَّيبانيُّ المَروزيُّ البغداديُّ، ولد سنة (١٦٤هـ)، إمام أهل السُّنَّة والجماعة، وأحد أئمَّة المذاهب الأربعة، توفي رَحِمَهُ اللَّهُ سنة (٢٤١هـ). طبقات الحنابلة (١/ ٤)، سير أعلام النبلاء (١١/ ١٧٧).

(٣) هو: أبو عائشة مسروق بن الأجدع بن مالك الوادعيُّ الهمدانيُّ، تَابعيٌّ ثقة، أسلم في حياة النَّبيِّ ﷺ، توفي رَحِمَهُ اللَّهُ سنة (٦٢هـ). تهذيب الكمال (٢٧/ ٤٥١)، سير أعلام النبلاء (٤/ ٦٣).

(٤) الكوفة: مدينة جنوب بغداد، تَبعدُ عنها مئة وسبعين (١٧٠) كيلومتراً. معجم البلدان (٤/ ٤٩٠)، آثار البلاد وأخبار العباد (ص٢٥٠).

(٥) هو: أبو وائل شقيق بن سلمة الأسديُّ الكوفيُّ، شيخ الكوفة، أدرك زمن النَّبيِّ ﷺ ولم يره، توفي رَحِمَهُ اللَّهُ سنة (٨٢هـ). تهذيب الكمال (١٢/ ٥٤٨)، سير أعلام النبلاء (٤/ ١٦١).

(٦) رواه اللَّالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة (٧/ ١٣١٠)، رقم (٢٣١٩).

وعبد اللَّه هو: أبو عبد الرَّحْمَن عبد اللَّه بن مسعود بن غافل الهُذليُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، كان سادس سِتَّة في الإسلام، وأوَّل مَنْ جَهَرَ بالقرآن بمكَّة بعد رسول اللَّه ﷺ، وقد شهد له رسول اللَّه ﷺ بالجنَّة، توفي سنة (٣٢هـ). الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٣/ ٩٨٧)، أُسْد الغابة في معرفة الصَّحابة (٣/ ٢٨٠).

وقال طاوس[(١)] مثلَ ذلك[(٢)].

ورُوي بالسَّند عن الحسن البَصريِّ رَحَمَهُ اللَّهُ[(٣)]؛ قيل للحسن: «حُبُّ أبي بَكرٍ وعمر من السُّنَّة؟ قال: لا؛ فريضةٌ»[(٤)].

٤ - أنَّ السَّلف كانوا يُعَلِّمون أولادهم حُبَّ أبي بَكرٍ وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا كما يُعَلِّمونهم السُّورة من القرآن[(٥)].

وأنا أودُّ أن يكون هذا الكتابُ أو مثلُه في بيت كلِّ مسلمٍ؛ تكميلاً لمحبَّتنا، وتحصيناً لذرِّيَّتِنا.

٥ - أنَّه يتأكَّد بيان عِلم الصَّحابة، ودينهم، وفضائلهم، وتقديمهم الصِّدِّيق والفاروق؛ إذ جُهِل ذلك.

٦ - أنَّه إذا ظهر مبتدِعٌ يَقدح فيهم بالباطل؛ فلا بدَّ من الذَّبِّ[(٦)] عنهم، وإبطال حُجَّته بعِلمٍ وعدلٍ.

---

(١) هو: أبو عبد الرَّحمَن طاوس بن كيسان الفارسيُّ، ثمَّ اليمنيُّ، الجَنَديُّ، كان من عُبَّاد أهل اليمن، ومن سادات التَّابعين، توفي رَحَمَهُ اللَّهُ سنة (١٠٦هـ). سير أعلام النبلاء (٥/ ٣٨)، تهذيب التهذيب (٥/ ٨).

(٢) رواه اللَّالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة (٧/ ١٣١٢)، رقم (٢٣٢٣).

(٣) هو: أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن يسار البَصريُّ، ولد سنة (٢١هـ)، فقيه زاهد، مُشَمِّر للعبادة، شيخ أهل البصرة، وسيِّد أهل زمانه عِلماً وعملاً، توفي رَحَمَهُ اللَّهُ سنة (١١٠هـ). تهذيب الكمال (٦/ ٩٥)، سير أعلام النبلاء (٤/ ٥٦٣).

(٤) رواه اللَّالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة (٧/ ١٣١٢)، رقم (٢٣٢١).

(٥) قال الوالد رَحَمَهُ اللَّهُ: «ذكره ابنُ الجوزيِّ في فضائل عمر» مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطَّاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ص٤٢).

(٦) أي: الدِّفاع. الصحاح (١/ ١٢٦).

٧ - أنَّه قد يُتوصَّل بالطَّعن فيهم إلى الطَّعن في الرَّسول ﷺ ودين الإسلام، ويُسَلِّط الكفَّار والمنافقين، ويُورِث الشُّبهة والضَّعف عند كثير من المؤمنين؛ كما قال مالك[(١)] - وغيره من أهل العِلم -: «هؤلاء قومٌ أرادوا الطَّعْنَ في رسول اللَّه ﷺ، فلم يُمْكِنْهم ذلك، فَطَعَنوا في أصحابه؛ ليقول القائل: رجل سَوْءٍ كان له أصحابُ سَوْءٍ، ولو كان رجلاً صَالِحاً لكان أصحابه صالحين»[(٢)].

٨ - أنَّ أبا بكر هو أوَّلُهم وهو أفضلهم، فإذا ثَبَتَت أفضليَّته واندفع الطَّعن فيها؛ انسدَّ باب الطَّعن في خليفته عمر، وفي جَعْل عمرَ الخلافةَ في السِّتَّة الذين توفِّي رسول اللَّه ﷺ وهو عنهم راضٍ[(٣)]، رضي اللَّه عنهم أجمعين.

٩ - أن هذا البحث - فضائل الصِّدِّيق وأحقِّيَّته بالخلافة - مُفَرَّق في ثنايا «المنهاج» لا يُحصَل عليه كاملاً إلَّا بمطالعة الكتاب كلِّه، وفي ذلك مشقَّة، ويحتاج إلى وقت؛ لأنَّ ابن تيميَّة رحمه الله لم يُؤَلِّف الكتاب في

---

(١) هو: أبو عبد اللَّه مالك بن أنس بن مالك الأصبحيُّ، ولد سنة (٩٣هـ)، إمام دار الهجرة، وأحد أئمَّة المذاهب الأربعة، توفي رحمه الله سنة (١٧٩هـ). سير أعلام النبلاء (٨/ ٤٨)، الدِّيباج المذهب (١/ ٨٢).

(٢) قال الوالد رحمه الله: «ذكر ذلك الشَّيخ، وابن القيِّم رحمهما الله» مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٤/ ٤٢٩)، الصواعق المرسلة (٤/ ١٤٠٥).

(٣) رواه البخاري، باب قصَّة البيعة، والاتِّفاق على عثمان بن عفَّان رضي الله عنه، رقم (٣٧٠٠)، عن عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه موقوفاً، وفيه: «مَا أَجِدُ أَحَقَّ بِهَذَا الأَمْرِ مِنْ هَؤُلَاءِ النَّفَرِ - أَوِ الرَّهْطِ - الَّذِينَ تُوُفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ عَنْهُمْ رَاضٍ، فَسَمَّى: عَلِيّاً، وَعُثْمَانَ، وَالزُّبَيْرَ، وَطَلْحَةَ، وَسَعْداً، وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ».

فضائل أبي بكر؛ وإنَّما أَلَّفه ردّاً على الرَّافضيِّ، مُتمشِّياً مع عباراته واعتراضاته.

١٠ - أنَّ شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ اللَّهُ قد اعتمد في ذكر فضائل الصِّدِّيق وخصائصه على الآيات الكريمات، وصحاح الأحاديث النَّبويَّة، والآثار السَّلفيَّة، ووضَّح الاستدلال منها، ولم يعتمد على كتب التَّاريخ التي غالبها المراسيل، أو التي يُخلَط الغَثُّ[1] منها بالسَّمين.

لهذا اخترت هذا الموضوع: «**أفضليَّة الصِّدِّيق وأَحقِّيَّته بالخِلافَة**»، ولخَّصتُه من كتابه: «**منهاج السُّنَّة النَّبويَّة في نقض كلام الشِّيعَة والقَدَريَّة**».

١١ - لم أتعرَّض لبعض الفِرق التي أشار إليها الشَّيخ هنا؛ لأنَّ قصدي الأوَّل: أن يكون عند المسلم إلمامٌ كاملٌ بأفضليَّة الصِّدِّيق، وأَحقِّيَّته بالخلافة بعد رسول اللَّه ﷺ.

١٢ - مع أنَّ هذا المُلخَّص في فضائل أبي بكر ومُميِّزاته إلَّا أنَّه في مواضع يَستعرضُ فضائل الصَّحابة عموماً، ويُنَبِّه على مراتب الخلفاء الثَّلاثة وغيرهم.

١٣ - خرَّجتُ الأحاديث التي ذكرها الشَّيخ رَحِمَهُ اللَّهُ، ولم أَتتبَّع كلَّ مَنْ خرَّجها؛ خصوصاً إذا كانت في الصَّحيحَيْن أو أحدِهما.

---

(١) الغَثُّ: الرَّديء مِنْ كلِّ شيءٍ، أو الهزيل. لسان العرب (٢/ ١٧١).

١٤ - وضعتُ لهذه الأبحاث عنوانات تُقَرِّبها، وأرقاماً لبعض الأوجه والأحاديث، وعلَّقتُ على بعض ما قد يُعتبَر من الغريب، أو يحتاج إلى زيادة إيضاح.

اعْتِذَارٌ

١ - لم أستَوْفِ حياةَ الصِّدِّيق وسيرتَه مِنْ حين أسلم إلى أنْ تُوفِّي، وإنَّما اعتنيتُ بالمُهمِّ منها؛ وهو: فضائله، وأحقِّيَّته، ونفعُه العامُّ للإسلام والمسلمين.

٢ - جُلُّ ما في هذا المُلخَّص من كتاب «المنهاج» - كما تقدَّم -؛ لأنَّ مؤلِّفه إمام جليل، وعباراته سهلة رصينة واضحة.

وقد أَضفتُ إليه نقولاً قليلةً جدّاً، أَشرتُ إليها وإلى مصدرها عند ذكرها.

٣ - إذا لم أجد البحث كاملاً إلَّا في موضعين أو أكثر جَمعتُه، وقد أضطرُّ إلى دمجِ بعض عباراته في بعض بدون إخلال، وأشير إلى ذلك بذكر المجلَّد والصَّحيفة، أو المجلَّدات والصَّفحات، وقد اعتمدتُ طبعة مكتبة الرِّياض الحديثة في الجزأين الأوَّل والثَّاني، والأميريَّة في الثَّالث والرَّابع (طبع١٣٢٢هـ).

٤ - قد يكون في النَّقل تقديم أو تأخير، أو مِن آخر الكتاب قبل ما في أوَّله؛ لأجل التَّلخيص والتَّقريب، وترتيب المواضيع والعبارات.

يَحسُن قبل الشُّروع في ذكر فضائل الصِّدِّيق أنْ أَذكُر لمحةً موجزةً - ممَّا في «المنهاج» - في فضائل الصَّحابة عموماً، والخلفاء الثَّلاثة

خصوصاً، ومراتبهم؛ حتى لا يُظَنَّ بهم الظُّنون، أو يُظَنَّ بنا التَّحيُّز، أو التَّنقيص مِنْ فضائل بعضهم.

واللَّهَ أسألُ أنْ يَجعلَ عَمَلِي خالصاً لوجهه الكريم، وأنْ ينفع به، إنَّه وليُّ ذلك والقادر عليه.

تمَّ جَمعُه وتَرتيبُه وتَعليقُه في عام: ثمانية وأربع مئة وألف هجريَّة، بخطِّ جامعه: مُحمَّد بن عبد الرَّحْمَن بن مُحمَّد ابن قاسمٍ.

وصلَّى اللَّه على مُحمَّد وعلى آلِهِ وأَصحابِهِ أجمعين.

مُحمَّد بن عبد الرَّحْمَن بن مُحمَّد ابن قاسمٍ

الصَّحَابَةُ وَالخُلَفَاءُ الرَّاشِدُونَ

الخلفاء الرَّاشدون والصَّحابة؛ كلُّ خيرٍ فيه المسلمون إلى يوم القيامة - من الإيمان، والإسلام، والقرآن، والعِلْم، والمعارف، والعبادات، ودخول الجَنَّة، والنَّجاة من النَّار، وانتصارهم على الكفَّار، وعُلُوِّ كلمة اللَّه -؛ فإنَّما هو ببرَكة ما فعله الصَّحابة الذين بلَّغوا الدِّين، وجاهدوا في سبيل اللَّه.

وكلُّ مؤمن آمَنَ باللَّه؛ فللصَّحابة رضي الله عنهم عليه الفضلُ إلى يوم القيامة، وخير الصَّحابة تبعٌ لخير الخلفاء الرَّاشدين؛ فهم كانوا أقوَمَ بكلِّ خير في الدُّنيا والدِّين من سائر الصَّحابة؛ كما قال فيهم عبد اللَّه بن مسعود رضي الله عنه: «مَنْ كَانَ مُسْتَنّاً فَلْيَسْتَنَّ بِمَنْ قَدْ مَاتَ؛ فَإِنَّ الحَيَّ لَا تُؤْمَنُ عَلَيْهِ الفِتْنَةُ، أُولَئِكَ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ، كَانُوا - وَاللَّهِ - أَفْضَلَ هَذِهِ الأُمَّةِ، وَأَبَرَّهَا قُلُوباً، وَأَعْمَقَهَا عِلْماً، وَأَقَلَّهَا تَكَلُّفاً؛ قَوْمٌ اخْتَارَهُمُ اللَّهُ لِصُحْبَةِ نَبِيِّهِ، وَإِقَامَةِ دِينِهِ، فَاعْرِفُوا لَهُمْ فَضْلَهُمْ، وَاتَّبِعُوهُمْ فِي آثَارِهِمْ، وَتَمَسَّكُوا بِمَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ أَخْلَاقِهِمْ وَدِينِهِمْ؛ فَإِنَّهُمْ كَانُوا عَلَى الهُدَى المُسْتَقِيمِ» رواه غير واحد[(١)]

(١) منهم: ابن عبد البَرِّ في جامع بيان العِلم وفضله (٢/ ٩٤٧)، رقم (١٨١٠)، والبغوي في شرح السُّنَّة، كتاب الإيمان، باب رَدِّ البدع والأهواء، رقم (١٠٤)، وابن الأثير في جامع الأصول (١/ ٢٩٢)، رقم (٨٠).

- منهم: ابن بطَّة[١] - عن قتادة[٢].

فقَوْلُ عبد اللَّه بن مسعود كلامٌ جامعٌ:

- بيَّنَ فيه حُسْنَ قَصْدهم ونيَّاتهم ببِرِّ القلوب.

- وبيَّنَ فيه كمال المعرفة ودقَّتَها بعمق العِلم.

- وبيَّنَ فيه تيسُّر ذلك عليهم، وامتناعهم من القول بلا عِلم بقلَّة التَّكلُّف.

فالصَّحابة أكمل هذه الأمَّة: عقلاً، وعِلماً، وفقهاً، وديناً؛ ولهذا أحسَنَ الشَّافعيُّ رحمه الله[٣] في قوله: «هم فوقنا في كلِّ عِلْمٍ وفِقْهٍ ودِينٍ وهُدىً، وفي كلِّ سَبَبٍ يُنَالُ به عِلْمٌ وهُدىً، ورأيهم لنا خَيْرٌ من رأينا لأنفسنا»[٤]، أو كلاماً هذا معناه.

---

(١) لم أقف عليه في المطبوع من كتبه.
وابن بطَّة هو: أبو عبد اللَّه عبيد اللَّه بن مُحمَّد بن مُحمَّد العُكْبَرِيُّ، الحنبليُّ، صاحب كتاب «الشَّرح والإبانة على أصول الدِّيانة»، شيخ العراق في زمانه، وأحد الفقهاء على مذهب الإمام أحمد، توفي رحمه الله سنة (٣٨٧هـ). تاريخ بغداد (١٢/ ١٠٠)، سير أعلام النبلاء (١٦/ ٥٢٩).

(٢) هو: أبو الخطَّاب قتادة بن دعامة بن قتادة السَّدوسيُّ، ولد سنة (٦٠هـ)، حافظ عصره، وقدوة المُفَسِّرين والمُحَدِّثين، توفي رحمه الله سنة (١١٨هـ). سير أعلام النبلاء (٥/ ٢٦٩)، تقريب التهذيب (ص٤٥٣).

(٣) هو: أبو عبد اللَّه مُحمَّد بن إدريس بن العبَّاس الشَّافعيُّ القُرشيُّ المُطَّلبيُّ، ولد سنة (١٥٠هـ)، مُحدِّث، فقيه، وأحد أئمَّة المذاهب الأربعة، انتشر عِلمه في الآفاق، توفي رحمه الله سنة (٢٠٤هـ). حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٩/ ٦٣)، سير أعلام النبلاء (١٠/ ٥).

(٤) مناقب الشَّافعيِّ للبيهقيِّ (١/ ٤٤٢).

وَمَنْ أراد أن يعرف فضائل الصَّحابة، ومنازلهم عند النَّبيِّ ﷺ؛ فليتدبَّر الأحاديث الصَّحيحة التي صحَّحها أهل العِلم بالحديث الذين كَمَلت خبرتُهم بحال النَّبيِّ ﷺ، ومحبَّتُهم له، وصدقُهم في التَّبليغ عنه، وصار هواهم تَبَعاً لِمَا جاء به، فليس لهم غرض إلَّا في معرفة ما قاله، وتمييزه عمَّا يُخلَط بذلك من كذب الكاذبين، وغَلَطِ الغالطين.

وأهل السُّنَّة عندهم: أنَّ أهلَ بَدرٍ[١] كلَّهم في الجَنَّة، وكذلك أُمَّهات المؤمنين - عائشة[٢] وغيرها -، وكذلك أهل بيعة الرِّضوان[٣]؛ وأبو بكر، وعمر، وعثمان[٤]، . . . .

---

(١) وهم: الذين شَهِدوا غزوة بَدرٍ رضي الله عنهم، وهي: الغزوة التي وقعت في السَّابع عشر من رمضان عام (٢هـ)، بين المسلمين بقيادة رسول اللَّه ﷺ، وقريش بقيادة أبي جَهْلٍ، حيث التقى الفريقان في بَدرٍ وتَقاتَلا، وكان النَّصر بفضل اللَّه للمؤمنين. السِّيرة النَّبويَّة لابن هشام (١/ ٦٠٦).

وبدر: موضع جنوب غرب المدينة المُنوَّرة، يبعد عنها مئة وخمسين (١٥٠) كيلومتراً، وفيه وقعت الغزوة. معجم ما استعجم (١/ ٢٣١)، الرَّوض المعطار (ص٨٤).

(٢) هي: أمُّ المؤمنين أمُّ عبد اللَّه عائشة بنت أبي بكر الصِّدِّيق رضي الله عنهما، ولدت بعد المبعث بأربع أو خمس سنين، كانت من أفقه النَّاس وأعلمهم، رَوَتْ عن النَّبيِّ ﷺ الكثير الطَّيِّب، توفيت سنة (٥٨هـ). الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٤/ ١٨٨١)، الإصابة في تمييز الصَّحابة (٨/ ٢٣١).

(٣) هم: الصَّحابة الذين بايعوا النَّبيَّ ﷺ تحت الشَّجرة على قتال قريشٍ، وكان ذلك في عمرة الحديبية، سنة (٦هـ). السِّيرة النَّبويَّة لابن هشام (٢/ ٣١٥).

(٤) هو: أبو عبد اللَّه عثمان بن عفَّان بن أبي العاص القُرشيُّ الأمويُّ رضي الله عنه، ولد في السَّنة السَّادسة بعد عام الفيل، كان يُسمَّى: «ذا النُّورَيْن»؛ لتزوُّجه من بِنتَيْ رسول اللَّه ﷺ - رُقيَّة ثمَّ أُمِّ كلثوم رضي الله عنهما -، هاجر الهجرتين، وهو ثالث الخلفاء الرَّاشدين، وأحد العشرة المُبشَّرين بالجَنَّة، قُتِل سنة (٣٥هـ). الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٣/ ١٠٣٧)، أُسْد الغابة في معرفة الصَّحابة (٣/ ٤٨٠).

وعليٌّ[(١)]، وطلحة[(٢)]، والزُّبَيْر[(٣)]، هم سادات أهل الجَنَّة بعد الأنبياء.

وقد أثنى اللَّه عليهم هو ورسولُه، ورضي عنهم، وأعدَّ لهم الحُسنى؛ كقوله: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ﴾ الآية [التوبة: ١٠٠]، ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾ الآية [الفتح: ٢٩]، ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٨-٩].

وقد ثَبَتَ في صحيح مسلم[(٤)] عن النَّبيِّ ﷺ أنه قال: «لَا يَدْخُلُ

(١) هو: أبو الحسن عليُّ بن أبي طالبٍ بن عبد المُطَّلب القُرشيُّ الهاشميُّ رضي الله عنه، أسلم وهو ابن ثلاث عشرة سنة، ابن عمِّ النَّبيِّ ﷺ وصهره، ورابع الخلفاء الرَّاشدين، وأحد العشرة المُبشَّرين بالجَنَّة، قتله ابن مُلجِم سنة (٤٠هـ). الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٣/ ١٠٨٩)، أُسْد الغابة في معرفة الصَّحابة (٣/ ٥٨٨).

(٢) هو: أبو مُحمَّد طلحة بن عبيد اللَّه بن عثمان القُرشيُّ التَّيميُّ رضي الله عنه، من المهاجرين الأوَّلين، شَهِد أُحداً وما بعدها من المشاهد، وهو أحد العشرة المُبشَّرين بالجَنَّة، قُتِل سنة (٣٦هـ) في موقعة الجمل. الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٢/ ٧٦٤)، أُسْد الغابة في معرفة الصَّحابة (٢/ ٤٦٧).

(٣) هو: أبو عبد اللَّه الزُّبَيْر بن العَوَّام بن خُوَيلد القُرشيُّ الأسديُّ رضي الله عنه، حَوارِيُّ النَّبيِّ ﷺ، أسلم وهو ابن خمس عشرة سنة، وشَهِد المشاهد كلَّها، قُتِل سنة (٣٦هـ). الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٢/ ٥١٠)، أُسْد الغابة في معرفة الصَّحابة (٢/ ٩٧).

(٤) كتاب فضائل الصَّحابة رضي الله عنهم، باب من فضائل أصحاب الشَّجَرة أهل بيعة الرِّضوان رضي الله عنهم، رقم (٢٤٩٦)، من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

النَّارَ أَحَدٌ بَايَعَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ».

وفي الصَّحيحَيْن[١]: «أَنَّهُ كَانَ بَيْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ[٢] وَبَيْنَ خَالِدِ بْنِ الوَلِيدِ[٣] كَلَامٌ، فَقَالَ: يَا خَالِدُ، لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي؛ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ[٤] ذَهَباً مَا بَلَغَ مُدَّ[٥] أَحَدِهِمْ، وَلَا نَصِيفَهُ»؛ قال ذلك لخالد بالنِّسبة إلى السَّابقين الأوَّلين.

وثَبَتَ عنه في الصَّحيح[٦] مِنْ غير وَجهٍ أنَّه قال: «خَيْرُ القُرُونِ:

---

(١) رواه البخاري، كتاب أصحاب النَّبيِّ ﷺ، باب قول النَّبيِّ ﷺ: «لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذاً خَلِيلاً»، رقم (٣٦٧٣)، ومسلم، كتاب فضائل الصَّحابة ﷺ، باب تحريم سَبِّ الصَّحابة ﷺ، رقم (٢٥٤١)، من حديث أبي سعيدٍ ﷺ.

(٢) هو: أبو مُحمَّد عبد الرَّحْمَن بن عوف بن عبد عوف القُرشيُّ الزُّهريُّ ﷺ، ولد بعد عام الفيل بعشر سنين، وأسلم قبل أنْ يدخل الرَّسول ﷺ دار الأرقم، أحد العشرة المُبشَّرين بالجَنَّة، ومن المهاجرين الأوَّلين، وممَّنْ شَهِد بَدراً وأُحُداً والمشاهد كلَّها، توفي سنة (٣١هـ) بالمدينة. أُسْد الغابة في معرفة الصَّحابة (٣/ ٣٧٦)، الإصابة في تمييز الصحابة (٤/ ٢٩٠).

(٣) هو: أبو سليمان خالد بن الوليد بن المُغِيرَة القُرشيُّ المَخزوميُّ ﷺ، أسلم سنة (٧هـ)، وقيل قبلها، ولم يَزَلْ مِنْ حِين أسلم أسلم رسول اللَّه ﷺ يُولِيه أَعِنَّة الخيل فيكون في مقدِّمتها، توفي سنة (٢١هـ). الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٢/ ٤٢٧)، الإصابة في تمييز الصَّحابة (٢/ ٢١٥).

(٤) سيأتي توضيح مكانه من قول الوالد ﷺ (ص١١٧).

(٥) المُدُّ: ضَربٌ من المكاييل الشَّرعيَّة، وهو مِلْء كَفَّي الإنسان المُعْتَدِل، ويساوي: أربع مئة واثنين وأربعين ونصف (٤٤٢,٥) مليلتر من الماء؛ ويَسَع من الشَّعير ثلاث مئة (٣٠٠) جرام. مشارق الأنوار (١/ ١٣٧٥)، كتابنا: تحقيق المكاييل والأوزان الشَّرعيَّة وتحديدها بالأوزان المعاصرة.

(٦) رواه مسلم، كتاب فضائل الصَّحابة ﷺ، باب فضل الصَّحابة، ثمَّ الذين يَلُونَهم، ثمَّ الذين يَلُونَهم، رقم (٢٥٣٤)، من حديث أبي هريرة ﷺ.

الْقَرْنُ الَّذِي بُعِثْتُ فِيهِمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ».

وهذه الأحاديث مستفيضةٌ؛ بل متواترةٌ في فضائل الصَّحابة، والثَّناء عليهم، وتفضيل أوَّلهم على مَن بعدَهم من القرون(١).



(١) منهاج السُّنَّة النَّبويَّة (٣/ ٢٤٥)، (١/ ٢٢٢، ٢٢٣)، (٣/ ٤٨)، (٢/ ٢٥٢)، (١/ ٢٠٤).

فَضْلُ بَعْضِ الخُلَفَاءِ عَلَى بَعْضٍ

الخلفاء الأربعة كلٌّ منهم له سَعيٌ مشكورٌ، وعملٌ مبرورٌ، وآثارٌ صالحةٌ في الإسلام، واللَّه يجزيهم عن الإسلام وأهله خير الجزاء؛ فهم الخلفاء الرَّاشدون، والأئمَّة المهديُّون، الذين قضوا بالحقِّ وبه كانوا يَعدلون.

واللَّه سبحانه كما فَضَّل بعض النَّبيِّين على بعضٍ؛ فَضَّل بعض الخلفاء على بعضٍ؛ فكلٌّ منهم له رتبتُه ودرجتُه.

والصِّدِّيق أَكمَلُ القوم، وأَسبقُهُم إلى الخيرات، وهذا أمرٌ لا يَشُكُّ فيه إلَّا مَن كان جاهلاً بحالهم مع رسول اللَّه ﷺ، أو كان صاحِب هوىً، صدَّه اتِّباع هواه عن معرفة الحقِّ؛ فصار يُنقِص بعضَهم عن رتبته، أو عن درجته، أو يفتري عليه في ذلك.

وأهل السُّنَّة لا يُنازِعون في كمال عليٍّ رضي الله عنه، وأنَّه في الدَّرجة العليا من الكمال، وإنَّما النِّزاع في كونه أكمَلَ من الثَّلاثة، وأحقَّ بالخلافة منهم[(١)].



(١) منهاج السُّنَّة النَّبويَّة (٤/ ٧٩، ٢٠٢، ١٢٩، ٦٩، ٢٥١)، (٣/ ١٣٤)، (٢/ ٢٦٦).

أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رضي الله عنه
أَفْضَلُ الصَّحابَةِ

نَسَبُهُ

هو: عبد اللَّه بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تَيْم بن مُرَّة بن كعب بن لؤي بن غالب؛ يجتمع مع النَّبيِّ ﷺ في مُرَّة بن كعب.

كُنيتُه: أبو بكر، وعثمانُ هو: اسم أبي قُحَافَةَ(١).

وأُمُّ أبي بكر: سلمى(٢) - وتُكنى: أمَّ الخير - بنت صخر بن عامر، ابنة عَمِّ أبيه، أسلمت وهاجرت.

وُلِد أبو بكر بعد الفيل بسنتين وستَّةِ أشهر(٣).



(١) هو: أبو قحافة عثمان بن عامر بن عمرو القُرشيُّ التَّيميُّ رضي الله عنه، أسلم يوم فتح مكَّة، وتوفي سنة (١٤هـ)، وله سبع وتسعون سنة. أُسْد الغابة في معرفة الصَّحابة (٣/ ٤٧٧)، الإصابة في تمييز الصَّحابة (٤/ ٣٧٤).

(٢) هي: أمُّ الخير بنت صخر بن عامر بن كعب القُرشيَّة التَّيميَّة رضي الله عنها، أسلمت قديماً مع ابنها أبي بَكرٍ، وتوفيت قبل أبي قُحَافَة. أُسْد الغابة في معرفة الصَّحابة (٦/ ٣٢٦)، الإصابة في تمييز الصَّحابة (٨/ ٣٨٦).

(٣) فتح الباري لابن حجر (٧/ ٩) ،الإصابة في تمييز الصَّحابة (٤/ ١٤٥).

عَمَلُهُ

كان أبو بكر تاجراً، تارةً يسافر في تجارته، وتارةً لا يسافر، وقد سافر إلى الشَّام في تجارته في الإسلام.

والتِّجارة كانت أَشرفَ مكاسبِ قريش، وكان خِيَارُ أهلِ الأموال منهم أهلَ التِّجارة، وكانت العرب تعرفهم بالتِّجارة.

ولَمَّا وَلِيَ أراد أنْ يَتَّجر لعياله فمنعه المسلمون، وقالوا: هذا يُشغِلك عن مصالح المسلمين(1)، وفرضوا له درهمين(2) كلَّ يومٍ(3).



(1) منهاج السُّنَّة النَّبويَّة (4/ 288) طباعة الأميريَّة ببولاق مصر عام (1322هـ).

(2) الدِّرهَمُ: نقدٌ مضروبٌ من الفِضَّة، وهو سبعة أعشار المِثْقَال، ويساوي بالمقادير المعاصرة: جراماً وسبع مئة وخمسين مليجراماً (1,750). تاريخ ابن خلدون (1/ 325)، متن اللغة (2/ 407)، كتابنا: تحقيق المكاييل والأوزان الشَّرعيَّة وتحديدها بالأوزان المعاصرة.

(3) منهاج السُّنَّة النَّبويَّة (4/ 226)، قال الوالد رحمه الله: «ويأتي (ص176)».

مَنْزِلَتُهُ قَبْلَ الإِسْلَامِ

كان مُعظَّماً في قريش، مُحبَّباً، مُؤْلَفاً، خبيراً بأنساب العرب وأيَّامِهم(١)، وكانوا يألَفونه؛ لمقاصد التِّجارة، ولعِلْمه وإحسانه.

وفي صحيح البخاريِّ(٢): عن عائشة رضي الله عنها قالت: «لَمَّا ابْتُلِيَ المُسْلِمُونَ خَرَجَ أَبُو بَكْرٍ مُهَاجِراً نَحْوَ أَرْضِ الحَبَشَةِ(٣)، حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَرْكَ الغِمَادِ(٤) ....

(١) قال الوالد رحمه الله: «قال النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم لحسَّان بن ثابت لَمَّا أمره بهِجَاء قريش: (لَا تَعْجَلْ، فَإِنَّ أَبَا بَكْرٍ أَعْلَمُ قُرَيْشٍ بِأَنْسَابِهَا، وَإِنَّ لِي فِيهِمْ نَسَباً، حَتَّى يُلَخِّصَ لَكَ نَسَبِي) رواه مسلم، كتاب فضائل الصَّحابة رضي الله عنهم، باب فضائل حسَّان بن ثابت رضي الله عنه، رقم (٢٤٩٠)، من حديث عائشة رضي الله عنها.

وأخرج ابن إسحاق، عن يعقوب بن عتبة، عن شَيخٍ من الأنصار قال: (كان جُبَير بن مُطْعِم مِنْ أنسب قُريشٍ لقُريشٍ والعرب قاطبة، وكان يقول: إنَّما أخذت النَّسَب من أبي بَكرٍ الصِّدِّيق) تاريخ الخلفاء للسُّيوطيِّ (ص٣٧)».

(٢) باب هجرة النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم وأصحابه إلى المدينة، رقم (٣٩٠٥).

(٣) الحَبَشَة: أرض واسعة جدّاً، تقع شرق إفريقيا، غرب باب المندب، مُطِلَّة على البحر الأحمر وخليج عدن، تشمل: إثيوبيا وشرقَ الصُّومال وشرقَ إريتريا وشرقَ السُّودان، وقاعدتها: مدينة تِغراي، وهي دار مملكة الحَبَشَة، كان مِلكَها في عهد النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم النَّجاشيُّ. آكام المرجان (ص١٠٤)، المسالك والممالك للبكري (١/ ٣٢٧)، الأنساب للسَّمعاني (٤/ ٤٧)، آثار البلاد وأخبار العباد (ص٢٠)، المعالم الأثيرة (ص٩٦).

(٤) قال الوالد رحمه الله: «موضع وراء مكَّة بخمس ليال ممَّا يَلِي البحر، وقيل: بلد باليمن. معجم البلدان لياقوت الحموي (١/ ٣٩٩)».

قلتُ: «وهي مدينة جنوب مكَّة تبعد عنها أربع مئة وثمانين (٤٨٠) كيلومتراً على ساحل البحر الأحمر، وتُسمَّى الآن: (البرك). ما اتَّفق لفظه وافترق مُسمَّاه من الأمكنة (ص٧٢٥)، الرَّوض المعطار (ص٨٦)، معجم المعالم الجغرافية (ص٤٢)».

لَقِيَهُ ابْنُ الدَّغِنَةِ(١) - أَميرٌ مِنْ أُمَراءِ العَرَبِ - سَيِّدُ القَارَةِ(٢)، فَقَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ يَا أَبَا بَكْرٍ؟ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَخْرَجَنِي قَوْمِي، فَأُرِيدُ أَنْ أَسِيحَ فِي الأَرْضِ، وَأَعْبُدَ رَبِّي.

قَالَ ابْنُ الدَّغِنَةِ: فَإِنَّ مِثْلَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ لَا يَخْرُجُ، وَلَا يُخْرَجُ؛ إِنَّكَ تَكْسِبُ المَعْدُومَ(٣)، وَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الكَلَّ(٤)، وَتَقْرِي(٥) الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الحَقِّ(٦)، فَأَنَا لَكَ جَارٌ(٧)؛ ارْجِعْ وَاعْبُدْ رَبَّكَ بِبَلَدِكَ، فَرَجَعَ، وَارْتَحَلَ مَعَهُ ابْنُ الدَّغِنَةِ.

فَطَافَ ابْنُ الدَّغِنَةِ عَشِيَّةً فِي أَشْرَافِ قُرَيْشٍ؛ فَقَالَ لَهُمْ: إِنَّ أَبَا بَكْرٍ

---

(١) قال الوالد رحمه الله: «بضمِّ المُهملَة والمُعجَمة، وتشديد النُّون عند أهل اللُّغة، وعند الرُّواة بفتح أوَّلِه، وكسرِ ثَانِيه وتخفيف النُّون، الدَّغِنَة: أُمُّه، وقيل: أُمُّ أبيه، وقيل: دابَّته، قيل: اسمه الحارث بن يزيد» فتح الباري لابن حجر (٧/ ٢٣٣)، التَّوشيح شرح الجامع الصَّحيح (٦/ ٢٤٥٠).

(٢) قال الوالد رحمه الله: «القارَة: قبيلة مشهورة من بني الهون بن خزيمة بن مدركة» معجم البلدان (٤/ ٢٩٥).

(٣) أي: تَكْسِبُ ما يُحْرَمُهُ غَيرُك؛ فالشَّيء الذي لا يوجد تكسِبُه لنَفسك، وقيل: تَكسِبُ النَّاس الشَّيء المعدوم الذي لا يَجِدونَه ممَّا يحتاجون إليه. مشارق الأنوار (٢/ ٦٩)، النهاية في غريب الحديث والأثر (٣/ ١٩١).

(٤) أي: من الأَثْقَال والحَوَائج المُهمَّة والعِيال، وكلُّ ما يتكلَّف ويَثْقُل حَمْلُه فهو: كَلٌّ. تفسير غريب ما في الصَّحيحين (ص٥٠٩).

(٥) أي: تُطعِم. مشارق الأنوار (٢/ ١٨١).

(٦) النَّوائب: جَمْع نائبة، وهي: الحادثة، وإنَّما أُضِيفت إلى الحقِّ؛ لأنَّ النَّائبة قد تكون في الخير، وقد تكون في الشَّرِّ. شرح النووي على مسلم (٢/ ٢٠٢)، مرقاة المفاتيح (٩/ ٣٧٣٢).

(٧) أي: مجير، أمنع مَنْ يُؤْذِيك. عمدة القاري (١٧/ ٤٤).

لَا يَخْرُجُ مِثْلُهُ، وَلَا يُخْرَجُ، أَتُخْرِجُونَ رَجُلاً يَكْسِبُ المَعْدُومَ، وَيَصِلُ الرَّحِمَ، وَيَحْمِلُ الكَلَّ، وَيَقْرِي الضَّيْفَ، وَيُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الحَقِّ...» الحديث، ويأتي بتمامه[١].

فقد وَصَفَه ابنُ الدَّغِنَة بحضرة أشراف قريش بمثل ما وَصَفَتْ به خديجةُ[٢] النَّبيَّ ﷺ لَمَّا نزل عليه الوَحْي[٣].

ولم يُعلَم أحدٌ من قريش عاب أبا بَكرٍ بعيبٍ، ولا نَقَصَه، ولا اسْتَرْذَلَه[٤]، كما كانوا يَفعلون بضعفاء المؤمنين، ولم يكن له عندهم عيب إلَّا الإيمان باللَّه ورسوله ﷺ[٥].



(١) (ص١٢٦).

(٢) هي: أمُّ المؤمنين خديجة بنت خُوَيْلِد بن أسد القُرشيَّة الأسديَّة رضي الله عنها، أوَّل زوجات النَّبيِّ ﷺ، وأوَّلُ مَنْ آمن به، وولده كلُّهم منها حاشا إبراهيم، توفيت قبل الهجرة بثلاث سنين، وقيل: بأربع. الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٤/ ١٨١٧)، أُسْد الغابة في معرفة الصَّحابة (٦/ ٧٨).

(٣) رواه البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾، رقم (٤٩٥٣)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بدء الوحي إلى رسول اللَّه ﷺ، رقم (١٦٠)، من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٤) أي: لم يَعُدَّه رذيلاً، والرَّذيل: الدُّون من النَّاس. تاج العروس (٢٩/ ٦٦).

(٥) منهاج السُّنَّة النَّبويَّة (٤/ ٢٨٨، ٢٨٩، ٢٦٨، ٣١).

وَصْفُهُ بِالصِّدِّيقِ

ثَبَتَ له هذا الاسم بالدَّلائل الكثيرة، وبالتَّواتر الضَّروريِّ عند الخاصِّ والعامِّ، ووصَفه به النَّبيُّ ﷺ في الحديث الذي في الصَّحيحَيْن[1] عن أنس بن مالك[2] رضي الله عنه قال: «صَعِدَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أُحُداً[3]، وَمَعَهُ

(١) قال الوالد رحمه الله: «هذا لفظ البخاري، كتاب أصحاب النَّبيِّ ﷺ، باب قول النَّبيِّ ﷺ: (لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذاً خَلِيلاً)، رقم (٣٦٧٥).

وأخرج مسلم، كتاب فضائل الصَّحابة رضي الله عنهم، باب من فضائل طلحة والزُّبَيْر رضي الله عنهما، رقم (٢٤١٧)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، ولفظه: (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ عَلَى حِرَاءٍ هُوَ وَأَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَعُثْمَانُ، وَعَلِيٌّ، وَطَلْحَةُ، وَالزُّبَيْرُ، فَتَحَرَّكَتِ الصَّخْرَةُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: اهْدَأْ فَمَا عَلَيْكَ إِلَّا نَبِيٌّ، أَوْ صِدِّيقٌ، أَوْ شَهِيدٌ)».

قال الوالد رحمه الله: «وحِرَاء: جبل بمكَّة معروف، قال ابن تيميَّة رحمه الله: (لَكِنْ مِنْ حِينِ نَزَلَ الوَحْيُ عَلَيْهِ ﷺ مَا صَعِدَ إِلَيْهِ بَعْدَ ذَلِكَ، وَلَا قَرِبَهُ هُوَ وَلَا أَصْحَابُهُ، وَقَدْ أَقَامَ بِمَكَّةَ بَعْدَ النُّبُوَّةِ بِضْعَ عَشْرَةَ سَنَةً لَمْ يَزُرْهُ، وَلَمْ يَصْعَدْ إِلَيْهِ، وَكَذَلِكَ المُؤْمِنُونَ مَعَهُ بِمَكَّةَ، وَبَعْدَ الهِجْرَةِ، وَعَامَ الفَتْحِ، وَفِي عُمْرَةِ الجِعْرَانَةِ، وَلَمْ يَأْتِ غَارَ حِرَاءَ وَلَا زَارَهُ) اهـ. مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٢٧/ ٢٥١)».

(٢) هو: أبو حمزة أنس بن مالك بن النَّضر الأنصاريُّ الخَزرجيُّ رضي الله عنه، خادم رسول اللَّه ﷺ، وغزا معه ثماني غزوات، توفي سنة (٩٣هـ). معرفة الصَّحابة لأبي نُعَيْم (١/ ٢٣١)، الاستيعاب في معرفة الأصحاب (١/ ١٠٩).

(٣) قال الوالد رحمه الله: «أُحُدٌ: جبل بالمدينة، كانت عنده الوقعة التي قُتِل فيها حمزة رضي الله عنه وسبعون من المسلمين، وكُسِرت رباعية النَّبيِّ ﷺ، وشُجَّ وجهه الشَّريف» ما اتَّفق لفظه وافترق مُسمَّاه من الأمكنة (ص٥٠).

قلتُ: «ويقع شمال المسجد النَّبويِّ، يَبعدُ عنه أربعة (٤) كيلومترات».

أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ، فَرَجَفَ بِهِمْ[١]، فَقَالَ: اثْبُتْ أُحُدُ؛ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ نَبِيٌّ وَصِدِّيقٌ وَشَهِيدَانِ».

وفي التِّرمذيِّ[٢]: عن عائشة رضي الله عنها قالت: «يَا رَسُولَ اللَّهِ، ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ [المؤمنون: ٦٠] أَهُوَ الرَّجُلُ يَزْنِي وَيَسْرِقُ وَيَشْرَبُ الخَمْرَ وَيُخَالِفُ؟ قَالَ: لَا يَا ابْنَةَ الصِّدِّيقِ، وَلَكِنَّهُ الرَّجُلُ يَصُومُ وَيَتَصَدَّقُ وَيَخَافُ أَنْ لَا يُقْبَلَ مِنْهُ»[٣].



(١) قال الوالد رحمه الله: «هذه الرَّجْفَة رَجْفَة طَربٍ لا رَجْفَة غَضبٍ، ولهذا نصَّ على مقام النُّبوَّة والصِّدِّيقيَّة والشَّهادة المُوجِبة لسرور ما اتَّصلت به، فأقرَّ بذلك الجبل واستقرَّ. تحفة أهل التَّصديق ببعض فضائل الصِّدِّيق (ص٧٨).
وفي الحديث: (أُحُدٌ جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ) رواه مسلم، كتاب الحجِّ، باب أُحُدٌ جبلٌ يُحِبُّنا ونُحِبُّه، رقم (١٣٩٢)، من حديث أبي حُمَيد رضي الله عنه».

(٢) أبواب تفسير القرآن، باب ومن سورة المؤمنون، رقم (٣١٧٥).

(٣) منهاج السُّنَّة النَّبويَّة (٢/ ٢٢٢)، (٤/ ٦١، ٦٢، ٢٥٤)، قال الوالد رحمه الله: «باختصار».
وقال الوالد رحمه الله أيضاً: «ومنها: ما جاء في قصَّة الإسراء: (لَمَّا أُسْرِيَ بِالنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم إِلَى المَسْجِدِ الأَقْصَى أَصْبَحَ يَتَحَدَّثُ النَّاسُ بِذَلِكَ، فَارْتَدَّ نَاسٌ مِمَّنْ كَانُوا آمَنُوا بِهِ وَصَدَّقُوهُ، وَسَعَى رِجَالٌ مِنَ المُشْرِكِينَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ رضي الله عنه، فَقَالُوا: هَلْ لَكَ إِلَى صَاحِبِكَ؟ يَزْعُمُ أَنَّهُ أُسْرِيَ بِهِ اللَّيْلَةَ إِلَى بَيْتِ المَقْدِسِ.
قَالَ: أَوَقَالَ ذَلِكَ؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: لَئِنْ قَالَ ذَلِكَ لَقَدْ صَدَقَ.
قَالُوا: أَوَتُصَدِّقُهُ أَنَّهُ ذَهَبَ اللَّيْلَةَ إِلَى بَيْتِ المَقْدِسِ وَجَاءَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ؟!
فَقَالَ: نَعَمْ؛ إِنِّي لَأُصَدِّقُهُ فِي مَا هُوَ أَبْعَدُ مِنْ ذَلِكَ، أُصَدِّقُهُ فِي خَبَرِ السَّمَاءِ فِي غُدْوَةٍ أَوْ رَوْحَةٍ؛ فَلِذَلِكَ سُمِّيَ: الصِّدِّيقُ) رواه الحاكم في المستدرك (٣/ ٨١)، رقم (٤٤٥٨)، من حديث عائشة رضي الله عنها.
ويأتي حديث: (إِنَّ اللَّهَ بَعَثَنِي إِلَيْكُمْ فَقُلْتُمْ: كَذَبْتَ، وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: صَدَقْتَ) رواه البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ الآية، رقم (٤٦٤٠)، من حديث أبي الدَّرداء رضي الله عنه. =

الصِّدِّيقُ أَبْلَغُ مِنَ الصَّادِقِ

الوصف بالصِّدِّيق أَكملُ من الوصف بالصَّادق؛ فكلُّ صِدِّيقٍ صادقٌ، وليس كلُّ صادق صِدِّيقاً.

وأبو بكر ليست فضيلته في مجرَّد كونه صادقاً ليس غيرُه أكثرَ تحرِّياً للصِّدق منه؛ بل في أنَّه عَلِم ما أَخبَرَ به النَّبيُّ ﷺ جملةً وتفصيلاً، وصدَّق ذلك تصديقاً كاملاً في العِلم، والقصد، والقول، والعمل.

وهذا القَدْر لم يَحصُل لأبي ذرٍّ رضي الله عنه(١)، ولا غيره؛ لأنَّه لم يَعلم

= وذكر النَّوويُّ عن مصعب بن الزُّبَيْر قال: (وأَجْمَعتِ الأُمَّة على تَسمِيتِه بالصِّدِّيق؛ لأنَّه بادر إلى تصديق الرَّسول ﷺ، ولازَمَ الصِّدْق فلم تَقَعْ منه هَنَاةٌ ما، ولا وَقْفَةٌ في حالٍ من الأحوال، وكان له في الإسلام المواقف الرَّفيعة) تهذيب الأسماء واللغات (٢/ ١٨١).
وعن الشَّعبيِّ قال: (خَصَّ اللَّهُ تبارك وتعالى أبا بكرٍ بأربعِ خصالٍ لم يَخُصَّ بها أحداً من النَّاس: سَمَّاهُ: الصِّدِّيقَ، ولم يُسَمِّ أحداً الصِّدِّيقَ غيرَه...) تاريخ الخلفاء للسُّيوطيِّ (ص٥٠) نقلاً عن الدِّينَوَريِّ وابن عساكر».

(١) قال الوالد رحمه الله: «الذي جاء في الحديث المَرويِّ: (مَا أَظَلَّتِ الخَضْرَاءُ وَلَا أَقَلَّتِ الغَبْرَاءُ مِنْ ذِي لَهْجَةٍ أَصْدَقَ مِنْ أَبِي ذَرٍّ) منهاج السُّنَّة النَّبويَّة (٢/ ٢٢١).
وهذا الحديث رواه التِّرمذيُّ، أبواب المناقب، باب مناقب أبي ذَرٍّ الغفاريِّ رضي الله عنه، رقم (٣٨٠٢)، من حديث أبي ذَرٍّ رضي الله عنه».
وأبو ذَرٍّ هو: جُندب بن جُنادة بن سفيان الغفاريُّ رضي الله عنه، أَسلمَ والنَّبيُّ ﷺ بمكَّة أوَّل الإسلام، فكان رابع أربعة، وقيل: خامس خمسة، توفي سنة (٣٢هـ). أُسْد الغابة في معرفة الصَّحابة (١/ ٣٥٧)، سير أعلام النبلاء (٢/ ٤٦).

ما أخبر به الرَّسول ﷺ كما عَلِمَه أبو بَكرٍ، ولا حصل له من التَّصديق المُفصَّل ما حصل لأبي بَكرٍ، ولا حصل عنده من كمال التَّصديق - معرفةً وحالاً - ما حصل لأبي بَكرٍ؛ فإنَّ أبا بَكرٍ أَعرفُ منه، وأَعظمُ حُبّاً للَّه ورسوله منه، وأَعظمُ نصراً للَّه ولرسوله منه، وأَعظمُ جهاداً بنفسه وماله منه، إلى غير ذلك من الصِّفات التي هي كمال الصِّدِّيقيَّة.

وأَفضلُ الخَلْق بعد الأنبياء: الصِّدِّيقون(١)، ومَنْ كان أَكمل في ذلك فهو أفضل(٢).



(١) قال الوالد رحمه الله: «ولهذا قدَّمهم اللَّه في القرآن على الشُّهداء والصَّالحين».
قلتُ: «وذلك في قول اللَّه عز وجل: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩]».

(٢) منهاج السُّنَّة النَّبويَّة (٢/ ٢٢١، ٢٢٢).
قال الوالد رحمه الله: «ذكر ابن تيميَّة رحمه الله قاعدةً في التَّفضيل؛ فقال: (يجب أن يُعلَمَ أوَّلاً أنَّ التَّفضيل إذا ثَبَتَ للفاضل من الخصائص ما لا يوجد مثله للمفضول، فإذا اسْتَوَيا وانفرد أحدهما بخصائص كان أفضل، وأمَّا الأمور المُشْتَرَكَةُ فلا تُوجِبُ تفضيلَه على غيره) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٤/ ٤١٤)».

أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه أَسْبَقُ الصَّحَابَةِ إِلَى الخَيْرَاتِ

هُوَ أَوَّلُ مَنْ أَسْلَمَ

أوَّلُ مَن آمن بالرَّسول ﷺ باتِّفاق أهل الأرض أربعةٌ:

أوَّلُ مَن آمن به من الرِّجال: أبو بكر، ومن النِّساء: خديجة، ومن الصِّبيان: عليٌّ، ومن المَوَالِي: زيد بن حارثة ﵃[(١)].

وفي صحيح البخاريِّ[(٢)]: عن أبي الدَّرداء ﵁[(٣)] قال: «كُنْتُ جَالِساً عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ؛ إِذْ أَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ آخِذاً بِطَرَفِ ثَوْبِهِ حَتَّى أَبْدَى عَنْ رُكْبَتِهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: أَمَّا صَاحِبُكُمْ فَقَدْ غَامَرَ[(٤)].

فَسَلَّمَ وَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ ابْنِ الخَطَّابِ شَيْءٌ، فَأَسْرَعْتُ إِلَيْهِ ثُمَّ نَدِمْتُ، فَسَأَلْتُهُ أَنْ يَغْفِرَ لِي، فَأَبَى عَلَيَّ، فَأَقْبَلْتُ إِلَيْكَ.

---

(١) هو: أبو أسامة زيد بن حارثة بن شَرَاحِيل الكَلْبِيُّ ﵁، حِبُّ النَّبيِّ ﷺ؛ وأوَّل المَوَالِي إسلاماً، وكان النَّبيُّ ﷺ قد تَبَنَّاه قبل بعثته، توفي سنة (٨هـ). الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٢/ ٥٤٢)، الإصابة في تمييز الصَّحابة (٢/ ٤٩٤).

(٢) كتاب أصحاب النَّبيِّ ﷺ، باب قول النَّبيِّ ﷺ: «لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذاً خَلِيلاً»، رقم (٣٦٦١).

(٣) هو: أبو الدَّرداء عُوَيْمِر بن عامر بن مالك - وقيل: غير ذلك -، الأنصاريُّ الخَزرجيُّ ﵁، كان آخر أهل داره إسلاماً، وحَسُن إسلامُه، توفي في خلافة عثمان ﵁. الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٤/ ١٦٤٦)، أُسْد الغابة في معرفة الصَّحابة (٤/ ١٨).

(٤) قال الوالد ﵀: «غَامَر: خَاصَم؛ أي: دَخَلَ في غَمْرَة الخصومة» النهاية في غريب الحديث والأثر (٣/ ٣٨٤).

فَقَالَ: يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ - ثَلَاثاً -.

ثُمَّ إِنَّ عُمَرَ نَدِمَ، فَأَتَى مَنْزِلَ أَبِي بَكْرٍ، فَسَأَلَ: أَثَمَّ أَبُو بَكْرٍ؟ فَقَالُوا: لَا.

فَأَتَى إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَسَلَّمَ، فَجَعَلَ وَجْهُ النَّبِيِّ ﷺ يَتَمَعَّرُ(١)، حَتَّى أَشْفَقَ أَبُو بَكْرٍ(٢) فَجَثَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَاللَّهِ، أَنَا كُنْتُ أَظْلَمَ - مَرَّتَيْنِ -(٣).

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: إِنَّ اللَّهَ بَعَثَنِي إِلَيْكُمْ، فَقُلْتُمْ: كَذَبْتَ، وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: صَدَقَ، وَوَاسَانِي بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ(٤)، فَهَلْ أَنْتُمْ تَارِكُو لِي صَاحِبِي؟ - مَرَّتَيْنِ -.

فَمَا أُوذِيَ بَعْدَهَا»(٥).

وفي روايةٍ(٦): «كَانَتْ بَيْنَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ مُحَاوَرَةٌ(٧)، فَأَغْضَبَهُ أَبُو بَكْرٍ، فَانْصَرَفَ عَنْهُ عُمَرُ مُغْضَباً، فَاتَّبَعَهُ أَبُو بَكْرٍ يَسْأَلُهُ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَهُ،

---

(١) قال الوالد ﷀ: «أي: تذهب نضارته من الغضب» غريب الحديث لابن الجوزي (٢/ ٣٦٤).

(٢) قال الوالد ﷀ: «أن يكون لِعُمَر من الرَّسول ما يكره» فتح الباري لابن حجر (٧/ ٢٥).

(٣) قال الوالد ﷀ: «لأنَّه هو الذي بدأ» فتح الباري لابن حجر (٧/ ٢٥).

(٤) قال الوالد ﷀ: «المراد به: أنَّ صَاحبَ المال يَجعلُ يَدَه ويَدَ صَاحبِه في مَالِه سواء، ومُواسَاتُه بنفسه: وقايته في المخاوف - كما يأتي في قصَّة الهجرة وغيرها -» فتح الباري لابن حجر (٧/ ٢٥).

(٥) قال الوالد ﷀ: «لِمَا أَظهرَه النَّبيُّ ﷺ مِنْ تَعظيمِه» فتح الباري لابن حجر (٧/ ٢٥).

(٦) رواها البخاري، كتاب تفسير القرآن، بَاب ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ الآية، رقم (٤٦٤٠).

(٧) قال الوالد ﷀ: «مراجعة» فتح الباري لابن حجر (٧/ ٢٥).

فَلَمْ يَفْعَلْ حَتَّى أَغْلَقَ بَابَهُ فِي وَجْهِهِ...، قَالَ: وَغَضِبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ...»، وفيه: «إِنِّي قُلْتُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً، فَقُلْتُمْ: كَذَبْتَ، وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: صَدَقْتَ».

فهذا يُبَيِّن فيه أنَّه لم يُكَذِّبه قط، وأنَّه صَدَّقه حين كذَّبه النَّاس طُرّاً[١]، وهذا ظاهرٌ في أنَّه صَدَّقه قبل أنْ يُصَدِّقه أحدٌ من النَّاس الذين بلَّغهم الرِّسالة.

والنَّاس متنازعون في أوَّل مَنْ أَسلمَ:

فقيل: أبو بكر أوَّل مَنْ أَسلمَ، فهو أَسبقُ إسلاماً مِنْ علِيٍّ.

وقيل: إنَّ عليّاً أَسلمَ قَبلَه، لكنَّ عليّاً كان صغيراً[٢]؛ وإِسلامُ الصَّبيِّ فيه نِزَاعٌ بين العلماء[٣].

ولا نِزَاع في أنَّ إِسلامَ أبي بَكرٍ أكمل وأنفع؛ فيكون هو أكمل سَبْقاً بالاتِّفاق، وأسبق على الإطلاق على القول الآخر.

وقال الشَّيخ[٤] في مَوضعٍ آخَر: «وأمَّا خديجة وعَليٌّ وزيدٌ؛ فهؤلاء

---

(١) أي: جميعاً. الصحاح (٢/ ٧٢٥).

(٢) فضائل الصَّحابة لأحمد بن حنبل (١/ ٢٢٣)، (٢/ ٥٨٩)، البداية والنهاية (٤/ ٦١).

(٣) على قولين؛ **القول الأوَّل**: أنَّه صحيح في الجملة، وبهذا قال أبو حنيفة ومالك وأحمد، **القول الثَّاني**: أنَّه لا يصحُّ حتى يبلغ الحُلُم، وبهذا قال الشَّافعيُّ، وهو رواية عن الإمام أحمد. المبسوط للسَّرَخسي (١٠/ ٦٣)، التوضيح في شرح مختصر ابن الحاجب (٨/ ٢٢٩)، المُهذَّب للشِّيرازي (٣/ ٢٨٨)، المغني (٩/ ١٣).

(٤) أي: شيخ الإسلام ابن تيميَّة رحمه الله.

كانوا مِنْ عِيالِ النَّبيِّ ﷺ، وفي بيته، وخَديجةُ عُرِض عليها أمرُه لَمَّا فَجَأَهُ الوحيُ، وصدَّقته ابتداءً قبل أنْ يُؤمَر بالتَّبليغ، وذلك قبل أنْ يجب الإيمان به؛ فإنَّه إنَّما يَجِب إذا بلَّغ الرِّسالة، وعَلِيٌّ يُمكِنُ أنَّه آمَنَ به لَمَّا سَمِعَه يُخبِر خديجة - وإن كان لم يبلِّغْه -»(١).

وقوله في حديث عمرو بن عَبَسَة رضي الله عنه(٢): «قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ مَعَكَ عَلَى هَذَا؟ قَالَ: حُرٌّ، وَعَبْدٌ، قَالَ: وَمَعَهُ يَوْمَئِذٍ أَبُو بَكْرٍ، وَبِلَالٌ(٣) مِمَّنْ آمَنَ بِهِ»(٤)؛ موافق لهذا، أي: اتَّبعَه من المُكَلَّفين المَدعوِّين(٥).



(١) منهاج السُّنَّة النَّبويَّة - ط جامعة الإمام - (٨/ ٤٢٤).

(٢) هو: أبو نجيح عمرو بن عبسة بن عامر السُّلميُّ رضي الله عنه، أَسلمَ قديماً في أوَّل الإسلام، ورجع إلى قومه، وقَدِم على النَّبيِّ ﷺ قبيل فتح مكَّة، وشَهِد معه الفتح، توفي في أواخر خِلافَة عثمان رضي الله عنه. الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٣/ ١١٩٢)، الإصابة في تمييز الصَّحابة (٤/ ٥٤٥).

(٣) هو: أبو عبد اللَّه بلال بن رباح، موْلَى أبي بكر الصِّدِّيق رضي الله عنهما، من السَّابقين الأوَّلين، شَهِد بدراً وأُحُداً وسائر المشاهد، وهو مُؤذِّن رسول اللَّه ﷺ، توفي سنة (٢٠هـ). الاستيعاب في معرفة الأصحاب (١/ ١٧٨)، أُسْد الغابة في معرفة الصَّحابة (١/ ٢٤٣).

(٤) رواه مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب إسلام عمرو بن عبسة، رقم (٨٣٢).

(٥) قال الوالد رحمه الله: «هذه النُّقول التي رَوَى فيها الأحاديث وبَيَّن وجه الدَّلالة منها: هي في منهاج السُّنَّة النَّبويَّة (٤/ ٢٥١، ٨، ٤٢، ٤٥، ٢٥٣، ٢٥٤، ١٣٦)، (٣/ ٤)، وانظر: البداية والنهاية لابن كثير (٤/ ٦٥)».

وَأَوَّلُ مَنْ أُوذِيَ فِي اللَّهِ

أَوَّلُ مَنْ أُوذِي في اللَّه بعد رسول اللَّه ﷺ: أبو بكر؛ آذاه الكفَّار على إيمانه حتَّى خرج مِنْ مكَّة مهاجراً إلى أرض الحَبَشَة، روى البخاريُّ(١) في صحيحه(٢): عن عائشة رضي الله عنها قالت: «لَمْ أَعْقِلْ أَبَوَيَّ قَطُّ إِلَّا وَهُمَا يَدِينَانِ الدِّينَ، وَلَمْ يَمُرَّ عَلَيْنَا يَوْمٌ إِلَّا يَأْتِينَا فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ طَرَفَيِ النَّهَارِ، بُكْرَةً وَعَشِيَّةً(٣).

فَلَمَّا ابْتُلِيَ المُسْلِمُونَ خَرَجَ أَبُو بَكْرٍ مُهَاجِراً نَحْوَ أَرْضِ الحَبَشَةِ، حَتَّى بَلَغَ بَرْكَ الغِمَادِ لَقِيَهُ ابْنُ الدَّغِنَةِ، وَهُوَ سَيِّدُ القَارَةِ، فَقَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ يَا أَبَا بَكْرٍ؟ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَخْرَجَنِي قَوْمِي، فَأُرِيدُ أَنْ أَسِيحَ فِي الأَرْضِ وَأَعْبُدَ رَبِّي.

قَالَ ابْنُ الدَّغِنَةِ: فَإِنَّ مِثْلَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ لَا يَخْرُجُ وَلَا يُخْرَجُ، إِنَّكَ تَكْسِبُ المَعْدُومَ، وَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الكَلَّ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ

---

(١) هو: أبو عبد اللَّه مُحمَّد بن إسماعيل بن إبراهيم الجُعْفِيُّ مولاهم، البُخاريُّ، ولد سنة (١٩٤هـ)، صاحب الصَّحيح والتَّصانيف، صَنَّف وحَدَّث وهو صغير، كان رأساً في الذَّكاء والعِلم والوَرَع والعبادة، توفي رحمه الله سنة (٢٥٦هـ). وفيات الأعيان (٤/ ١٨٨)، تذكرة الحُفَّاظ للذهبي (٢/ ١٠٤).

(٢) سبق تخريجه (ص١١٤).

(٣) قال الوالد رحمه الله: «والإسلام - إذ ذاك - ضعيف، والأعداء كُثُر، وهذا غاية الفضيلة والاختصاص في الصُّحبة. منهاج السُّنَّة النَّبويَّة (٤/ ٢٤٥) ويأتي».

عَلَى نَوَائِبِ الحَقِّ، فَأَنَا لَكَ جَارٌ، ارْجِعْ وَاعْبُدْ رَبَّكَ بِبَلَدِكَ، فَرَجَعَ وَارْتَحَلَ مَعَهُ ابْنُ الدَّغِنَةِ.

فَطَافَ ابْنُ الدَّغِنَةِ عَشِيَّةً فِي أَشْرَافِ قُرَيْشٍ، فَقَالَ لَهُمْ: إِنَّ أَبَا بَكْرٍ لَا يَخْرُجُ مِثْلُهُ وَلَا يُخْرَجُ، أَتُخْرِجُونَ رَجُلاً يَكْسِبُ المَعْدُومَ، وَيَصِلُ الرَّحِمَ، وَيَحْمِلُ الكَلَّ، وَيَقْرِي الضَّيْفَ، وَيُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الحَقِّ؟!

فَلَمْ تُكَذِّبْ قُرَيْشٌ بِجِوَارِ ابْنِ الدَّغِنَةِ، وَقَالُوا لِابْنِ الدَّغِنَةِ: مُرْ أَبَا بَكْرٍ فَلْيَعْبُدْ رَبَّهُ فِي دَارِهِ، فَلْيُصَلِّ فِيهَا وَلْيَقْرَأْ مَا شَاءَ، وَلَا يُؤْذِينَا بِذَلِكَ، وَلَا يَسْتَعْلِنْ بِهِ؛ فَإِنَّا نَخْشَى أَنْ يَفْتِنَ نِسَاءَنَا وَأَبْنَاءَنَا.

فَقَالَ ذَلِكَ ابْنُ الدَّغِنَةِ لِأَبِي بَكْرٍ، فَلَبِثَ أَبُو بَكْرٍ بِذَلِكَ يَعْبُدُ رَبَّهُ فِي دَارِهِ، وَلَا يَسْتَعْلِنُ بِصَلَاتِهِ، وَلَا يَقْرَأُ فِي غَيْرِ دَارِهِ.

ثُمَّ بَدَا لِأَبِي بَكْرٍ، فَابْتَنَى مَسْجِداً بِفِنَاءِ دَارِهِ، وَكَانَ يُصَلِّي فِيهِ، وَيَقْرَأُ القُرْآنَ، فَيَنْقَذِفُ عَلَيْهِ نِسَاءُ المُشْرِكِينَ وَأَبْنَاؤُهُمْ، وَهُمْ يَعْجَبُونَ مِنْهُ وَيَنْظُرُونَ إِلَيْهِ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ رَجُلاً بَكَّاءً، لَا يَمْلِكُ عَيْنَيْهِ إِذَا قَرَأَ القُرْآنَ.

وَأَفْزَعَ ذَلِكَ أَشْرَافَ قُرَيْشٍ مِنَ المُشْرِكِينَ، فَأَرْسَلُوا إِلَى ابْنِ الدَّغِنَةِ فَقَدِمَ عَلَيْهِمْ، فَقَالُوا: إِنَّا كُنَّا أَجَرْنَا أَبَا بَكْرٍ بِجِوَارِكَ عَلَى أَنْ يَعْبُدَ رَبَّهُ فِي دَارِهِ، فَقَدْ جَاوَزَ ذَلِكَ؛ فَابْتَنَى مَسْجِداً بِفِنَاءِ دَارِهِ، فَأَعْلَنَ بِالصَّلَاةِ وَالقِرَاءَةِ فِيهِ، وَإِنَّا قَدْ خَشِينَا أَنْ يَفْتِنَ نِسَاءَنَا وَأَبْنَاءَنَا، فَانْهَهُ، فَإِنْ أَحَبَّ أَنْ يَقْتَصِرَ عَلَى أَنْ يَعْبُدَ رَبَّهُ فِي دَارِهِ فَعَلَ، وَإِنْ أَبَى إِلَّا أَنْ يُعْلِنَ بِذَلِكَ،

فَسَلْهُ أَنْ يَرُدَّ إِلَيْكَ ذِمَّتَكَ، فَإِنَّا قَدْ كَرِهْنَا أَنْ نُخْفِرَكَ[(١)]، وَلَسْنَا مُقِرِّينَ لِأَبِي بَكْرٍ الِاسْتِعْلَانَ.

قَالَتْ عَائِشَةُ: فَأَتَى ابْنُ الدَّغِنَةِ إِلَى أَبِي بَكْرٍ؛ فَقَالَ: قَدْ عَلِمْتَ الَّذِي عَاقَدْتُ لَكَ عَلَيْهِ، فَإِمَّا أَنْ تَقْتَصِرَ عَلَى ذَلِكَ، وَإِمَّا أَنْ تُرْجِعَ إِلَيَّ ذِمَّتِي، فَإِنِّي لَا أُحِبُّ أَنْ تَسْمَعَ العَرَبُ أَنِّي أُخْفِرْتُ فِي رَجُلٍ عَقَدْتُ لَهُ.

فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَإِنِّي أَرُدُّ إِلَيْكَ جِوَارَكَ، وَأَرْضَى بِجِوَارِ اللَّهِ ﷻ...» الحديث.

ولَمَّا هاجر رسول اللَّه ﷺ وأبو بكر، جعلوا في كلِّ واحد منهما دِيَته لمَن قتله أو أسره[(٢)].

وحَثَوا التُّراب على رأس أبي بكر، قال ابن إسحاق[(٣)]: «حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ القَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ[(٤)]، قَالَ: لَقِيَ أَبَا بَكْرٍ سَفِيهٌ مِنْ

---

(١) أي: لا نَفِي بذمَّتك. مشارق الأنوار (١/ ٢٤٤).

(٢) منهاج السُّنَّة النَّبويَّة (٣/ ٦)، (٤/ ٢٨٨، ٢٦٨، ٣١).

(٣) هو: أبو بكر مُحمَّد بن إسحاق بن يسار المُطَّلبيُّ مولاهم، المدنيُّ، ولد سنة (٨٠هـ)، علَّامةٌ حافظٌ أَخباريٌّ، توفي ﵀ سنة (١٥٠هـ). وفيات الأعيان (٤/ ٢٧٦)، سير أعلام النبلاء (٧/ ٣٣).

(٤) هو: أبو مُحمَّد عبد الرَّحْمَن بن القاسم بن مُحمَّد بن أبي بكر الصِّدِّيقِ القُرشيُّ، ولد في خلافة معاوية ﵁، إمامٌ ثَبْتٌ فقيهٌ، توفي ﵀ سنة (١٢٦هـ). تهذيب الكمال (١٧/ ٣٤٧)، سير أعلام النبلاء (٦/ ٥).

سُفَهَاءِ قُرَيْشٍ حِينَ خَرَجَ مِنْ جِوَارِ ابْنِ الدَّغِنَةِ - وَهُوَ عَامِدٌ إِلَى الكَعْبَةِ -، فَحَثَا عَلَى رَأْسِهِ تُرَاباً، فَمَرَّ بِأَبِي بَكْرٍ الوَلِيدُ بْنُ المُغِيرَةِ[١] - أَوِ: العَاصُ بْنُ وَائِلٍ[٢] -، فَقَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ ﵁: أَلَا تَرَى مَا يَصْنَعُ هَذَا السَّفِيهُ؟ فَقَالَ: أَنْتَ فَعَلْتَ ذَلِكَ بِنَفْسِكَ، وَهُوَ يَقُولُ: أَيْ رَبِّ مَا أَحْلَمَكَ! أَيْ رَبِّ مَا أَحْلَمَكَ! أَيْ رَبِّ مَا أَحْلَمَكَ!»[٣].



(١) هو: أبو عبد شمس الوليد بن المغيرة بن عبد اللَّه القُرشيُّ المَخزوميُّ، أدرك الإسلام وهو شيخ هرم، فعاداه وقاوم دعوته، هلك سنة (١هـ). أنساب الأشراف (١/ ١٣٣)، الأعلام للزِّركلي (٨/ ١٢٢).

(٢) هو: العاص بن وائل بن هاشم السَّهميُّ، أدرك الإسلام، وظلَّ على الشِّرك، مات بعد هجرة النَّبيِّ ﷺ بأشهر، وهو ابن خمس وثمانين سنة. أنساب الأشراف (١/ ١٣٨)، الأعلام للزِّركلي (٣/ ٢٤٧).

(٣) البداية والنهاية (٤/ ٢٣٤).

قال الوالد ﵀: «وذكر ابن كثير في البداية والنهاية (٤/ ٧٥)، عن خيثمة بن سليمان الأطرابلسيِّ بسنده عن عائشة - بعد أنْ ذَكَرَتْ إِسلامَ أبي بَكرٍ - قالت: (لَمَّا اجْتَمَعَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ - وَكَانُوا ثَمَانِيَةً وَثَلَاثِينَ رَجُلاً - أَلَحَّ أَبُو بَكْرٍ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الظُّهُورِ، فَقَالَ: يَا أَبَا بَكْرٍ، إِنَّا قَلِيلٌ، فَلَمْ يَزَلْ أَبُو بَكْرٍ يُلِحُّ حَتَّى ظَهَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَتَفَرَّقَ المُسْلِمُونَ فِي نَوَاحِي المَسْجِدِ، كُلُّ رَجُلٍ فِي عَشِيرَتِهِ، وَقَامَ أَبُو بَكْرٍ فِي النَّاسِ خَطِيباً، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَالِسٌ، فَكَانَ أَوَّلَ خَطِيبٍ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَإِلَى رَسُولِهِ ﷺ، وَثَارَ المُشْرِكُونَ عَلَى أَبِي بَكْرٍ وَعَلَى المُسْلِمِينَ، فَضُرِبُوا فِي نَوَاحِي المَسْجِدِ ضَرْباً شَدِيداً، وَوُطِئَ أَبُو بَكْرٍ وَضُرِبَ ضَرْباً شَدِيداً، وَدَنَا مِنْهُ الفَاسِقُ عُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ، فَجَعَلَ يَضْرِبُهُ بِنَعْلَيْنِ مَخْصُوفَيْنِ، وَيُحَرِّفُهُمَا لِوَجْهِهِ، وَنَزَا عَلَى بَطْنِ أَبِي بَكْرٍ حَتَّى مَا يُعْرَفُ وَجْهُهُ مِنْ أَنْفِهِ...) إلى آخر القصَّة».

وَأَوَّلُ مَنْ دَافَعَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ

لَمَّا أراد المشركون أنْ يَضرِبُوا رَسولَ اللَّه ﷺ - أو يَقتُلُوه بمكَّة - دافع عنه الصِّدِّيق، فضَرَبُوه.

عن عروة بن الزُّبَيْر[(١)] قال: «سَأَلْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو[(٢)] عَنْ أَشَدِّ مَا صَنَعَ المُشْرِكُونَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَ: رَأَيْتُ عُقْبَةَ بْنَ أَبِي مُعَيْطٍ[(٣)] جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ - وَهُوَ يُصَلِّي -، فَوَضَعَ رِدَاءَهُ فِي عُنُقِهِ فَخَنَقَهُ بِهِ خَنْقاً شَدِيداً، فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ حَتَّى دَفَعَهُ عَنْهُ، فَقَالَ: أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ؟!»[(٤)].

وفي حديث أسماء[(٥)]: «فَأَتَى الصَّرِيخُ إِلَى أَبِي بَكْرٍ فَقَالَ: أَدْرِكْ صَاحِبَكَ.

---

(١) هو: أبو عبد اللَّه عروة بن الزُّبَيْر بن العَوَّام القُرشيُّ، ولد سنة (٢٣هـ)، عالم المدينة، وهو أحد الفقهاء السَّبعة، توفي رحمه الله سنة (٩٣هـ). تهذيب الكمال (٢٠/ ١١)، سير أعلام النبلاء (٤/ ٤٢١).

(٢) هو: أبو مُحمَّد عبد اللَّه بن عَمْرو بن العاص القُرشيُّ السَّهميُّ رضي الله عنه، أسلم قبل أبيه، وأحد المُكثِرين عن النَّبيِّ ﷺ، توفي ليالي الحَرَّة في ولاية يزيد بن معاوية سنة (٦٣هـ). الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٣/ ٩٥٦)، الإصابة في تمييز الصَّحابة (٤/ ١٦٥).

(٣) هو: أبو الوليد عُقبَة بن أبي مُعَيط أبان بن أبي عمرو، من بني عبد شمس، أحدُ المستهزئين، ومن المُجاهِرين بالأذى والعداوة لرسول اللَّه ﷺ، أسره رسول اللَّه ﷺ يوم بدر، وضَرَبَ عُنُقَه صبراً. جوامع السِّيرة (ص٤١)، الإكمال لابن ماكولا (٧/ ٢٠٨)، الوافي بالوفيات (٢٠/ ٥٩).

(٤) رواه البخاري، كتاب أصحاب النَّبيِّ ﷺ، باب قول النَّبيِّ ﷺ: «لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذاً خَلِيلاً»، رقم (٣٦٧٨).

(٥) هي: أسماء بنت أبي بكر الصِّدِّيق التَّيميَّة القُرشيَّة رضي الله عنها، ولدت قبل الهجرة بسبع وعشرين =

قَالَتْ: فَخَرَجَ مِنْ عِنْدِنَا وَلَهُ غَدَائِرُ[١] أَرْبَعٌ وَهُوَ يَقُولُ: وَيْلَكُمْ أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ؟! فَلَهَوْا عَنْهُ، وَأَقْبَلُوا إِلَى أَبِي بَكْرٍ، فَرَجَعَ إِلَيْنَا أَبُو بَكْرٍ، فَجَعَلَ لَا يَمَسُّ شَيْئاً مِنْ غَدَائِرِهِ إِلَّا رَجَعَ مَعَهُ»[٢][٣].



= سنة، وأسلمت بعد سبعة عشر إنساناً، توفيت سنة (٧٣هـ). أُسْد الغابة في معرفة الصَّحابة (٦/ ٩)، الإصابة في تمييز الصَّحابة (٨/ ١٢).

(١) هي: ذوائب الشَّعَر، ومفردها: غديرة. النهاية في غريب الحديث والأثر (٣/ ٣٤٥).

(٢) قال الوالد رحمه الله: «أخرجه أبو يعلى في مسنده، رقم (٥٢)».

(٣) منهاج السُّنَّة النَّبويَّة (٣/ ٤)، (٤/ ٢٥٢، ١٦٦، ١٦٨).

قال الوالد رحمه الله: «وقال في الفتح: (ولِقصَّة أبي بَكرٍ هذه شاهدٌ من حديث عَلِيٍّ رضي الله عنه، أخرجه البَزَّار من رواية مُحمَّد بن عليٍّ، عن أبيه: أَنَّهُ خَطَبَ، فَقَالَ: مَنْ أَشْجَعُ النَّاسِ؟ فَقَالُوا: أَنْتَ، فَقَالَ: أَمَا إِنِّي مَا بَارَزَنِي أَحَدٌ إِلَّا انْتَصَفْتُ مِنْهُ؛ وَلَكِنَّهُ أَبُو بَكْرٍ، لَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَخَذَتْهُ قُرَيْشٌ، هَذَا يَجؤُهُ، وَهَذَا يَتَلَقَّاهُ، وَيَقُولُونَ لَهُ: أَنْتَ تَجْعَلُ الآلِهَةَ إِلَهاً وَاحِداً؟! فَوَاللَّهِ مَا دَنَا مِنَّا أَحَدٌ إِلَّا أَبُو بَكْرٍ يَضْرِبُ هَذَا، وَيَدْفَعُ هَذَا، وَيَقُولُ: وَيْلَكُمْ أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ؟! ثُمَّ بَكَى عَلِيٌّ، ثُمَّ قَالَ: أَنْشُدُكُمُ اللَّهَ أَمُؤْمِنُ آلِ فِرْعَوْنَ أَفْضَلُ أَمْ أَبُو بَكْرٍ؟! فَسَكَتَ القَوْمُ، فَقَالَ عَلِيٌّ: وَاللَّهِ لَسَاعَةٌ مِنْ أَبِي بَكْرٍ خَيْرٌ مِنْهُ؛ ذَاكَ رَجُلٌ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ، وَهَذَا يُعْلِنُ بِإِيمَانِهِ) فتح الباري لابن حجر (٧/ ١٧٠)».

وَأَوَّلُ مَنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ

أبو بَكرٍ أوَّل مَنْ دعا إلى اللَّه، وكان له قَدْر عند قريش؛ لِمَا فيه من المحاسن، فجعل يدعو النَّاس إلى الإسلام مَنْ وَثِق به؛ فأَسلمَ على يَدَيْه أكابر أهل الشُّورَى - عثمان، وطلحة، والزُّبَيْر، وعبد الرَّحْمَن بن عوف، وأبو عُبَيْدَة[1] -، وهذا أَفضلُ عمل.

وكان يخرج مع النَّبيِّ ﷺ يدعو معه الكفَّار إلى الإسلام في المواسم، ويعاونه معاونة عظيمة في الدَّعوة، بخلاف غيره.

وكان يُجاهِد الكفَّار مع الرَّسول ﷺ - قبل الأمر بالقتال - بالحجَّة والبيان والدَّعوة؛ كما قال تعالى: ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا﴾ [الفرقان:٥٢]، وهذه السورة - سورة الفرقان - مكِّيَّة نزلت قبل أن يُهاجِر النَّبيُّ ﷺ، وقبل أنْ يُؤمَر بالقتال.

فكان أبو بَكرٍ أَسْبقَ النَّاس، وأَكملَهم في أنواع الجهاد بالنَّفس والمال؛ فإنَّه جاهد قبل الأمر بالقتال، وبعد الأمر بالقتال، منتصباً للدَّعوة إلى الإيمان بمكَّة والمدينة، يدعو المشركين ويُناظِرهم؛ ولهذا قال النَّبيُّ ﷺ في الحديث الصَّحيح: «إِنَّ أَمَنَّ النَّاسِ عَلَيَّ فِي صُحْبَتِهِ

(١) هو: أبو عُبَيْدَة عامر بن عبد اللَّه بن الجَرَّاح القُرشيُّ ﷺ، أحد العشرة المُبشَّرين بالجَنَّة، وممَّن شَهِد المشاهد كلَّها، توفي في طاعون عمواس سنة (١٨هـ). أُسْد الغابة في معرفة الصَّحابة (٥/ ٢٠٥)، الإصابة في تمييز الصَّحابة (٣/ ٤٧٥).

وَذَاتِ يَدِهِ أَبُو بَكْرٍ»[١]، فالصُّحبة بالنَّفس، وذاتُ اليد هو: المال؛ فأخبر النَّبيُّ ﷺ أنَّه أمَنُّ النَّاس عليه في النَّفس والمال[٢].



(١) رواه التِّرمذيُّ، أبواب المناقب، رقم (٣٦٥٩)، من حديث أبي المُعَلَّى ﵁، ولفظه: «مَا مِنَ النَّاسِ أَحَدٌ أَمَنَّ إِلَيْنَا فِي صُحْبَتِهِ وَذَاتِ يَدِهِ مِن ابْنِ أَبِي قُحَافَةَ».
قال الوالد ﵀: «قال التِّرمذيُّ في السُّنن (٦/ ٤١): (ومعنى قوله: أَمَنَّ إِلَينَا، يعني: أَمَنَّ علينا)؛ أي: أَسْمَح بماله وأبذل له، ولم يُرِد به معنى الامتنان.
وفي صحيح البخاري، كتاب الصَّلاة، باب الخَوْخَة والمَمَرِّ في المسجد، رقم (٤٦٦)، ومسلم، كتاب فضائل الصحابة ﵃، باب من فضائل أبي بَكرٍ الصِّدِّيق ﵁، رقم (٢٣٨٢)، عن أبي سعيد الخُدريِّ ﵁: (إِنَّ أَمَنَّ النَّاسِ عَلَيَّ فِي صُحْبَتِهِ وَمَالِهِ أَبُو بَكْرٍ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذاً خَلِيلاً مِنْ أُمَّتِي، لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ...) الحديث، ويأتي مع أحاديث المُخَالَّة» (ص١٨٥).

(٢) منهاج السُّنَّة النَّبويَّة (٣/ ٦)، (٤/ ٨، ١٦٦، ٧، ٥٤، ٢٤٥، ٤٣).

وَأَوَّلُ مَنْ بَذَلَ مَالَهُ لِنُصْرَةِ الإِسْلَامِ

روى الإمام أحمد[(١)]، عن أبي معاوية[(٢)]، عن الأعمش[(٣)]، عن أبي صالح[(٤)]، عن أبي هريرة[(٥)]، عن النَّبيِّ ﷺ قال: «مَا نَفَعَنِي مَالٌ قَطُّ مَا نَفَعَنِي مَالُ أَبِي بَكْرٍ؛ فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ، وَقَالَ: هَلْ أَنَا وَمَالِي إِلَّا

(١) في المسند، رقم (٧٤٤٦).
قال الوالد ﷺ: «وفي رواية في المسند، رقم (٨٧٩٠): (وَقَالَ: وَهَلْ نَفَعَنِي اللَّهُ إِلَّا بِكَ؟ وَهَلْ نَفَعَنِي اللَّهُ إِلَّا بِكَ؟ وَهَلْ نَفَعَنِي اللَّهُ إِلَّا بِكَ؟).
ورواه التِّرمذيُّ في السُّنن، أبواب المناقب، رقم (٣٦٦١)، من حديث أبي هريرة ﷺ، ولفظُه: (مَا لِأَحَدٍ عِنْدَنَا يَدٌ إِلَّا وَقَدْ كَافَيْنَاهُ مَا خَلَا أَبَا بَكْرٍ؛ فَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا يَداً، يُكَافِئُهُ اللَّهُ بِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ)».

(٢) هو: أبو معاوية مُحمَّد بن خازم الكوفيُّ الضَّرير، ولد سنة (١١٣هـ)، حافظٌ ثَبْتٌ، مُحَدِّث الكوفة، توفي ﷺ سنة (١٩٥هـ). تذكرة الحُفَّاظ للذهبي (١/ ٢١٥)، تقريب التهذيب (ص٤٧٥).

(٣) هو: أبو مُحمَّد سليمان بن مهران الأَعْمَش الكاهليُّ، ولد سنة (٦١هـ)، إمامٌ، شيخُ المُقْرِئين والمُحَدِّثين، توفي ﷺ سنة (١٤٨هـ). تهذيب الكمال (١٢/ ٧٦)، سير أعلام النبلاء (٦/ ٢٢٦).

(٤) هو: أبو صالح ذكوان بن عبد اللَّه السَّمَّان، ولد في خلافة عمر ﷺ، القدوة الحُجَّة، كان من كبار علماء المدينة، توفي ﷺ سنة (١٠١هـ). تهذيب الكمال (٨/ ٥١٣)، سير أعلام النبلاء (٥/ ٣٦).

(٥) هو: أبو هريرة عبد الرَّحْمَن بن صَخْرٍ الدَّوْسيُّ ﷺ، قَدِم المدينة ورسول اللَّه ﷺ بخيبر، أسلم سنة (٧هـ)، ولَزِم صحبة النَّبيِّ ﷺ، كان أكثر الصَّحابة حِفظاً للحديث وروايةً له، توفي سنة (٥٧هـ). الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٤/ ١٧٦٨)، الإصابة في تمييز الصَّحابة (٧/ ٣٤٨).

لَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟»، وهذا صريح في اختصاصه بهذه الفضيلة، لم يَشْرَكه فيها عليٌّ، ولا غيره.

«وَكَانَ يَقْضِي فِي مَالِ أَبِي بَكْرٍ، كَمَا يَقْضِي فِي مَالِ نَفْسِهِ»(١).

وإنفاق أبي بَكرٍ لم يكن نفقةً على النَّبيِّ ﷺ في طعامه وكسوته، فإنَّ اللَّه أغنى نبيَّه عن مال الخَلْق أجمعين؛ بل كان مَعونةً له على إقامة الإيمان.

وكان إنفاقه في أوَّل الإسلام لتخليص مَنْ آمَنَ، والكفَّار يؤذونه أو يريدون قتله، مثل: اشْتِرَائِهِ سبعة كانوا يُعَذَّبون في اللَّه؛ منهم: بلال، حتى قال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَبُو بَكْرٍ سَيِّدُنَا، وَأَعْتَقَ سَيِّدَنَا - يَعْنِي: بِلَالاً -»(٢).

وإنفاقه على المحتاجين من أهل الإيمان وفي نصر الإسلام، حيث كان أهل الأرض قاطبةً أعداءَ الإسلام، وتلك النَّفقة ما بقي يُمكِن مِثلُها؛ ولهذا قال النَّبيُّ ﷺ في الحديث المتَّفق على صِحَّته - لَمَّا كان بين عبد الرَّحْمَن بن عوف وبين خالد بن الوليد كَلامٌ -: «لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ أَنْفَقَ أَحَدُكُمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَباً مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ، وَلَا نَصِيفَهُ»(٣)، وهذا في النَّفقة التي اختصُّوا بها، وأمَّا جنس إطعام الجائع مطلقاً، فهذا مُشترَكٌ يُمكِن فعلُه إلى يوم القيامة.

---

(١) قال الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ: «قوله: (وَكَانَ يَقْضِي فِي مَالِ أَبِي بَكْرٍ، كَمَا يَقْضِي فِي مَالِ نَفْسِهِ) أخرجه الخطيب عن سعيد بن المُسَيِّب مرسلاً. تاريخ الخلفاء للسُّيوطيِّ (ص٣٤)».

(٢) رواه البخاري، باب مناقب بلال بن رباح رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، رقم (٣٧٥٤).

(٣) سبق تخريجه (ص١٠٧).

وقال يعقوب بن سفيان[(١)] في تأريخه[(٢)]: «حَدَّثنا الحُمَيْدِيُّ[(٣)]، قال: حَدَّثنا سفيان[(٤)]، حَدَّثنا هشام[(٥)] عن أبيه: (أَسْلَمَ أَبُو بَكْرٍ وَلَهُ أَرْبَعُونَ أَلْفَ دِرْهَم[(٦)]، فَأَنْفَقَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَأَعْتَقَ أَبُو بَكْرٍ سَبْعَةً كُلُّهُمْ يُعَذَّبُ فِي اللَّهِ؛ أَعْتَقَ بِلَالاً، وَعَامِرَ بْنَ فُهَيْرَةَ[(٧)]، وَزِنِّيرَةَ[(٨)]، وَالنَّهْدِيَّةَ وَابْنَتَهَا[(٩)]، وَجَارِيَةَ بَنِي المُؤَمِّلِ[(١٠)]، وَأُمَّ عُبَيْسٍ[(١١)])».

---

(١) هو: أبو يوسف يعقوب بن سفيان بن جوان الفَسَويُّ الفارسيُّ، ولد سنة (١٩٠هـ)، الحافظ الحُجَّة، مُحَدِّثُ إقليم فارس، توفي رحمه الله سنة (٢٧٧هـ). تهذيب الكمال (٣٢/ ٤٢٣)، سير أعلام النبلاء (١٣/ ١٨٠).

(٢) المعرفة والتاريخ (٣/ ٢٥٤).

(٣) هو: أبو بكر عبد اللَّه بن الزُّبَيْر بن عيسى الحميديُّ المَكِّيُّ، ثقة إمامٌ، توفي رحمه الله سنة (٢١٩هـ). تهذيب الكمال (١٤/ ٥١٢)، سير أعلام النبلاء (١٠/ ٦١٦).

(٤) هو: أبو مُحمَّد سفيان بن عُيَيْنَة بن أبي عمران ميمون الهلاليُّ، ولد سنة (١٠٧هـ)، إمامٌ كبيرٌ، حافظُ العصر، وشيخُ الإسلام، توفي رحمه الله سنة (١٩٨هـ). تهذيب الكمال (١١/ ١٧٧)، سير أعلام النبلاء (٨/ ٤٥٤).

(٥) هو: أبو المنذر هشام بن عروة بن الزُّبَيْر بن العَوَّام القُرشيُّ، ولد سنة (٦١هـ)، إمامٌ ثقةٌ، توفي رحمه الله سنة (١٤٦هـ). تهذيب الكمال (٣٠/ ٢٣٢)، سير أعلام النبلاء (٦/ ٣٤).

(٦) وتساوي بالمقادير المعاصرة: سبعين ألف جرام (٧٠٠٠٠) من الفضَّة.

(٧) هو: أبو عمرو عامر بن فُهَيْرَة، مولى أبي بكر الصِّدِّيق رضي الله عنهما، من السَّابقين الأوَّلين، قُتِل يوم بئر مَعُونة سنة (٤هـ)، وهو ابن أربعين سنة. أُسْد الغابة في معرفة الصَّحابة (٣/ ٣٢)، الإصابة في تمييز الصَّحابة (٣/ ٤٨٢).

(٨) هي: زِنِّيرَةُ الرُّومِيَّة، كانت مولاة لبني عبد الدَّار، أسلمت في أوَّل الإسلام. الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٤/ ١٨٤٩)، أُسْد الغابة في معرفة الصَّحابة (٦/ ١٢٣).

(٩) كَانَتَا جاريتين لامرأةٍ من بني عبد الدَّار فأسلمتا. أنساب الأشراف (١/ ١٩٦).

(١٠) اسمها: لبيبة، وهي جَارِيَة بني المُؤمِّل بن حبيب بن تَميمٍ. أنساب الأشراف (١/ ١٩٥)، الإصابة في تمييز الصَّحابة (٨/ ٣٠١).

(١١) كُنِّيَت بابنها عُبَيْس بن كريز، كانت فتاة لبني تَيْم بن مُرَّة، أسلمت في أوَّل الإسلام. أُسْد الغابة في معرفة الصَّحابة (٦/ ٣٦٥)، الإصابة في تمييز الصَّحابة (٨/ ٤٣٤).

وقال أبو قُحَافَة له: «يَا بُنَيَّ، أَرَاكَ تُعْتِقُ رِقَاباً ضِعَافاً، فَلَوْ أَعْتَقْتَ قَوْماً يَمْنَعُونَكَ، فَقَالَ: إِنِّي أُرِيدُ مَا أُرِيدُ»(١).

ولَمَّا هَاجَرَ استصْحَب ماله، فجاء أبو قُحَافَة، وقال لأَهله: «ذَهَبَ أَبُو بَكْرٍ بِنَفْسِهِ، فَهَلْ تَرَكَ مَالَهُ عِنْدَكُمْ أَوْ أَخَذَهُ؟ قَالَتْ أَسْمَاءُ: فَقُلْتُ: بَلْ تَرَكَهُ، وَوَضَعْتُ فِي الكُوَّةِ(٢) شَيْئاً، وَقُلْتُ: هَذَا هُوَ المَالُ - لِتَطِيبَ نَفْسُهُ أَنَّهُ تَرَكَ ذَلِكَ لِعِيَالِهِ -، وَلَمْ يَطْلُبْ أَبُو قُحَافَةَ مِنْهُمْ شَيْئاً»(٣)، وهذا يدلُّ على غِناه.

وأصحاب الصُّفَّة(٤) كانوا فقراء، فحَثَّ النَّبيُّ ﷺ على طُعْمَتهم، فذهب(٥) بثلاثة، وانطلق نَبيُّ اللَّه بعشرة(٦).

وكان الصِّدِّيق يُنْفِق على مِسْطَح بن أُثَاثَة(٧) لقَرابةٍ بَعيدَة، وكان

(١) رواه الحاكم في المستدرك (٢/ ٥٧٢)، رقم (٣٩٤٢)، من حديث عبد اللَّه بن الزُّبَيْر رضي الله عنهما.
قال الوالد رحمه الله: «وفي رواية ابن جرير: (قَالَ: يَا أَبَتِ، إِنِّي أُرِيدُ مَا عِنْدَ اللَّهِ)» تفسير الطَّبري (٢٤/ ٤٦٦).

(٢) أي: الخَرْق في الحائط، أو الثَّقْب في البيت ونحوه. لسان العرب (١٥/ ٢٣٦).

(٣) السِّيرة النَّبويَّة لابن هشام (١/ ٤٨٨).

(٤) هم: فقراء المهاجرين الذين لا مأوى ولا منازل لهم، والصُّفَّة هي: مَوضِع مُظَلَّل من المسجد يأوي إليه هؤلاء؛ لذا نُسِبوا إليه، وقيل: سُمُّوا أصحاب الصُّفَّة؛ لأنَّهم كانوا يَصُفُّون على باب المسجد. مشارق الأنوار (٢/ ٥٠).

(٥) أي: أبو بكرٍ رضي الله عنه.

(٦) رواه البخاري، كتاب مواقيت الصَّلاة، باب السَّمَر مع الضَّيف والأهل، رقم (٦٠٢)، ومسلم، كتاب الأشربة، باب إكرام الضَّيف وفضل إيثاره، رقم (٢٠٥٧)، من حديث عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهما.

(٧) هو: أبو عبَّاد مِسْطَح بن أُثَاثَة بن عبَّاد القُرشيُّ المُطَّلبيُّ رضي الله عنه، شَهِد بَدراً، توفي سنة (٣٤هـ)، وهو ابن ستٍّ وخمسين سنة. الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٤/ ١٤٧٢)، الإصابة في تمييز الصَّحابة (٦/ ٧٤).

مِمَّنْ يتكلَّم في الإِفْك، فحَلَف أبو بَكرٍ أنْ لا يُنْفِقَ عليه، فأنزل اللَّه تعالى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ﴾ إلى قوله: ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور:٢٢]، فقال أبو بكر: «بَلَى وَاللَّهِ، أُحِبُّ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لِي، فَأَعَادَ عَلَيْهِ النَّفَقَةَ»، والحديث بذلك ثابت في الصَّحيحَيْن[١][٢].



(١) رواه البخاري، كتاب الشَّهادات، باب تعديل النِّساء بعضهن بعضاً، رقم (٢٦٦١)، ومسلم، كتاب التوبة، باب في حديث الإفك وقَبول توبة القاذف، رقم (٢٧٧٠)، من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) منهاج السُّنَّة النَّبويَّة (٤/٢٨٦، ٤، ٤٤، ٤٥، ٢٨٩، ٧، ٥٠، ٢٨٧، ٢٨٣، ٢٨٤، ٢٧٤، ٢٤٥).

الفَضْلُ بِالسَّبْقِ إِلَى الإنْفَاقِ وَالقِتَالِ وَهُوَ أَسْبَقُهُمْ إِلَيْهِمَا

وكلُّ آية نزلت في مدح المُنفِقين في سبيل اللَّه فهو أوَّلُ المرادين بها من الأُمَّة، مثل قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ أُوْلَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُواْ﴾ [الحديد: ١٠]، فالذين سبقوا إلى الإنفاق والقتال قبل الحديبية[١] أفضل ممَّن بعدهم، وأبو بكر أفضل من هؤلاء كلِّهم؛ فإنَّه مِن حين آمن بالرَّسول ﷺ يُنفِق ماله، ويُجاهِد بحسب الإمكان.

وليس كلُّ مَنْ سبق إلى الإسلام كان أَفضل من غيره؛ ولهذا كان عمر ممَّنْ أَسلمَ بعد تسعة وثلاثين، وهو أَفضلُ مِنْ أَكثرِهم بالنُّصوص الصَّحيحة.

وكذلك قوله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٢٠][٢].



(١) أي: قبل صلح الحُديبِيَة، وهو: الصُّلح الذي تَمَّ بين المسلمين ومشركي قريش في الحُدَيْبِيَة في شهر ذي القَعْدَة من العام السَّادس للهجرة، وفيه اصْطَلَحَا على وَضْع الحرب عن النَّاس عشر سنين يأمن فيهنَّ النَّاس، ويَكُفُّ بعضهم عن بعض. السِّيرة النَّبويَّة لابن هشام (٢/ ٣٠٨)، الرَّوض الأُنُف (٦/ ٤٥٢).

والحُدَيْبِيَةُ: غرب المسجد الحرام، تَبعُد عنه خمسة وعشرين (٢٥) كيلومتراً على طريق جدَّة القديم. معجم ما استعجم (٢/ ٣٨٤)، معجم البلدان (٢/ ٢٢٩)، معجم المعالم الجغرافية (ص٩٤).

(٢) منهاج السُّنَّة النَّبويَّة (٤/ ٤٥، ٢٨٩، ٤٢، ١٣٦).

سَبْقُهُ عُمَرَ فِي الإِنْفَاقِ

عن عمر رضي الله عنه قال: «أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْماً أَنْ نَتَصَدَّقَ، فَوَافَقَ ذَلِكَ مِنِّي مَالاً، فَقُلْتُ: الْيَوْمَ أَسْبِقُ أَبَا بَكْرٍ إِنْ سَبَقْتُهُ، فَجِئْتُ بِنِصْفِ مَالِي، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ؟ قُلْتُ: مِثْلَهُ.

وَأَتَى أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه بِكُلِّ مَا عِنْدَهُ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ؟ قَالَ: أَبْقَيْتُ لَهُمُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، قُلْتُ: لَا أُسَابِقُهُ إِلَى شَيْءٍ أَبَداً» رواه أبو داود[١]، والتِّرمذيُّ[٢]؛ وقال: «حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ».



(١) كتاب الزَّكاة، باب في الرُّخصة في ذلك، رقم (١٦٧٨).

وأبو داود هو: سليمان بن الأشعث بن إسحاق الأزديُّ السِّجستانيُّ، ولد سنة (٢٠٢هـ)، إمامٌ ثَبْتٌ، وسَيِّدُ الحُفَّاظ، توفي رحمه الله سنة (٢٧٥هـ). تاريخ بغداد (١٠/ ٧٥)، تذكرة الحُفَّاظ للذهبي (٢/ ١٢٧).

(٢) أبواب المناقب، رقم (٣٦٧٥).

والتِّرمذيُّ هو: أبو عيسى مُحمَّد بن عيسى بن سَوْرة السُّلميُّ التِّرمذيُّ، ولد سنة (٢١٠هـ)، إمام، حافظ، مُحَدِّث، صَنَّف «الجامع» وكتاب «العِلَل»، توفي رحمه الله سنة (٢٧٩هـ). وفيات الأعيان (٤/ ٢٧٨)، تذكرة الحُفَّاظ للذهبي (٢/ ١٥٤).

أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه صَاحِبُ النَّبِيِّ المُطْلَقُ

الصُّحْبَةُ، وَفَضْلُهَا، وَمَقَاصِدُهَا، وَتَبْرِيزُهُ فِيهَا

الصُّحْبَةُ

الصُّحبَة: اسم جِنسٍ، تَعُمُّ قليل الصُّحبَة وكثيرها، فيقال: صَحِبَه ساعة، ويوماً، وجُمعة، وشهراً، وسَنَة، وَصَحِبَه عمره كلَّه[1].

فَضْلُ صُحْبَةِ النَّبِيِّ ﷺ

ثَبَتَ في الصَّحيح[2]: عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «يَأْتِي زَمَانٌ يَغْزُو فِئَامٌ مِنَ النَّاسِ، فَيُقَالُ لَهُمْ: هَلْ فِيكُمْ مَنْ صَحِبَ النَّبِيَّ ﷺ؟ - وفي لفظٍ[3]: هَلْ فِيكُمْ مَنْ رَأَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ؟ - فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيُفْتَحُ لَهُمْ.

ثُمَّ يَغْزُو فِئَامٌ مِنَ النَّاسِ، فَيُقَالُ لَهُمْ: هَلْ فِيكُمْ مَنْ صَحِبَ مَنْ صَحِبَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيُفْتَحُ لَهُمْ.

ثُمَّ يَغْزُو فِئَامٌ مِنَ النَّاسِ، فَيُقَالُ لَهُمْ: هَلْ فِيكُمْ مَنْ صَحِبَ مَنْ صَحِبَ مَنْ صَحِبَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ؟ - وفي لفظٍ[4]: مَنْ رَأَى مَنْ رَأَى مَنْ رَأَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ؟ - فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيُفْتَحُ لَهُمْ».

---

(١) المُسَوَّدة في أصول الفقه (ص٢٩٢)، فتح المغيث (٤/ ٧٨).

(٢) رَوَى الحديثَ مع اختلاف ألفاظه: البُخاريُّ، باب فضائل أصحاب النَّبيِّ ﷺ، رقم (٣٦٤٩)، ومسلم، كتاب فضائل الصَّحابة رضي الله عنهم، باب فضل الصَّحابة، ثمَّ الذين يَلُونهم، ثمَّ الذين يَلُونَهم، رقم (٢٥٣٢)، من حديث أبي سعيد رضي الله عنه.

(٣) لمُسلمٍ.

(٤) لمُسلمٍ.

وفي لفظٍ[١]: «فيذكر الطَّبقة الرَّابعة كذلك»[٢].

فقد علَّق النَّبيُّ ﷺ الحُكم بصُحبتِه على رُؤيتِه، وجعل فتح اللَّه على المسلمين بسبب مَنْ رآه مؤمناً به، وهذه الخاصِّيَّة لا تَثبُت لأحدٍ غير الصَّحابة، ولو كانت أعمالهم أكثر من أعمال الواحد من أصحابه ﷺ.



(١) لمُسلم، ولفظه: «ثُمَّ يَكُونُ البَعْثُ الرَّابِعُ».

(٢) قال الوالد رحمه الله: «وفي رواية لمسلم: (فَيُفْتَحُ لَهُمْ بِهِ).
وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: (وَدِدْتُ أَنِّي رَأَيْتُ إِخْوَانِي، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوَلَسْنَا إِخْوَانَكَ؟ قَالَ: بَلْ أَنْتُمْ أَصْحَابِي، وَإِخْوَانِي الَّذِينَ يَأْتُونَ بَعْدِي يُؤْمِنُونَ بِي وَلَمْ يَرَوْنِي) رواه مسلم، كتاب الطَّهارة، باب استحباب إطالة الغُرَّة والتَّحجيل في الوضوء، رقم (٢٤٩).
ومعلوم أنَّ قولَه: (إِخْوَانِي) أراد به: إخواني الذين ليسوا أصحابه، وأمَّا أنتم فلكم مزيَّة الصُّحبَة. منهاج السُّنَّة النَّبويَّة (٤/ ٢٤٤)».

تَبْرِيزُ أَبِي بَكْرٍ فِيهَا

والصِّدِّيق في ذروة[١] سَنَام الصُّحبة، وأعلى مراتبها؛ فإنَّه صَحِبَ النَّبيَّ ﷺ مِنْ حين بَعثَه اللَّه إلى أنْ مات، فإنَّه لو أُحصِي الزَّمان الذي كان يجتمع فيه أبو بَكرٍ بالنَّبيِّ ﷺ، والزَّمان الذي كان يجتمع فيه عثمان، أو عليٌّ، أو غيرهما من الصَّحابة؛ لَوُجِد ما يَختصُّ به أبو بَكرٍ أضعافَ ما اختَصَّ به واحدٌ منهم، وأمَّا المُشْتَرَك، فلا يختصُّ به واحدٌ.

وأمَّا كمال معرفته ومحبَّته للنَّبيِّ ﷺ وتصديقه له، فهو مبرَّز في ذلك على سائرهم تبريزاً بايَنَهم فيه مباينةً لا تخفى على مَنْ كان له معرفةٌ بأحوال القوم، وأمَّا مَنْ لا معرفة له فلا تُقْبَل شهادته.

وأمَّا نفعه للنَّبيِّ ﷺ ومعاونته له على الدِّين فكذلك.

فهذه الأمور - التي هي مَقاصدُ الصُّحبة، ومحامِدُها، ويستحقُّ الصَّحابة أن يُفضَّلوا بها على غيرهم - لأبي بَكرٍ فيها من الاختصاص بقدرها ونوعها وصفتها وفائدتها ما لا يَشْرَكه فيها أحد، ويدلُّ على ذلك: حديث أبي الدَّرداء ﵁: «وَوَاسَانِي بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ»[٢][٣].



(١) أي: أعلى. الصحاح (٦/ ٢٣٤٥).

(٢) سبق تخريجه (ص١٢٢).

(٣) منهاج السُّنَّة النَّبويَّة (٤/ ٢٤٣-٢٤٥)، مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٤/ ٤٦٤، ٤٦٥).

صَاحِبُهُ فِي سَفَرِ الهِجْرَةِ

دَلالَةُ آيَةِ: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ﴾ عَلَى أَفْضَلِيَّتِهِ مِنْ سَبْعَةِ أَوْجُهٍ

لا ريب أنَّ الفضيلةَ التي حصلت لأبي بَكرٍ في الهجرة لم تَحصُل لغيره من الصَّحابة؛ بالكِتاب والسُّنَّة والإجماع، فتكون هذه الأفضليَّة ثابتةً له دون عمر وعثمان وعَلِيٍّ وغيرهم من الصَّحابة، قال اللَّه تعالى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَـٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا﴾ الآية [التوبة: ٤٠][(١)].

ففي الآية الكريمة من فضائل الصِّدِّيق:

١ - أنَّ الكُفَّارَ أَخْرَجُوهُ:

الكفَّار أخرجوا الرَّسول ﷺ ﴿ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ﴾، فلزم أنْ يكونوا أخرجوهما، وهذا هو الواقع، فإنَّ الكفَّار أخرجوا المهاجرين كلَّهم؛ كما قال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا﴾ [الحشر: ٨].

---

(١) قال الوالد رحمه الله: «قال ابن كثير رحمه الله: (لَمَّا هَمَّ المشركون بقَتْلِه أو حَبْسِه أو نَفْيِه، خرج منهم هارِباً صُحبةَ صديقِهِ وصَاحِبِه أبي بَكرِ بن أبي قُحَافة، فلَجَآ إلى غار ثَوْرٍ ثلاثة أيَّام؛ لِيَرْجِع الطَّلَب الذين خرجوا في آثارهم، ثم يسيروا نحو المدينة، فجعل أبو بكر رضي الله عنه يَجْزَعُ أن يَطَّلِع عليهم أحدٌ فَيَخلُصَ إلى رسول اللَّه ﷺ منهم أذىً، فجعل النَّبيُّ ﷺ يُسَكِّنُه ويُثَبِّتُه) تفسير ابن كثير (٤/ ١٥٥)».

وقال تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ۞ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ﴾ [الحج: ٣٩-٤٠]، وذلك أنَّهم منعوهم أنْ يقيموا بمكَّة مع الإيمان، وهم لا يمكنهم ترك الإيمان، فقد أخرجوهم إذ كانوا مؤمنين[١].

٢ - أَنَّهُ صَاحِبُهُ الوَحِيدُ:

الذي كان معه حين نصره اللَّه إذ أخرجه الذين كفروا هو أبو بَكرٍ، وكان ثاني اثنين اللَّه ثالثهما.

قوله: ﴿ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ﴾ يدلُّ على قلَّة العدد، فإنَّ الواحد أقلُّ ما يوجد؛ فإذا لم يصحبه إلَّا واحد دلَّ على أنه في غاية القلَّة.

وأيضاً: ففي المواضع التي لا يكون مع النَّبيِّ ﷺ من أكابر الصَّحابة إلَّا واحدٌ؛ يكون هو ذلك الواحد، مثل: سفره في الهجرة، ومقامه يوم بَدرٍ في العريش[٢]؛ لم يكن معه فيه إلَّا أبو بَكرٍ، ومثل: خروجه إلى قبائل العرب يدعوهم إلى الإسلام؛ كان يكون معه من أكابر الصَّحابة أبو بَكرٍ.

وهذا اختصاصٌ في الصُّحبة لم يكن لغيره باتِّفاق أهل المعرفة بأحوال النَّبيِّ ﷺ[٣].

---

(١) منهاج السُّنَّة النَّبويَّة (٤/ ٣٣، ٢٦٦، ٢٦٧).

(٢) العَرِيش: ما يُستظَلُّ به عند الجلوس تحته. غريب الحديث لإبراهيم الحربي (١/ ١٧٤)، الكواكب الدراري (٢٠/ ٥٨).

(٣) منهاج السُّنَّة النَّبويَّة (٤/ ٧، ٢٥٥، ٢٥٢).

٣ - صَاحِبُهُ فِي الغَارِ:

الفضيلة في الغار ظاهرةٌ بنَصِّ القرآن، وقد أَخْرَجا في الصَّحيحَيْن[١] من حديث أنس عن أبي بكر الصِّدِّيق رضي الله عنهما قال: «نَظَرْتُ إِلَى أَقْدَامِ المُشْرِكِينَ عَلَى رُؤُوسِنَا وَنَحْنُ فِي الغَارِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ إِلَى قَدَمَيْهِ أَبْصَرَنَا تَحْتَ قَدَمَيْهِ، فَقَالَ: يَا أَبَا بَكْرٍ، مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللَّهُ ثَالِثُهُمَا؟!»، وهذا الحديث مع كونه ممَّا اتَّفق أهل العِلْم على صحَّته وتَلقِّيه بالقَبول - فلم يختلف في ذلك اثنان منهم -، فهو ممَّا دلَّ القرآن على معناه[٢].

٤ - أَنَّهُ صَاحِبُهُ المُطْلَقُ:

قوله: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِۦ﴾ لا يختصُّ بمصاحبته في الغار؛ بل هو صَاحبُه المُطلَق الذي كَمل في الصُّحبة كمالاً لم يَشرَكْه فيه غيره، فصار مختصّاً بالأكمليَّة من الصُّحبة، وهذا ممَّا لا نِزَاع فيه بين أهل العِلم بأحوال النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم وأصحابه؛ كما في الحديث الذي رواه البخاريُّ[٣] عن أبي الدَّرداء عن النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم، وفيه: «هَلْ أَنْتُمْ تَارِكُو لِي صَاحِبِي؟!».

---

(١) رواه البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب قوله: ﴿ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾، رقم (٤٦٦٣)، ومسلم، كتاب فضائل الصَّحابة رضي الله عنهم، باب من فضائل أبي بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه، رقم (٢٣٨١).

(٢) منهاج السُّنَّة النَّبويَّة (٤/ ٢٤٠، ٢٤١).

(٣) سبق تخريجه (ص١٢٢).

فقد تبيَّن أنَّ النَّبيَّ ﷺ خَصَّه دون غيره، مع أنَّه جعل غيره من أصحابه أيضاً؛ لكنَّه خَصَّه بكمال الصُّحبة، ولهذا قال مَنْ قال مِنَ العلماء: «إنَّ فضائلَ الصِّدِّيق خصائصُ لم يَشْرَكْهُ فيها غيرُه»[١][٢].

٥ - أَنَّهُ المُشْفِقُ عَلَيهِ:

قوله: ﴿لَا تَحْـزَنْ﴾ يدلُّ على أنَّ صَاحبَه كان مُشفِقاً عليه، مُحبّاً له، ناصراً له؛ حيث حَزِن، وإنَّما يحزن الإنسان حال الخوف على مَنْ يُحِبُّه.

وكان حُزنُه على النَّبيِّ ﷺ لئلَّا يُقتَل ويَذهب الإسلام؛ ولهذا لَمَّا كان معه في سفر الهجرة كان يمشي أمامه تارةً، ووراءه تارةً، فسأله النَّبيُّ ﷺ عن ذلك؛ فقال: «أَذْكُرُ الرَّصَدَ[٣] فَأَكُونُ أَمَامَكَ، وَأَذْكُرُ الطَّلَبَ فَأَكُونُ وَرَاءَكَ» رواه أحمد في كتاب «مناقب الصَّحابة»[٤]، فقال: «حَدَّثنا وَكِيعٌ[٥] عن نافِع بن عمر[٦] عن ابن أبي مُلَيْكَةَ[٧] قال:

---

(١) الرِّياض النَّضرة في مناقب العشرة (٣/ ١٣٥).

(٢) منهاج السُّنَّة النَّبويَّة (٤/ ٢٥٢، ٢٤٥).

(٣) الرَّصَد: الذي يَقْعُدُ على الطَّريق ينتظرُ النَّاس ليأخُذَ شيئاً مِنْ أَموالِهم ظلماً وعُدْواناً. المصباح المنير (١/ ٢٢٨).

(٤) فضائل الصَّحابة (١/ ٦٢)، رقم (٢٢)، ورواه الحاكم في المستدرك (٣/ ٧)، رقم (٤٢٦٨).

(٥) هو: أبو سفيان وكيع بن الجَرَّاح بن مليح الرُّؤاسِيُّ الكوفيُّ، ولد سنة (١٢٩هـ)، إمامٌ حافظٌ، مُحَدِّثُ العراق، توفي رَحِمَهُ اللَّهُ سنة (١٩٧هـ). تاريخ بغداد (١٥/ ٦٤٧)، سير أعلام النبلاء (٩/ ١٤٠).

(٦) هو: نافع بن عمر بن عبد اللَّه الجُمَحيُّ المَكِّيُّ، إمامٌ حافظٌ ثَبْتٌ، توفي رَحِمَهُ اللَّهُ سنة (١٦٩هـ). تهذيب الكمال (٢٩/ ٢٨٧)، سير أعلام النبلاء (٧/ ٤٣٣).

(٧) هو: أبو بكر عبد اللَّه بن عبيد اللَّه ابن أبي مُلَيْكَةَ التَّيميُّ، ولد في خلافة عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أو قبلها -، إمامٌ حُجَّةٌ، توفي رَحِمَهُ اللَّهُ سنة (١١٧هـ). تهذيب الكمال (١٥/ ٢٥٦)، سير أعلام النبلاء (٥/ ٨٨).

(لَمَّا هَاجَرَ النَّبِيُّ ﷺ خَرَجَ وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ، فَأَخَذَا طَرِيقَ ثَوْرٍ(١)، قَالَ: فَجَعَلَ أَبُو بَكْرٍ يَمْشِي خَلْفَهُ، وَيَمْشِي أَمَامَهُ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: مَا لَكَ؟

فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَخَافُ أَنْ تُؤْتَى مِنْ خَلْفِكَ؛ فَأَتَأَخَّرُ، وَأَخَافُ أَنْ تُؤْتَى مِنْ أَمَامِكَ؛ فَأَتَقَدَّمُ.

قَالَ: فَلَمَّا انْتَهَيَا إِلَى الغَارِ قَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَمَا أَنْتَ حَتَّى أَقُمَّهُ(٢)).

قَالَ نَافِعٌ: حَدَّثَنِي رَجُلٌ عَنِ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ: (أَنَّ أَبَا بَكْرٍ رَأَى جُحْراً فِي الغَارِ فَأَلْقَمَهَا قَدَمَهُ(٣)، وَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنْ كَانَتْ لَسْعَةٌ أَوْ لَدْغَةٌ كَانَتْ بِي))».

فلم يكن يرضى بمساواة النَّبيِّ ﷺ؛ بل كان لا يرضى بأنْ يُقتَل رسول اللَّه ﷺ وهو يعيش؛ بل كان يَختارُ أنْ يفديه بنفسه وأهله وماله، وهذا واجبٌ على كلِّ مؤمن، والصِّدِّيق أقْوَمُ المؤمنين بذلك(٤).

٦ - المُشَارِكُ لَهُ فِي مَعِيَّةِ الِاخْتِصَاصِ:

قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ صريحٌ في مشاركة الصِّدِّيق للنَّبيِّ ﷺ في هذه

---

(١) ثَوْر: جَبل ضَخْم، يَقعُ جنوب مكَّة، يُرَى من التَّنعِيم، فيه من جهة الشَّمال غار ثَوْر المشهور. معجم البلدان (٢/ ٨٦)، المعالم الأثيرة (ص٨٤).

(٢) أي: أَكْنُسَهُ، من قَمَّ البيت: إذا كَنَسَه. تاج العروس (٣٣/ ٢٩٩).

(٣) أي: سَدَّها بقَدَمِه. الصِّحاح (٥/ ٢٠٣١).

(٤) منهاج السُّنَّة النَّبويَّة (٤/ ٢٦٢، ٢٦٣).

المعيَّة التي اختصَّ بها الصِّدِّيق؛ لم يَشْرَكه فيها أحدٌ من الخَلْقِ، وهي تدلُّ على أنَّه معهم بالنَّصر، والتَّأييد، والإعانة على عدوِّهم.

فيكون النَّبيُّ ﷺ قد أخبر أنَّ اللَّه ينصرني وينصرك يا أبا بكر ويُعِيننا عليهم، نَصْرَ إكرامٍ ومحبَّةٍ؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [غافر: ٥١]، وهذا غاية المدح لأبي بكر؛ إذ دلَّ على أنَّه ممَّن شَهِد له الرَّسول ﷺ بالإيمان المقتضي نَصْرَ اللَّه له مع رسوله في مثل هذه الحال التي يُخذَل فيها عامَّة الخَلْق إلَّا مَنْ نصره اللَّه.

ولهذا قال سفيان بن عُيَيْنَة: «إنَّ اللَّه عاتبَ الخَلْقَ جَمِيعَهم في نبيِّه إلَّا أبا بَكرٍ»[(١)]، وقال[(٢)]: «مَنْ أَنكرَ صُحْبتَه فهو كافرٌ؛ لأنَّه كَذَّبَ القرآن»[(٣)].

وقالت طائفة - كأبي القاسم السُّهَيْليِّ[(٤)] وغَيرِه[(٥)] -: «هذه المَعِيَّةُ الخاصَّة لم تَثبُت لغير أبي بَكرٍ، وكذلك قوله: (مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللَّهُ ثَالِثُهُمَا؟!)؛ بل ظَهَر اخْتِصاصُهُما في اللَّفظ كما ظَهَر في المعنى، فكان

---

(١) قال الوالد رحمه الله: «أخرجه ابن عساكر» تاريخ دمشق (٣٠/ ٩٣).

(٢) أي: سفيان بن عُيَيْنَة رحمه الله.

(٣) قال ابن حجر الهيتميُّ رحمه الله: «أَجمعَ المسلمون على أنَّ المراد بالصَّاحب هنا: أبو بَكرٍ؛ ومِنْ ثَمَّ مَنْ أَنكرَ صُحبتَه كَفَرَ إجماعاً» الصَّواعق المُحرِقة على أهل الرَّفض والضَّلال والزَّندقة (١/ ١٩٠).

(٤) هو: أبو القاسم - وأبو زيد - عبد الرَّحمَن بن عبد اللَّه بن أحمد السُّهَيْليُّ، الخثعميُّ، المَالكيُّ، ولد سنة (٥٠٨هـ)، إمامٌ فقيهٌ أديبٌ، وصاحب كتاب «الرَّوض الأُنُف»، توفي رحمه الله سنة (٥٨١هـ). وفيات الأعيان (٣/ ١٤٣)، شجرة النُّور الزَّكيَّة في طبقات المالكيَّة (١/ ٢٢٥).

(٥) كأبي الرَّبيع سليمان الطُّوفيِّ. الانتصارات الإسلامية في كشف شُبَه النَّصرانية (١/ ٩٤).

يُقالُ للنَّبيِّ: (مُحَمَّدٌ رَسولُ اللَّه)، فلَمَّا تَوَلَّى أبو بَكرٍ بعده صاروا يقولون: (خَليفَة رَسولِ اللَّه)؛ فَيُضِيفُونَ الخَلِيفَةَ إلى رَسولِ اللَّه المُضَافِ إلى اللَّه، والمُضَافُ إلى المُضَافِ إلى اللَّه مُضَافٌ إلى اللَّه؛ تَحْقِيقاً لقوله: (﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾، مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللَّهُ ثَالِثُهُمَا؟!)، فلَمَّا تَوَلَّى عمر بعده صاروا يقولون: (أمير المؤمنين)، فانقطع الاختصاص الذي امتاز به أبو بَكرٍ على سائر الصَّحابة»[(١)(٢)].

٧ - أَنَّهُ صَاحِبُهُ فِي حَالِ إِنْزَالِ السَّكِينَةِ وَالنَّصْرِ:

قال اللَّه تعالى: ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٖ لَّمۡ تَرَوۡهَا﴾ [التوبة: ٤٠].

فإنَّ مَنْ كان صاحِبَه في حال الخوف الشَّديد، فلَأَنْ يكون صاحِبَه في حضور النَّصر والتَّأييد أَوْلَى وأَحرَى، فلم يحتج أن يَذْكُر صُحبتَه له في هذه الحال؛ لدلالة الكلام والحال عليها.

وإذا عُلِم أنَّه صَاحِبُه في هذه الحال؛ عُلِم أنَّ ما حصل للرَّسول ﷺ؛ مِنْ إنزال السَّكينة، والتَّأييد بالجنود التي لم يَرَها النَّاس؛ لصاحبه المذكور فيها أعظم ممَّا لسائر النَّاس، وهذا من بلاغة القرآن، وحُسْنِ بيانه[(٣)].



(١) الرَّوض الأُنُف (٤/ ٢١٧).
(٢) منهاج السُّنَّة النَّبويَّة (٤/ ٢٤٢، ٢٤٣).
(٣) منهاج السُّنَّة النَّبويَّة (٤/ ٢٧٢).
قال الوالد ﵀: «قال ابن القيِّم ﵀: (وكان شيخنا - قَدَّس اللَّهُ رُوحَه - يقول: الضَّمير عائدٌ إلى النَّبيِّ ﷺ وإلى صَاحِبِهِ تبَعاً له، فهذا الذي أُنْزِلَت عليه السَّكِينَة، وهو الذي أَيَّدَه اللَّهُ بالجنود، وسَرَى ذلك إلى صَاحِبِهِ) بدائع الفوائد (٣/ ١١٢)».

قِصَّةُ سَفَرِهِ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي الهِجْرَةِ

روى البخاريُّ في صحيحه(١): عن عروة عن عائشة ﵂ قالت: «هَاجَرَ إِلَى الحَبَشَةِ مِنَ المُسْلِمِينَ، وَتَجَهَّزَ أَبُو بَكْرٍ مُهَاجِراً(٢)، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: عَلَى رِسْلِكَ؛ فَإِنِّي أَرْجُو أَنْ يُؤْذَنَ لِي، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَوَتَرْجُوهُ بِأَبِي أَنْتَ؟ قَالَ: نَعَمْ.

فَحَبَسَ أَبُو بَكْرٍ نَفْسَهُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ لِصُحْبَتِهِ، وَعَلَفَ رَاحِلَتَيْنِ كَانَتَا عِنْدَهُ وَرَقَ السَّمُرِ(٣) أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ.

قَالَ عُرْوَةُ: قَالَتْ عَائِشَةُ: فَبَيْنَا نَحْنُ يَوْماً جُلُوسٌ فِي بَيْتِنَا فِي نَحْرِ الظَّهِيرَةِ(٤)، فَقَالَ قَائِلٌ لِأَبِي بَكْرٍ: هَذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُقْبِلاً مُتَقَنِّعاً(٥) فِي سَاعَةٍ لَمْ يَكُنْ يَأْتِينَا فِيهَا، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: فِدىً لَهُ بِأَبِي وَأُمِّي، وَاللَّهِ إِنْ جَاءَ بِهِ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ إِلَّا لِأَمْرٍ.

---

(١) كتاب اللِّباس، باب التَّقنُّع، رقم (٥٨٠٧).

(٢) قال الوالد ﵀: «وفي لفظٍ: (اسْتَأْذَنَ النَّبِيَّ ﷺ أَبُو بَكْرٍ...) رواه البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الرَّجيع ورِعْل وذَكْوان وبئر مَعُونة، رقم (٤٠٩٣)».

(٣) السَّمُر: جَمْع سَمُرة، وهي: نَوعٌ من شجر الطَّلْح، صِغارُ الوَرَق، قِصَارُ الشَّوْكِ. المحكم والمحيط الأعظم (٨/ ٤٩٣)، النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/ ٣٩٩).

(٤) نَحْرُ الظَّهيرة هو: حين تَبْلُغ الشَّمسُ منتهاها من الارتفاع. النهاية في غريب الحديث والأثر (٥/ ٢٧).

(٥) قال الوالد ﵀: «متقنِّعاً: متغشِّياً بثوبٍ أو نحوه» مشارق الأنوار (٢/ ١٨٧).

فَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ فَاسْتَأْذَنَ، فَأُذِنَ لَهُ، فَدَخَلَ؛ فَقَالَ - حِينَ دَخَلَ - لِأَبِي بَكْرٍ: أَخْرِجْ مَنْ عِنْدَكَ، قَالَ: إِنَّمَا هُمْ أَهْلُكَ بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: فَإِنِّي قَدْ أُذِنَ لِي فِي الخُرُوجِ، قَالَ: فَالصُّحْبَةُ بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: نَعَمْ.

قَالَ: فَخُذْ بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِحْدَى رَاحِلَتَيَّ هَاتَيْنِ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: بِالثَّمَنِ...» الحديث.

قال ابن إسحاق: «فلَمَّا أَجْمَع رسول اللَّه ﷺ الخروج، أتى أبا بَكرِ بن أبي قُحَافة، فخَرَجَا مِنْ خَوْخَةٍ[(١)] لأبي بَكرٍ في ظهر بيته»[(٢)].

وفي روايةٍ للبخاريِّ[(٣)]: «فَرَكِبَا، فَانْطَلَقَا حَتَّى أَتَيَا الغَارَ - وَهُوَ بِثَوْرٍ -، فَتَوَارَيَا فِيهِ...» الحديث.

وفي الصَّحيحَيْن[(٤)]: عن البراء بن عَازِب رضي الله عنهما[(٥)] قال: «اشْتَرَى

---

(١) الخَوْخَة: باب صغيرٌ كالنَّافذة الكبيرة، تكون بين بيتَيْن يُنْصَب عليها باب. النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/ ٨٦)، لسان العرب (٣/ ١٤).

(٢) السِّيرة النَّبويَّة لابن هشام (١/ ٤٨٥).

(٣) كتاب المغازي، باب غزوة الرَّجيع ورِعْل وذَكْوان وبئر مَعُونة، رقم (٤٠٩٣).

(٤) رواه البخاري، باب مناقب المهاجرين وفضلهم، رقم (٣٦٥٢)، ومسلم، كتاب الزُّهد والرَّقائق، باب في حديث الهجرة ويُقالُ له: حديث الرَّحل بالحاء، رقم (٢٠٠٩).

(٥) هو: أبو عمارة البراء بن عازِب بن الحارث الأنصاريُّ الخزرجيُّ رضي الله عنه، غزا مع رسول اللَّه ﷺ أربع عشرة غزوة، وقيل: خمس عشرة، ورَوَى عنه جُمْلَة من الأحاديث، توفي بالكوفة أيَّام مصعب بن الزُّبَيْر سنة (٧٢هـ). أُسْد الغابة في معرفة الصَّحابة (١/ ٢٠٥)، الإصابة في تمييز الصَّحابة (١/ ٤١١).

أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه مِنْ عَازِبٍ رضي الله عنه[(١)] رَحْلاً[(٢)] بِثَلَاثَةَ عَشَرَ دِرْهَماً[(٣)]، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ لِعَازِبٍ: مُرِ البَرَاءَ فَلْيَحْمِلْ إِلَيَّ رَحْلِي، فَقَالَ عَازِبٌ: لَا، حَتَّى تُحَدِّثَنَا: كَيْفَ صَنَعْتَ أَنْتَ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ خَرَجْتُمَا مِنْ مَكَّةَ وَالمُشْرِكُونَ يَطْلُبُونَكُمْ؟

قَالَ: ارْتَحَلْنَا مِنْ مَكَّةَ فَأَحْيَيْنَا - أَوْ: سَرَيْنَا - لَيْلَتَنَا وَيَوْمَنَا حَتَّى أَظْهَرْنَا، وَقَامَ قَائِمُ الظَّهِيرَةِ، وَخَلَا الطَّرِيقُ فَلَا يَمُرُّ فِيهِ أَحَدٌ، حَتَّى رُفِعَتْ لَنَا صَخْرَةٌ طَوِيلَةٌ[(٤)] لَهَا ظِلٌّ، لَمْ تَأْتِ عَلَيْهِ الشَّمْسُ بَعْدُ، فَنَزَلْنَا عِنْدَهَا، فَأَتَيْتُ الصَّخْرَةَ فَسَوَّيْتُ بِيَدِي مَكَاناً، يَنَامُ فِيهِ النَّبِيُّ ﷺ فِي ظِلِّهَا، ثُمَّ بَسَطْتُ عَلَيْهِ فَرْوَةً، ثُمَّ قُلْتُ: نَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَأَنَا أَنْفُضُ لَكَ مَا حَوْلَكَ[(٥)].

فَنَامَ وَخَرَجْتُ أَنْفُضُ مَا حَوْلَهُ، فَإِذَا أَنَا بِرَاعِي غَنَمٍ مُقْبِلٍ بِغَنَمِهِ إِلَى الصَّخْرَةِ، يُرِيدُ مِنْهَا الَّذِي أَرَدْنَا، فَلَقِيتُهُ، فَقُلْتُ: لِمَنْ أَنْتَ يَا غُلَامُ؟ فَقَالَ: لِرَجُلٍ مِنْ أَهْلِ المَدِينَةِ، قُلْتُ: أَفِي غَنَمِكَ لَبَنٌ؟ قَالَ: نَعَمْ، قُلْتُ: أَفَتَحْلُبُ لِي؟ قَالَ: نَعَمْ، فَأَخَذَ شَاةً، فَقُلْتُ لَهُ: انْفُضِ الضَّرْعَ مِنَ

---

(١) هو: عازب بن الحارث بن عديٍّ الأنصاريُّ الأوسيُّ رضي الله عنه، أسلم، وله صحبة. أُسْد الغابة في معرفة الصَّحابة (٣/ ٦)، الإصابة في تمييز الصَّحابة (٣/ ٤٦٠).

(٢) قال الوالد رحمه الله: «الرَّحل: سَرْج البعير، وهو: الكور، وقد يراد به: القَتَب والحداجة» الصحاح (١/ ١٩٨)، لسان العرب (٢/ ٢٩٧).

(٣) وتساوي بالمقادير المعاصرة: اثنين وعشرين جراماً وسبع مئة وخمسين مليجرامٍ (٢٢,٧٥٠) من الفضَّة.

(٤) أي: ظَهَرت لأبصارنا. شرح النووي على مسلم (١٥/ ١٨٠).

(٥) قال الوالد رحمه الله: «أي: أُفَتِّش؛ لِئَلَّا يكون عدوٌّ» شرح النووي على مسلم (١٨/ ١٤٨).

الشَّعَرِ وَالتُّرَابِ وَالقَذَى(١) - قَالَ: فَرَأَيْتُ البَرَاءَ يَضْرِبُ بِيَدِهِ عَلَى الأُخْرَى يَنْفُضُ - فَحَلَبَ لِي فِي قَعْبٍ(٢) مَعَهُ كُثْبَةً(٣) مِنْ لَبَنٍ.

قَالَ: وَمَعِي إِدَاوَةٌ(٤) أَرْتَوِي فِيهَا لِلنَّبِيِّ ﷺ؛ لِيَشْرَبَ مِنْهَا وَيَتَوَضَّأَ، قَالَ: فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ، وَكَرِهْتُ أَنْ أُوقِظَهُ مِنْ نَوْمِهِ، فَوَافَقْتُهُ اسْتَيْقَظَ، فَصَبَبْتُ عَلَى اللَّبَنِ مِنَ المَاءِ حَتَّى بَرَدَ أَسْفَلُهُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، اشْرَبْ مِنْ هَذَا اللَّبَنِ، قَالَ: فَشَرِبَ حَتَّى رَضِيتُ، ثُمَّ قَالَ: أَلَمْ يَأْنِ لِلرَّحِيلِ؟ قُلْتُ: بَلَى.

قَالَ: فَارْتَحَلْنَا بَعْدَمَا زَالَتِ الشَّمْسُ، وَاتَّبَعَنَا سُرَاقَةُ بْنُ مَالِكٍ(٥)، قَالَ: وَنَحْنُ فِي جَلَدٍ(٦) مِنَ الأَرْضِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أُتِينَا، فَقَالَ: لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا، فَدَعَا عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَارْتَطَمَتْ فَرَسُهُ إِلَى بَطْنِهَا - أُرَى - فَقَالَ: إِنِّي قَدْ عَلِمْتُ أَنَّكُمَا قَدْ دَعَوْتُمَا عَلَيَّ، فَادْعُوَا لِي، فَاللَّهُ لَكُمَا أَنْ أَرُدَّ عَنْكُمَا الطَّلَبَ؛ فَدَعَا اللَّهَ، فَنَجَا، فَرَجَعَ

---

(١) القَذَى: جَمْع قذاة، وهو: ما يقع في العين والماء والشَّراب؛ مِنْ ترابٍ أو تبنٍ أو وسخٍ أو غير ذلك. النهاية في غريب الحديث والأثر (٤/ ٣٠).

(٢) القَعْب: القدح الضَّخم الغليظ. لسان العرب (١/ ٦٨٣).

(٣) الكُثْبَةُ: كلُّ شيء مُجْتَمع - وهو مع اجتماعه قليل -؛ مِنْ لبنٍ كان، أو طَعامٍ أو غَيرِه. العين (٥/ ٣٥٢)، غريب الحديث لأبي عبيد (٢/ ٢١٠).

(٤) قال الوالد رحمه الله: «الإداوة: إناءٌ صغيرٌ مِنْ جلدٍ» لسان العرب (١٤/ ٢٥).

(٥) هو: أبو سفيان سُرَاقة بن مالك بن جُعْشُم المُدْلِجيُّ الكنانيُّ رضي الله عنه، أسلم يوم الفتح، توفي سنة (٢٤هـ) في صدر خلافة عثمان، وقيل: مات بعد عثمان رضي الله عنه. الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٢/ ٥٨١)، الإصابة في تمييز الصَّحابة (٣/ ٣٥).

(٦) أي: صلب شديد. مشارق الأنوار (١/ ١٤٢).

لَا يَلْقَى أَحَداً إِلَّا قَالَ: قَدْ كَفَيْتُكُمْ مَا هَاهُنَا، فَلَا يَلْقَى أَحَداً إِلَّا رَدَّهُ، قَالَ: وَوَفَى لَنَا».

إِلَى أنْ قال[(١)]: «قال ابنُ شِهَابٍ[(٢)]: وأخبرني عبد الرَّحْمَن بن مالك المُدْلِجِيُّ[(٣)] - وهو ابنُ أَخِي سُرَاقَة - قال: (جَاءَنَا رُسُلُ كُفَّارِ قُرَيْشٍ، يَجْعَلُونَ فِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَبِي بَكْرٍ دِيَةَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا، مَنْ قَتَلَهُ أَوْ أَسَرَهُ)»[(٤)].

ففي اللَّيلة التي خرج فيها، عرفوا في صبيحتها أنَّه خرج، وانتشر ذلك، وأرسلوا إلى أهل الطُّرُق يبذلون الدِّية فيه، وفي أبي بَكرٍ.

وكون المشركين بذلوا الدِّية لمَنْ يأتي بأبي بَكرٍ دليلٌ على أنَّهم يعلمون موالاته لرسول اللَّه ﷺ، وأنَّه كان عدوَّهم[(٥)].



---

(١) أي: شيخ الإسلام ابن تيميَّة ﵀.

(٢) هو: أبو بكر مُحمَّد بن مسلم ابن شهاب القُرشيُّ الزُّهريُّ، ولد سنة (٥٠هـ)، إمامٌ عَلَمٌ، وحافظُ زمانه، توفي ﵀ سنة (١٢٤هـ). تهذيب الكمال (٢٦/ ٤١٩)، سير أعلام النبلاء (٥/ ٣٢٦).

(٣) هو: عبد الرَّحْمَن بن مالك بن مالك بن جُعْشُم المُدْلِجِيُّ، ابنُ أَخِي سُرَاقَة بن مالك بن جُعْشُم، تابعيٌّ ثقة، روى عن أبيه، وعن عمِّه سُرَاقَة بن مالك. الثقات لابن حِبَّان (٧/ ٦٤)، تهذيب الكمال (١٧/ ٣٧٩).

(٤) رواه البخاري، باب هجرة النَّبيِّ ﷺ وأصحابه إلى المدينة، رقم (٣٩٠٦).
قال الوالد ﵀: «وقصَّة الهجرة مبسوطة في كتب التَّفسير والحديث والسِّيَر، والقَصْدُ من سياقها هنا: أنَّها من فضائل أبي بَكرٍ الخاصَّة».

(٥) منهاج السُّنَّة النَّبويَّة (٤/ ٢٥٧-٢٥٩).

أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه أَتْقَى الأُمَّةِ

الصِّدِّيق رضي الله عنه أتقى الأمَّة؛ بالكِتاب والسُّنَّة، قال تعالى: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى * ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ * وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ * إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [الليل: ١٧-٢٠]، وذَكَر غيرُ واحدٍ من أهل العِلم أنَّها نزلت في قصَّة أبي بَكرٍ.

فذكر ابن جرير[١] في تفسيره[٢] بإسناده، عن عبد اللَّه بن الزُّبَيْر رضي الله عنهما[٣] وغيره: أنَّها نَزَلت في أبي بَكرٍ.

وكذلك ذكر ابن أبي حاتمٍ[٤] والثَّعلبيُّ[٥]: أنَّها نزلت في أبي بَكرٍ،

---

(١) هو: أبو جعفر مُحمَّد بن جرير بن يزيد الطَّبريُّ، ولد سنة (٢٢٤هـ)، إمامٌ مجتهدٌ، عالمُ عصره، جَمَعَ علوماً عديدة، وصَنَّف التَّصانيف العظيمة، منها: «جامع البيان عن تأويل آي القرآن»، توفي رحمه الله سنة (٣١٠هـ). سير أعلام النبلاء (١٤/ ٢٦٧)، طبقات المفسِّرين للسيوطي (ص٩٥).

(٢) (٢٤/ ٤٦٦).

(٣) هو: أبو بكر عبد اللَّه بن الزُّبَيْر بن العَوَّام القُرشيُّ الأسديُّ رضي الله عنه، ولد سنة (٢هـ)، وهو أوَّل مولود في الإسلام من المهاجرين بالمدينة، قَتَله الحجَّاج سنة (٧٣هـ). الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٣/ ٩٠٥)، الإصابة في تمييز الصَّحابة (٤/ ٧٨).

(٤) تفسير ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٤١).

وابن أبي حاتم هو: أبو مُحمَّد عبد الرَّحْمَن بن مُحمَّد بن إدريس الرَّازيُّ، ولد سنة (٢٤٠هـ)، علَّامةٌ حافظٌ، صاحب كتاب «الجرح والتَّعديل»، وله تفسير كبير من أحسن التَّفاسير، توفي رحمه الله سنة (٣٢٧هـ). تاريخ دمشق لابن عساكر (٣٥/ ٣٥٧)، سير أعلام النبلاء (١٣/ ٢٦٣).

(٥) تفسير الثَّعلبي (١٠/ ٢١٩).

والثَّعلبيُّ هو: أبو إسحاق أحمد بن مُحمَّد بن إبراهيم الثَّعلبيُّ، حافظٌ علَّامةٌ، شيخُ التَّفسير، توفي رحمه الله سنة (٤٢٧هـ). وفيات الأعيان (١/ ٧٩)، سير أعلام النبلاء (١٧/ ٤٣٥).

عن عبد اللَّه[١]، وعن سعيد بن المُسَيِّب[٢].

وذكر ابن أبي حاتمٍ في تفسيره[٣]: «حَدَّثنا أبي[٤]، حَدَّثنا مُحمَّد بن أبي عمر العَدَنِيُّ[٥]، حَدَّثنا سفيان، حَدَّثنا هشام بن عروة، عن أبيه قال: (أَعْتَقَ أَبُو بَكْرٍ سَبْعَةً كُلُّهُمْ يُعَذَّبُ فِي اللَّهِ: بِلَالاً، وَعَامِرَ بْنَ فُهَيْرَةَ، وَالنَّهْدِيَّةَ، وَابْنَتَهَا، وَزِنِّيرَةَ، وَأُمَّ عُمَيْسٍ، وَأَمَةَ بَنِي المُؤَمِّلِ)».

قال سفيان: «فأمَّا زِنِّيرَةُ فكانت رُومِيَّةً، وكانت لبني عبد الدَّار، فلَمَّا أَسْلَمَتْ عَمِيَتْ، فقالوا: أَعْمَتْهَا اللَّات والعُزَّى، قالت: فهي كافرةٌ باللَّاتِ والعُزَّى، فَرَدَّ اللَّهُ إليها بَصَرَها.

وأمَّا بلالٌ فاشتراه وهو مَدفُونٌ في الحجارة، فقالوا: لو أَبَيْتَ إلَّا أُوقِيَّةً[٦] لَبِعْنَاكَهُ، فقال أبو بَكرٍ: لو أَبَيْتُمْ إلَّا مئة أُوقِيَّةٍ لأخذته، قال:

---

(١) أي: عبد اللَّه بن الزُّبَيْر ﷺ.

(٢) هو: أبو مُحمَّد سعيد بن المُسَيِّب بن حَزْن القُرشيُّ المَخزوميُّ، ولد سنة (١٥هـ)، عالمُ المدينة، وأحد الفقهاء السَّبعة، وسيِّد التَّابعين في زمانه، توفي ﷺ سنة (٩٤هـ). وفيات الأعيان (٢/ ٣٧٥)، سير أعلام النبلاء (٤/ ٢١٧).

(٣) (١٠/ ٣٤٤١).

(٤) هو: أبو حاتمٍ مُحمَّد بن إدريس بن المُنْذِر الرَّازيُّ، ولد سنة (١٩٥هـ)، إمامٌ حافظٌ ناقدٌ، من بحور العِلم، توفي ﷺ سنة (٢٧٧هـ). تهذيب الكمال (٢٤/ ٣٨١)، سير أعلام النبلاء (١٣/ ٢٤٧).

(٥) هو: أبو عبد اللَّه مُحمَّد بن يحيى بن أبي عمر العَدَنيُّ، حافظٌ مُحَدِّثٌ، توفي ﷺ سنة (٢٤٣هـ)، وكان عمره تسعين عاماً. تهذيب الكمال (٢٦/ ٦٣٩)، سير أعلام النبلاء (١٢/ ٩٦).

(٦) الأُوقِيَّةُ: أربعون درهماً، وتساوي: سبعين جراماً ومئتي مليجرام (٧٠,٢٠٠) من الفضَّة. لسان العرب (١٥/ ٤٠٤)، كتابنا: تحقيق المكاييل والأوزان الشَّرعيَّة وتحديدها بالأوزان المعاصرة.

وفيه نزلت: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى﴾ [اللَّيل:١٧] إلى آخر السُّورة»[(١)].

وإذا قُدِّر أنَّ هذه الآية دخل فيها مَنْ دخل مِنَ الصَّحابة؛ فأبو بَكرٍ أَحقُّ الأُمَّة بالدُّخول فيها، فيكون هو الأتقى من هذه الأُمَّة، فيكون هو أفضلهم؛ وذلك أن اللَّه وصف الأتقى بصفاتٍ؛ أبو بَكرٍ أكملُ فيها من جَمِيع الأُمَّة، وهو قوله: ﴿ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ﴾، وقوله: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ۞ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [اللَّيل:١٨-٢٠].

أمَّا إيتاء المال: فقد ثَبَتَ في الصِّحاح عن النَّبيِّ ﷺ: أنَّ إنفاقَ أبي بَكرٍ أفضل من إنفاق غيره، وأنَّ معاونَته له بنفسه وماله أكملُ من معاونة غيره، ففي الصَّحيح[(٢)]: عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «مَا نَفَعَنِي مَالٌ قَطُّ كَمَالِ أَبِي بَكْرٍ»، فقد نفى عنْ جَمِيع مال الأُمَّة أنْ يَنفعَه كنَفْع مال أبي بَكرٍ، فكيف تكون تلك الأموال المفضولة دخلت في الآية، والمال الذي هو أنفع الأموال له لم يدخل فيها؟!

ولم يكن يَأكلُ مِنْ أحدٍ صدقةً، ولا صلةً، ولا نذراً؛ بل كان يتَّجر، ويَأكلُ مِنْ كَسبِهِ، ولَمَّا وَلِيَ النَّاسَ - واشتغل عن التِّجارة بعمل المسلمين -

---

(١) تفسير الثَّعلبي (١٠/ ٢١٩).

قال الوالد رَحِمَهُ اللهُ: «قال ابن الجوزيِّ: (أجمعوا على أنَّها نزلت في أبي بَكرٍ) تاريخ الخلفاء للسُّيوطيِّ (ص٣٤)، قلتُ: وتقدَّم (ص١٣٦) أنَّه أسلم وله أربعون ألف درهم، فأنفقها في سبيل اللَّه».

(٢) سبق تخريجه (ص١٣٤).

قال الوالد رَحِمَهُ اللهُ: «وتقدَّم أيضاً حديث: (إِنَّ أَمَنَّ النَّاسِ عَلَيَّ فِي صُحْبَتِهِ وَمَالِهِ: أَبُو بَكْرٍ)» (ص١٣٣).

أَكلَ من مال اللَّه ورسوله الذي جعله اللَّه له، لم يأكل من مال مخلوق.

ولم يكن النَّبيُّ ﷺ يُعطِيه شيئاً من الدُّنيا يَخُصُّه به؛ بل كان في المغازي كواحدٍ من المسلمين؛ بل يَأخذُ من ماله ما يُنفِقه على المسلمين، وقد استعمله النَّبيُّ ﷺ، وما عُرِف له أنَّه أعطاه عمالة.

ولم يَطلب من النَّبيِّ ﷺ مالاً قطُّ، ولا حاجة دنيويَّة، وإنَّما كان يطلب منه العِلم.

وفي صلح الحُدَيْبِيَة لَمَّا قال لعروة بن مسعود[(١)]: «امْصُصْ بَظْرَ[(٢)] اللَّاتِ، أَنَحْنُ نَفِرُّ وَنَدَعُهُ؟! قَالَ لِأَبِي بَكْرٍ: لَوْلَا يَدٌ لَكَ عِنْدِي لَمْ أَجْزِكَ بِهَا لَأَجَبْتُكَ»[(٣)].

وفي المسند لأحمد[(٤)]: «أَنَّ أَبَا بَكْرٍ رضي الله عنه كَانَ يَسْقُطُ السَّوْطُ مِنْ يَدِهِ فَلَا يَقُولُ لِأَحَدٍ: نَاوِلْنِي إِيَّاهُ، وَيَقُولُ: إِنَّ خَلِيلِي أَمَرَنِي أَنْ لَا أَسْأَلَ النَّاسَ شَيْئاً».

---

(١) هو: أبو مسعود عروة بن مسعود بن مُعَتِّب الثَّقَفيُّ رضي الله عنه، أَسلمَ عند عودة رسول اللَّه ﷺ من الطَّائف، وقَتَلَه قَومُه بسبب إسلامه. الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٣/ ١٠٦٦)، الإصابة في تمييز الصَّحابة (٤/ ٤٠٦).

(٢) البَظْر: لَحْمَة بين شَفْرَي المرأة، وهي: القُلْفَة التي تُقطَع في الختان. المصباح المنير (١/ ٥٢).

(٣) رواه البخاري، كتاب الشُّروط، باب الشُّروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشُّروط، رقم (٢٧٣١)، (٢٧٣٢)، من حديث المِسْوَر بن مَخْرَمة رضي الله عنهما ومروان بن الحكم رحمه الله.

(٤) رقم (٦٥)، عن ابن أبي مُلَيْكَة رحمه الله.

فكان أَبعد النَّاس عن النِّعمة التي تُجزَى، وأولاهم بالنِّعمة التي لا تُجزَى؛ فهو أَحقُّ النَّاس بالدُّخول في هذه الآية.

وأمَّا إخلاصه في ابتغاء وجه ربِّه الأعلى: فهو أَكملُ الأمَّة في ذلك؛ لأنَّه لم يكن بينه وبين النَّبيِّ ﷺ سببٌ يُوالِيه لأجله ويُخرِج ماله إلَّا الإيمان، ولم ينصره كما نَصَرَه أبو طالب(١) لأجل القرابة، وكان عمله كاملاً في إخلاصه للَّه تعالى(٢).



(١) هو: أبو طالب عبد مناف بن عبد المُطَّلب الهاشميُّ، عمُّ النَّبيِّ ﷺ، وكافله بعد وفاة جدِّه عبد المُطَّلب، كان رفيقاً بالنَّبيِّ ﷺ، ويُحِبُّه حُبّاً شديداً لا يُحِبُّه ولدَه، توفي في السَّنة العاشرة من البِعْثَة، وسُمِّي العام الذي توفي فيه هو وخديجة رضي الله عنها: «عام الحُزن». الوافي بالوفيات (١/ ٨٠)، المختصر الكبير في سيرة الرَّسول ﷺ (ص٢٩)، إمتاع الأسماع (١/ ٤٥).

(٢) منهاج السُّنَّة النَّبويَّة (٤/ ٢٧٥، ٢٧٤، ٢٧٦، ١٠١).

وَأَرْجَحُ الأُمَّةِ إِيمَاناً

اليقين والإيمان الذي في قلبه لا يساويه فيه أحد، قال أبو بَكرِ بن عيَّاش[(١)]: «ما سَبَقَهُم أبو بَكرٍ بِكثرةِ صَلاةٍ ولا صِيامٍ، ولكن بشيءٍ وَقَرَ في قَلبِه».

ولهذا قيل: «لَوْ وُزِنَ إِيمَانُ أَبِي بَكْرٍ بِإِيمَانِ أَهْلِ الأَرْضِ لَرَجَحَ»[(٢)]؛ كما في السُّنن[(٣)] عن أبي بكرة رضي الله عنه[(٤)] عن النَّبيِّ ﷺ قال: «هَلْ رَأَى أَحَدٌ مِنْكُمْ رُؤْيَا؟ فَقَالَ رَجُلٌ: أَنَا، رَأَيْتُ كَأَنَّ مِيزَاناً نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ، فَوُزِنْتَ أَنْتَ وَأَبُو بَكْرٍ، فَرَجَحْتَ أَنْتَ بِأَبِي بَكْرٍ، وَوُزِنَ عُمَرُ وَأَبُو بَكْرٍ، فَرَجَحَ أَبُو بَكْرٍ، وَوُزِنَ عُمَرُ وَعُثْمَانُ، فَرَجَحَ عُمَرُ، ثُمَّ رُفِعَ المِيزَانُ.

---

(١) هو: أبو بكر بن عيَّاش بن سالم مولى واصل الأحدب الأسديُّ الحنَّاط، وفي اسمِه خِلَاف كبير، ولد سنة (٩٥هـ)، مُقْرِئ فقيه مُحَدِّث، توفي رحمه الله سنة (١٩٣هـ). وفيات الأعيان (٢/ ٣٥٣)، سير أعلام النبلاء (٨/ ٤٩٥).

(٢) رواه أحمد في فضائل الصَّحابة (١/ ٤١٨)، رقم (٦٥٣)، عن عمر رضي الله عنه موقوفاً.

(٣) رواه أبو داود، كتاب السُّنَّة، باب في الخلفاء، رقم (٤٦٣٤)، (٤٦٣٥)، والتِّرمذيُّ، أبواب الرُّؤيا، باب ما جاء في رؤيا النَّبيِّ ﷺ الميزانَ والدَّلوَ، رقم (٢٢٨٧).

(٤) هو: أبو بكرة نُفَيْع بن الحارث - وقيل: نُفَيْع بن مسروح - بن كَلَدَة الثَّقفيُّ رضي الله عنه، أَسلمَ يوم الطَّائف، مِنْ فضلاء الصَّحابة، توفي سنة (٥١هـ). الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٤/ ١٦١٤)، الإصابة في تمييز الصَّحابة (٦/ ٣٦٩).

فَاسْتَاءَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: خِلَافَةُ نُبُوَّةٍ، ثُمَّ يُؤْتِي اللَّهُ المُلْكَ مَنْ يَشَاءُ»[١].



(١) منهاج السُّنَّة النَّبويَّة (٤/ ٢٧٣).

شَهَادَةُ الرَّسُولِ ﷺ لَهُ وَلِعُمَرَ بِكَمَالِ الإِيمَانِ

في الصَّحيحَيْن[(١)]: عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «بَيْنَمَا رَجُلٌ يَسُوقُ بَقَرَةً لَهُ، قَدْ حَمَلَ عَلَيْهَا، الْتَفَتَتْ إِلَيْهِ البَقَرَةُ، فَقَالَتْ: إِنِّي لَمْ أُخْلَقْ لِهَذَا، وَلَكِنِّي إِنَّمَا خُلِقْتُ لِلْحَرْثِ، فَقَالَ النَّاسُ: سُبْحَانَ اللَّهِ! - تَعَجُّباً وَفَزَعاً -، أَبَقَرَةٌ تَتَكَلَّمُ؟! فقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: فَإِنِّي أُومِنُ بِهِ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: بَيْنَا رَاعٍ فِي غَنَمِهِ، عَدَا عَلَيْهِ الذِّئْبُ فَأَخَذَ مِنْهَا شَاةً، فَطَلَبَهُ الرَّاعِي حَتَّى اسْتَنْقَذَهَا مِنْهُ، فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ الذِّئْبُ، فَقَالَ لَهُ: مَنْ لَهَا يَوْمَ السَّبُعِ، يَوْمَ لَيْسَ لَهَا رَاعٍ غَيْرِي؟ فَقَالَ النَّاسُ: سُبْحَانَ اللَّهِ! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: فَإِنِّي أُومِنُ بِذَلِكَ، أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، وَمَا هُمَا ثَمَّ»[(٢)].



(١) رواه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الغار، رقم (٣٤٧١)، ومسلم، كتاب فضائل الصَّحابة رضي الله عنهم، باب من فضائل الصِّدِّيق رضي الله عنه، رقم (٢٣٨٨)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) منهاج السُّنَّة النَّبويَّة (٤/ ٤٤، ٢٥٣).

قال الوالد رحمه الله: «قال ذلك لِمَا اطَّلع عليه مِنْ غَلَبة صِدْق إيمانهما، وقوَّة يقينهما. فتح الباري لابن حجر (٧/ ٢٧)».

هُوَ أَعْلَمُ الصَّحَابَةِ وَالأُمَّةِ وَأَذْكَاهُمُ

كان رضي الله عنه يقضي ويُفتِي بحضرة النَّبيِّ ﷺ، ويُقِرُّه، ولم تكن هذه المرتبة لغيره، ففي الصَّحيح(١): «أَنَّ أَبَا بَكْرٍ قَالَ يَوْمَ حُنَيْنٍ(٢): لَا هَا(٣) اللَّهِ إِذاً، لَا يَعْمِدُ(٤) إِلَى أَسَدٍ مِنْ أُسْدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، يُقَاتِلُ عَنِ اللَّهِ وَعَنْ رَسُولِهِ، فَيُعْطِيكَ سَلَبَهُ(٥)، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: صَدَقَ، فَأَعْطِهِ إِيَّاهُ، فَأَعْطَاهُ...» الحديث.

وفي الصَّحيحَيْن(٦): ....

---

(١) رواه البخاري، كتاب المغازي، باب قول اللَّه تعالى: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ۞ ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ﴾، إلى قوله: ﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، رقم (٤٣٢١)، ومسلم، كتاب الجهاد والسِّيَر، باب استحقاق القاتل سَلَب القتيل، رقم (١٧٥١)، من حديث أبي قتادة رضي الله عنه.

(٢) أي: اليوم الذي وقعت فيه غزوة حنين في السَّنة الثَّامنة للهجرة بين المسلمين وقبيلتي هَوَازِن وثَقِيف.

وحُنَين: وادٍ شرق شمال مكَّة، جهة الطَّائف مِنْ طريق السَّيْل الكبير، يَبعدُ عن مكَّة عشرين (٢٠) كيلومتراً، ويُسمَّى اليوم: «وادي الشَّرائع». السِّيرة النَّبويَّة لابن هشام (٢/ ٤٣٧)، معجم البلدان (٢/ ٣١٣)، معجم ما استعجم (٢/ ٤٧١)، معجم المعالم الجغرافية (ص١٠٧).

(٣) ها: للتَّنْبيه، وقد يُقْسَمُ بها. الصِّحاح (٦/ ٢٥٥٧)، فتح الباري لابن حجر (٨/ ٣٧).

(٤) أي: لا يَقْصِدُ رسولُ اللَّه ﷺ. إرشاد السَّاري (٥/ ٢٢٢).

(٥) السَّلَب هو: ما يكون مع المُقاتِل مِنْ سلاح، وثياب، ودابَّة، وغيرها. النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/ ٣٨٧).

(٦) رواه البخاري، باب قول النَّبيِّ ﷺ: «سُدُّوا الأَبْوَابَ إِلَّا بَابَ أَبِي بَكْرٍ»، رقم (٣٦٥٤)، ومسلم، كتاب فضائل الصَّحابة رضي الله عنهم، باب من فضائل أبي بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه، رقم (٢٣٨٢). =

عن أبي سعيد الخُدْرِيِّ[(١)] ﷺ، قال: «كَانَ أَبُو بَكْرٍ أَعْلَمَنَا بِالنَّبِيِّ ﷺ».

وقد ذَكرَ غَيرُ وَاحِدٍ - مثل: منصور بن عبد الجبَّار السَّمعانيِّ[(٢)] وغَيرِه - إِجْمَاع أهل العِلم على أنَّ الصِّدِّيقَ أَعلمُ الأمَّة، وهذا بيِّنٌ؛ فإنَّ الأمَّة لم تختلف في وِلايته في مسألةٍ إلَّا فصَّلها هو بعِلمٍ يُبيِّنه لهم، وحجَّةٍ يذكرها لهم من الكِتاب والسُّنَّة؛ وذلك لكمال عِلم الصِّدِّيق، وعدله، ومعرفته بالأدلَّة التي تُزيل النِّزاع، وكان عامَّة الحُجَج التي تُزِيل النِّزاع يأتي بها الصِّدِّيق ابتداءً، وقليلٌ من ذلك يقوله عمر أو غيره، فيُقِرُّه أبو بكر الصِّدِّيق[(٣)]، وكان إذا أَمَرهم أطاعوه.

= قال الوالد ﷺ: «ويأتي (ص١٨٥) في قصَّة بكاء أبي بَكرٍ لَمَّا ذَكَر النَّبيُّ تخييرَ عبدٍ بين زهرة الدُّنيا وبين ما عند اللَّه».

(١) هو: أبو سعيد سعد بن مالك بن سِنان الخَزرجيُّ الخُدْرِيُّ ﷺ، من الحُفَّاظ المُكثِرين من الرِّواية، أوَّل مشاهده الخندق، وغزا مع رسول اللَّه ﷺ اثنتي عشرة غزوة، توفي سنة (٧٤هـ)، ودُفِن بالبقيع وهو ابن أربع وتسعين سنة. معرفة الصَّحابة لأبي نُعَيْم (٣/ ١٢٦٠)، الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٢/ ٦٠٢)، أُسْد الغابة في معرفة الصَّحابة (٥/ ١٤٢).

(٢) هو: أبو المظفَّر منصور بن مُحمَّد بن عبد الجبَّار السَّمعانيُّ التَّميميُّ المَروزيُّ، الشَّافعيُّ، ولد سنة (٤٢٦هـ)، علَّامةٌ، شيخُ الشَّافعيَّة، ومفتي خُرَاسَان، توفي ﷺ سنة (٤٨٩هـ). طبقات الشَّافعيَّة الكبرى للسبكي (٥/ ٣٣٥)، طبقات الشَّافعيَّة لابن قاضي شُهْبة (١/ ٢٧٤).
قال الوالد ﷺ: «المَروزيُّ أحد أئمَّة الشَّافعيَّة في كتابه: (تقويم الأدلَّة)».
قُلتُ: «وقد نَسَب شيخ الإسلام في الفتاوى الكبرى (٤/ ٤٣٠) كتاب (تقويم الأدلَّة) للمَروزيِّ فقال: (بل ذَكرَ غَيرُ وَاحِدٍ من العلماء: إِجْمَاع العلماء على أنَّ أبا بَكرٍ الصِّدِّيق أَعلمُ مِنْ عَلِيٍّ، منهم: الإمام منصور بن عبد الجبَّار السَّمعانيُّ المَروزيُّ أحد الأئمَّة السِّتَّة مِنْ أصحاب الشَّافعيِّ، ذكر في كتابه تقويم الأدلَّة على الإمام: إجماع علماء السُّنَّة على أنَّ أبا بَكرٍ أَعلمُ مِنْ عَلِيٍّ).
وكتاب (تقويم الأدلَّة) لأبي زيد الدَّبُّوسيِّ، أمَّا كتاب السَّمعانيِّ المَروزيِّ فهو: (قواطع الأدلَّة في الأصول)، وفيه اعتراضات على كتاب (تقويم الأدلَّة)».

(٣) قال الوالد ﷺ: «وذلك في غير المسائل الآتي ذكرها».

كما بيَّن لهم: موت النَّبيِّ ﷺ(١)، وتثبيتهم على الإيمان(٢)، ثمَّ بيَّن لهم مَوْضِع دفنه(٣)، وبيَّن لهم ميراثه(٤).

وبيَّن لهم قتال مانعي الزَّكاة لمَّا استراب(٥) فيه عمر(٦).

---

(١) قال الوالد رحمه الله: «لمَّا كشف عن وجهه الشَّريف، وقال: (بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي طِبْتَ حَيّاً وَمَيِّتاً)، وقال: (مَنْ كَانَ يَعْبُدُ مُحَمَّداً فَإِنَّ مُحَمَّداً قَدْ مَاتَ)، ويأتي» (ص١٨٢).

(٢) قال الوالد رحمه الله: «حين خطبهم وشجَّعهم، ويأتي ذلك» (ص١٨٢).

(٣) قال الوالد رحمه الله: «فعن عائشة رضي الله عنها قالت: (لَمَّا قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ اخْتَلَفُوا فِي دَفْنِهِ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ شَيْئاً مَا نَسِيتُهُ، قَالَ: مَا قَبَضَ اللَّهُ نَبِيّاً إِلَّا فِي المَوْضِعِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُدْفَنَ فِيهِ، ادْفِنُوهُ فِي مَوْضِعِ فِرَاشِهِ) رواه التِّرمذي، أبواب الجنائز، باب ما جاء في دفن النَّبيِّ ﷺ حيث قُبِض، رقم (١٠١٨)».

(٤) قال الوالد رحمه الله: «أنَّ ما تَرَكَه صدقة وأنَّه لا يُورَث، ويأتي في قصَّة (فَدَك)» (ص١٩٩).

(٥) أي: رأى ما يريبه. القاموس المحيط (ص٩٢). والمقصود هنا: التَّردُّد في أَمْر القتال.

(٦) رواه البخاريُّ كتاب استتابة المرتدِّين والمعاندين وقتالهم، وإثم من أشرك باللَّه، وعقوبته في الدُّنيا والآخرة، باب قَتْلِ مَنْ أَبَى قبول الفرائض، وما نُسِبُوا إلى الرِّدَّة، رقم (٦٩٢٤)، (٦٩٢٥)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال النَّاس حتى يقولوا: لا إله إلَّا اللَّه مُحمَّد رسول اللَّه، ويقيموا الصَّلاة ويؤتوا الزَّكاة، ويؤمنوا بجميع ما جاء به النَّبيُّ ﷺ، رقم (٢٠)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وفيه: «فَقَالَ عُمَرُ رضي الله عنه: كَيْفَ تُقَاتِلُ النَّاسَ، وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَمَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؛ فَقَدْ عَصَمَ مِنِّي مَالَهُ وَنَفْسَهُ إِلَّا بِحَقِّهِ، وَحِسَابُهُ عَلَى اللَّهِ؟

فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَاللَّهِ، لَأُقَاتِلَنَّ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ؛ فَإِنَّ الزَّكَاةَ حَقُّ المَالِ، وَاللَّهِ لَوْ مَنَعُونِي عِقَالاً كَانُوا يُؤَدُّونَهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَقَاتَلْتُهُمْ عَلَى مَنْعِهِ.

فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ: فَوَاللَّهِ، مَا هُوَ إِلَّا أَنْ رَأَيْتُ اللَّهَ عز وجل قَدْ شَرَحَ صَدْرَ أَبِي بَكْرٍ لِلْقِتَالِ، فَعَرَفْتُ أَنَّهُ الحَقُّ».

قال الوالد رحمه الله: «فظهر لهم بمباحثته لهم أنَّ قولَه هو الصَّواب، فرجعوا إليه؛ فإنَّ اللَّفظ الذي قاله الرَّسولُ ﷺ: (إِلَّا بِحَقِّهَا) بَيَّن فقه أبي بَكرٍ، وهو صريح في القتال على أداء الزَّكاة، وهو مطابق للقرآن؛ قال تعالى: ﴿فَٱقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ إلى قوله: ﴿وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ﴾ [التوبة: ٥] منهاج السُّنَّة النَّبويَّة (٤/ ٢٢٩)، (٣/ ٢٣١)».

وبيَّن لهم أنَّ الخِلَافَة في قريش[١].

وتَجْهِيز جيش أسامة[٢].

وبيَّن لهم أنَّ عبداً خيَّره اللَّه بين الدُّنيا والآخرة[٣].

واستعمله النَّبيُّ ﷺ على أوَّل حَجَّةٍ حُجَّت من مدينة النَّبيِّ ﷺ - وعِلْمُ المناسك أَدقُّ ما في العبادات، ولولا سَعةُ عِلمه لم يستعمله -، ونادى: «أَن لَا يَحُجَّ بَعْدَ العَامِ مُشْرِكٌ، وَلَا يَطُوفَ بِالبَيْتِ عُرْيَانٌ»[٤]، وأردفه بعلِيٍّ[٥] فقال: «أَمِيرٌ أَوْ مَأْمُورٌ؟ قَالَ: بَلْ مَأْمُورٌ»[٦]، فأمَّر أبا بَكرٍ على عليٍّ، فكان ممَّن أمَره النَّبيُّ ﷺ أنْ يَسْمَعَ ويُطِيعَ لأبي بَكرٍ ﷺ.

وكذلك الصَّلاة؛ اسْتَخْلَفَه عليها[٧]، ولولا عِلْمه لم يَستخلِفْه.

---

(١) قال الوالد ﵀: «ويأتي» (ص٣١٨).

(٢) قال الوالد ﵀: «ويأتي في آخر الكتاب» (ص٣٣٧).

وأسامة هو: أبو مُحمَّد - وقيل: أبو زيد - أسامة بن زيد بن حارثة الكَلْبيُّ ﵁، حِبُّ النَّبيِّ ﷺ وابن حِبِّه، اختُلِف في سِنِّه يوم مات النَّبيُّ ﷺ، فقيل: عشرين سنة، وقيل: تسع عشرة، وقيل: ثماني عشرة، توفي سنة (٥٤هـ). الاستيعاب في معرفة الأصحاب (١/ ٧٥)، أسد الغابة في معرفة الصَّحابة (١/ ٧٩).

(٣) قال الوالد ﵀: «ويأتي تحت عنوان: أَحَبُّ الخَلْقِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ» (ص١٨٥).

(٤) رواه البخاري، كتاب الحجِّ، باب لا يطوفُ بالبيت عُرْيَان، ولا يَحُجُّ مُشْرِك، رقم (١٦٢٢)، ومسلم، كتاب الحجِّ، باب لا يَحُجُّ البيت مُشْرِك، ولا يطوفُ بالبيت عُرْيَان، وبيان يوم الحَجِّ الأكبر، رقم (١٣٤٧)، من حديث أبي هريرة ﵁.

(٥) أي: بعثه بعده. مشارق الأنوار (١/ ٢٨٧).

(٦) رواه ابن إسحاق كما في السِّيرة النَّبويَّة لابن هشام (٢/ ٥٤٦)، ودلائل النُّبوَّة للبيهقي (٥/ ٢٩٥).

(٧) رواه البخاري، كتاب الأذان، باب أهل العِلم والفَضْلِ أحقُّ بالإمامة، رقم (٦٧٨)، ومسلم، كتاب الصَّلاة، باب استخلاف الإمام إذا عَرَض له عذرٌ من مرضٍ وسفرٍ وغيرهما مَن يُصلِّي بالنَّاس، رقم (٤٢٠)، من حديث أبي موسى الأشعريِّ ﵁.

ولم يَسْتَخْلِفْ غيرَه لا في حجٍّ، ولا في صلاة.

وكتاب الصَّدقة التي فرضها رسول اللَّه ﷺ أخذه أنسٌ من أبي بَكرٍ، وهو أصحُّ ما رُوِي فيها(١)، وعليه اعتمد الفقهاء، وغيره في كتابه ما هو متقدِّم منسوخ، فدلَّ على أنَّه أعلم بالسُّنَّة النَّاسخَة.

ولم يُحفَظ له قولٌ يخالِف فيه نصّاً، وهذا يدلُّ على غاية البراعة والعِلم.

وفي الجملة: لا يُعرَف لأبي بَكرٍ مسألة من الشَّريعة غَلِط فيها، وقد عُرِف لغيره مسائل كثيرة كما بُسِط في موضعه(٢).

وتنازعت الصَّحابة بعده في مسائل، مثل: الجدِّ والإخوة، ومثل: العُمَريَّتَيْن(٣)، ومثل: العَوْل(٤)، وغير ذلك من مسائل الفرائض، وتنازعوا في مسألة الحرام(٥)، والطَّلاق الثَّلاث بكلمة واحدة،

---

(١) رواه البخاري، كتاب الزَّكاة، باب زكاة الغنم، رقم (١٤٥٤).

(٢) قال الوالد رحمه الله: «انظر: رَفْعُ المَلام عن الأئمَّة الأعلام لشيخ الإسلام».

(٣) العُمَرِيَّتان: مسألتان من مسائل الفرائض، وصورة الأُولى: زوج وأبوان، فيُعطى الزَّوج: النِّصف، والأمُّ: ثُلُث ما بقي، وما بقي فللأب.
والصُّورة الثَّانية: زوجة وأبوان، فتُعطَى الزَّوجة: الرُّبع، والأمُّ: ثُلُث ما بقي، وما بقي فللأب. المغني (٦/ ٢٧٩).

(٤) هو: زيادة السِّهام على أجزاء أصل المسألة، فتَعُول المسألة إلى سهام الفريضة، ويدخل النُّقصان على أهل الفريضة بقَدْرِ حِصَصِهم. تحرير ألفاظ التَّنبيه (ص٢٤٧)، التَّعريفات الفقهية (ص١٥٣).

(٥) أي: قول الرَّجل لزوجته: «أنتِ عَلَيَّ حرام». قواطع الأدلَّة في الأصول (٢/ ٨٩)، المجموع شرح المهذَّب (١٧/ ١١٤).

والخَلِيَّة(١)، والبَرِيَّة(٢)، والبتَّة(٣)، وغير ذلك من مسائل الطَّلاق، وكذلك تنازعوا في مسائل صارت مسائل نزاعٍ بين الأُمَّة إلى اليوم.

ثمَّ الأقوال التي خُولِف فيها الصِّدِّيق بعد موته: قولُه فيها أَرجحُ مِنْ قولِ مَنْ خَالَفَه بعد موته، وطَرْد ذلك: الجَدُّ والإخوة، وجواز فسخ الحجِّ إلى العمرة بالتَّمتُّع.

وثَبَتَ عن ابن عبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا(٤) أنَّه كان يُفتِي بكتاب اللَّه، فإنْ لم يَجدْ فبما في سنَّة رسول اللَّه، فإنْ لم يَجد أفتى بقول أبي بَكرٍ وعُمرَ مقدِّماً لهما على قول غيرهما(٥)؛ وثَبَتَ عن النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّه قال: «اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ وَعَلِّمْهُ التَّأْوِيلَ»(٦)(٧).



---

(١) الخَلِيَّة في الأصل: النَّاقة تُطْلَق من عِقالها، ويُخلَّى عنها، ويقال للمرأة: خَلِيَّة، كناية عن الطَّلاق. الصحاح (٦/ ٢٣٣٠)، المطلع على ألفاظ المقنع (ص٤٠٨).

(٢) أصلها: بريئة بالهمز، ويكنى بهذه اللَّفظة عن الطَّلاق، كأنَّ المرأة برئت من حقوق الزَّوج بالطَّلاق. الدُّر النقي في شرح ألفاظ الخرقي (٣/ ٦٨٠).

(٣) أي: الذي لا رجعة فيه. تاج العروس (٤/ ٤٣٠).

(٤) هو: أبو العبَّاس عبد اللَّه بن عبَّاس بن عبد المُطَّلب القُرشيُّ الهاشميُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ابن عمِّ رسول اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولد قبل الهجرة بثلاث سنوات، كان يُسمَّى: «البحر»؛ لِسَعَةِ عِلمه، كما سُمِّي: «حَبْر الأُمَّة»، توفي سنة (٦٨هـ). أُسْد الغابة في معرفة الصَّحابة (٣/ ١٨٦)، الإصابة في تمييز الصَّحابة (٤/ ١٢١).

(٥) رواه الدارمي، باب الفتيا وما فيه من الشِّدَّة، رقم (١٦٨).

(٦) رواه أحمد في المسند، رقم (٢٣٩٧).

(٧) منهاج السُّنَّة النَّبويَّة (٤/ ١٣٥، ١٣٧، ٢٩٦، ٢١٦، ٢١٧، ٢٢١)، (٣/ ١١٣، ١٢٢، ١٢٤، ١٢٥)، (٢/ ٢٩٦)، مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٤/ ٤٠٠).

سَبَبُ قِلَّةِ النَّقْلِ عَنْهُ وَعَنْ أَكَابِرِ الصَّحَابَةِ

الخلفاء الأربعة لهم في تبليغ كلِّيَّات الدِّين ونَشْر أُصولِه وأَخْذ النَّاس ذلك عنهم ما ليس لغيرهم، كجَمْعِ أبي بَكرٍ وعُمرَ القرآن في الصُّحُف[(١)]، ثمَّ جَمْعِ عثمانَ له في المصاحف التي أرسلها إلى أهل الأمصار[(٢)]؛ فكان الاهتمام بجَمْع القرآن وتَبليغِه أَهمَّ ممَّا سواه.

وكذلك تبليغ شرائع الإسلام إلى أهل الأمصار، ومقاتلتهم على ذلك، واستنابتهم في ذلك الأمراء والعلماء[(٣)]، وتصديقهم لهم فيما بلَّغوه عن الرَّسول ﷺ، فبلَّغ مَن أقاموه من أهل العِلم حتى صار الدِّين منقولاً نقلاً متواتراً ظاهراً معلوماً، قامت به الحجَّة ووضحت به المَحَجَّة، وتبيَّن به أنَّ هؤلاء خلفاؤه المهديُّون الرَّاشدون الذين خَلَفوه في أمَّته عِلماً وعملاً.

كما أنَّ الذين تأخَّرت حياتهم من الصَّحابة واحتاج النَّاس إلى عِلمهم، نقلوا عن النَّبيِّ ﷺ أحاديث كثيرة لم ينقلها الخلفاء الأربعة ولا أكابر الصَّحابة؛ لأنَّ أولئك كانوا مستغنين عن نقلها؛ لأنَّ الذين عندهم

(١) رواه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب جمع القرآن، رقم (٤٩٨٦)، من حديث زيد بن ثابت رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٢) رواه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب جمع القرآن، رقم (٤٩٨٧)، من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٣) أي: إقامتهم مقامهم. لسان العرب (١/ ٧٧٥).

قد عَلِموها كما عَلِموها، ولهذا يُروَى لابن عمر، وابن عبَّاسٍ، وعائشة، وأنسٍ، وجابرٍ[(١)]، وأبي سعيدٍ، ونحوهم من الصَّحابة من الحديث ما لا يُروى لعليٍّ، ولا لعُمَرَ، وعُمرُ وعَليٌّ أَعلمُ من هؤلاء كلِّهم.

ثمَّ قد يكون عند المفضول عِلمُ قضيَّة معيَّنة لم يعلمها الأفضل فيستفيدها منه، ولا يُوجِب ذلك أن يكون هذا أعلم مطلقاً، ولهذا كان الخلفاء يستفيدون مِنْ بعضِ الصَّحابة عِلماً لم يكن عندهم:

كما استفاد أبو بَكرٍ عِلمَ ميراث الجدَّة[(٢)] مِنْ محمَّد بن مَسْلَمَة[(٣)] والمغيرة بن شعبة[(٤)].

واستفاد عُمرُ دِية الجنين[(٥)] ....

(١) هو: أبو عبد اللَّه جابر بن عبد اللَّه بن عمرو بن حرام الأنصاريُّ السُّلميُّ رضي الله عنه، ممَّن شَهِد العَقَبَة، وأحدُ المُكثِرين عن النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم، توفي سنة (٧٤هـ)، وعاش أربعاً وتسعين سنة. الاستيعاب في معرفة الأصحاب (١/ ٢١٩)، الإصابة في تمييز الصَّحابة (١/ ٥٤٦).

(٢) رواه أحمد في المسند، رقم (١٧٩٧٨)، عن قَبِيصَة بن ذُؤَيْب رحمه الله.

(٣) هو: أبو عبد الرَّحْمَن مُحمَّد بن مَسْلَمة بن سلمة الأنصاريُّ الحارثيُّ رضي الله عنه، شَهِد بدراً والمشاهد كلَّها، توفي سنة (٤٣هـ). الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٣/ ١٣٧٧)، الإصابة في تمييز الصَّحابة (٦/ ٢٨).

(٤) هو: أبو عبد اللَّه المغيرة بن شعبة بن أبي عامر الثَّقفيُّ رضي الله عنه، أَسلمَ عام الخندق، وشَهِد الحُدَيْبِيَة وبيعةَ الرِّضْوَان، توفي سنة (٥٠هـ). الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٤/ ١٤٤٥)، الإصابة في تمييز الصَّحابة (٦/ ١٥٦).

(٥) رواه البخاري، كتاب الدِّيات، باب جنين المرأة، رقم (٦٩٠٥)، ومسلم، كتاب القَسَامة والمحاربين والقصاص والدِّيات، باب دية الجنين ووجوب الدِّية في قَتْلِ الخطأ وشِبْه العمد على عاقلة الجاني، رقم (١٦٨٣)، من حديث المغيرة بن شعبة والمِسْوَر بن مَخْرَمة رضي الله عنهم، ولفظه: «اسْتَشَارَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ النَّاسَ فِي إِمْلَاصِ المَرْأَةِ، فَقَالَ المُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ: شَهِدْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَضَى فِيهِ بِغُرَّةٍ عَبْدٍ أَوْ أَمَةٍ.
قَالَ: فَقَالَ عُمَرُ: ائْتِنِي بِمَنْ يَشْهَدُ مَعَكَ، قَالَ: فَشَهِدَ لَهُ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ».

والاستئذان[١] وتوريث المرأة من دية زوجها[٢] - وغير ذلك - من غيره، واستفاد عثمان حديثَ مقامِ المتوفَّى عنها في بيتها حتَّى يَبلُغ الكتابُ أَجلَه من غيره[٣].

واستفاد عليٌّ حديث صلاة التَّوبة من غيره[٤][٥].



---

(١) رواه البخاري، كتاب الاستئذان، باب التسليم والاستئذان ثلاثاً، رقم (٦٢٤٥)، ومسلم، كتاب الآداب، باب الاستئذان، رقم (٢١٥٤)، من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، ولفظه: «جَاءَ أَبُو مُوسَى إِلَى عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، هَذَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ قَيْسٍ، فَلَمْ يَأْذَنْ لَهُ.

فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ هَذَا أَبُو مُوسَى، السَّلَامُ عَلَيْكُمْ هَذَا الأَشْعَرِيُّ، ثُمَّ انْصَرَفَ.

فَقَالَ: رُدُّوا عَلَيَّ، رُدُّوا عَلَيَّ، فَجَاءَ فَقَالَ: يَا أَبَا مُوسَى، مَا رَدَّكَ؟ كُنَّا فِي شُغْلٍ.

قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: الاِسْتِئْذَانُ ثَلَاثٌ، فَإِنْ أُذِنَ لَكَ، وَإِلَّا فَارْجِعْ.

قَالَ: لَتَأْتِيَنِّي عَلَى هَذَا بِبَيِّنَةٍ، وَإِلَّا فَعَلْتُ وَفَعَلْتُ، فَذَهَبَ أَبُو مُوسَى.

قَالَ عُمَرُ: إِنْ وَجَدَ بَيِّنَةً تَجِدُوهُ عِنْدَ المِنْبَرِ عَشِيَّةً، وَإِنْ لَمْ يَجِدْ بَيِّنَةً فَلَمْ تَجِدُوهُ.

فَلَمَّا أَنْ جَاءَ بِالعَشِيِّ وَجَدُوهُ، قَالَ: يَا أَبَا مُوسَى، مَا تَقُولُ؟ أَقَدْ وَجَدْتَ؟ قَالَ: نَعَمْ، أُبَيَّ بْنَ كَعْبٍ، قَالَ: عَدْلٌ.

قَالَ: يَا أَبَا الطُّفَيْلِ مَا يَقُولُ هَذَا؟ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ ذَلِكَ يَا ابْنَ الخَطَّابِ، فَلَا تَكُونَنَّ عَذَاباً عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم.

قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ! إِنَّمَا سَمِعْتُ شَيْئاً، فَأَحْبَبْتُ أَنْ أَتَثَبَّتَ».

(٢) رواه أحمد في المسند، رقم (١٥٧٤٥)، عن سعيد بن المُسَيِّب رحمه الله.

(٣) رواه أحمد في المسند، رقم (٢٧٠٨٧)، من حديث فُرَيْعَةَ بنت مالكٍ رضي الله عنها.

(٤) رواه أبو داود، أبواب الوتر، باب في الاستغفار، رقم (١٥٢١)، من حديث عليٍّ رضي الله عنه.

(٥) منهاج السُّنَّة النَّبويَّة (٤/ ١١٣، ٤٥٩، ١١٤).

قال الوالد رحمه الله: «وذكر الشَّيخ رحمه الله لذلك أمثلة تركتُها اختصاراً، ونقل الشَّيخ عن ابن حزم قوله: (وأمَّا الرِّوَايَةُ والفُتْيَا؛ فإنَّ أبا بكر رضي الله عنه لم يَعِش بعد رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم إلَّا سنتَيْن وستَّة أشهر، ولم يُفَارِق المدينة إلَّا حاجّاً أو معتمراً، ولم يَحْتَجِ النَّاس إلى ما عنده من الرِّوَايَة عن رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم؛ لأنَّ كلَّ مَنْ حَوَالَيْه أدركوا النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم، وعلى ذلك كُلِّه، فقد رَوَى عن =

وَهُوَ مِنْ كُتَّابِ الوَحْيِ

كان رضي الله عنه مِنْ كُتَّاب الوحي، وكذا عُمرُ، وعُثمانُ، وعليٌّ، وزيد بن ثابت(١)، وعَامرُ بن فُهَيْرَة، وعبد اللَّه بن أَرْقَم(٢)، وأُبيُّ بن كَعبٍ(٣)، وثابت بن قَيْس(٤)، وخالد بن سعيد بن العاص(٥)، وحَنْظَلَة بن الرَّبيع الأسـديُّ(٦)، ....

= رسول اللَّه ﷺ مئة حديث واثنين وأربعين حديثاً مُسْنَدة) منهاج السُّنَّة النَّبويَّة (٤/ ١٣٩، ١٤٠)»، الفصل في المِلَل والأهواء والنحل (٤/ ١٠٨).

(١) هو: أبو سعيد زيد بن ثابت بن الضَّحَّاك الأنصاريُّ الخَزرجيُّ رضي الله عنه، من علماء الصَّحابة، ومِنْ كُتَّاب الوحي للنَّبيِّ ﷺ، وهو الذي جَمَع القرآن في عهد أبي بَكرٍ رضي الله عنه، توفي سنة (٤٥هـ). أُسْد الغابة في معرفة الصَّحابة (٢/ ١٢٦)، الإصابة في تمييز الصَّحابة (٢/ ٤٩٠).

(٢) هو: عبد اللَّه بن الأرقم بن أبي الأرقم - واسمه: عبد يغوث - القُرشيُّ الزُّهريُّ رضي الله عنه، أسلم عام الفتح، توفي في خلافة عثمان رضي الله عنه. أُسْد الغابة في معرفة الصَّحابة (٣/ ٦٨)، الإصابة في تمييز الصَّحابة (٤/ ٤).

(٣) هو: أبو المنذر أُبيُّ بن كعب بن قيس الأنصاريُّ النَّجاريُّ رضي الله عنه، سَيِّد القُرَّاء، كان من أصحاب العَقَبَة الثَّانية، وشَهِد بَدراً والمَشاهدَ كلَّها، توفي سنة (١٩هـ). أُسْد الغابة في معرفة الصَّحابة (١/ ٦١)، الإصابة في تمييز الصَّحابة (١/ ١٨٠).

(٤) هو: أبو مُحمَّد ثابت بن قَيْس بن شَمَّاس الأنصاريُّ الخَزرجيُّ رضي الله عنه، خطيب رسول اللَّه ﷺ، شَهِد أُحُداً وما بعدها، واستشهد يوم اليمامة. الاستيعاب في معرفة الأصحاب (١/ ٢٠٠)، أُسْد الغابة في معرفة الصَّحابة (١/ ٢٧٥).

(٥) هو: أبو سعيد خالد بن سعيد بن العاص القُرشيُّ الأمويُّ رضي الله عنه، أَسلَمَ بعد أبي بَكرٍ الصِّدِّيق رضي الله عنه، وهاجر إلى الحبشة، استشهد بوقعة أجنادين سنة (١٣هـ). الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٢/ ٤٢٠)، أُسْد الغابة في معرفة الصَّحابة (١/ ٥٧٤).

(٦) هو: أبو رِبْعِيٍّ حَنْظَلَة بن الرَّبيع بن صَيْفِيٍّ الأُسَيِّديُّ التَّميميُّ رضي الله عنه، يقال له: «حَنْظَلَة =

ومعاوية[١]، وشُرَحْبِيل بن حَسَنة[٢] رضي اللَّه عنهم أجمعين[٣].



= الكاتب»، شَهِد القادسية، ومات في إمارة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما. الاستيعاب في معرفة الأصحاب (١/ ٣٧٩)، أُسْد الغابة في معرفة الصَّحابة (١/ ٥٤٢).

(١) هو: أبو عبد الرَّحْمَن معاوية بن أبي سفيان - واسمه: صَخْر - بن حرب القُرشيُّ الأمويُّ رضي الله عنه، أسلم قُبَيْل الفتح وعُمُرُه ثمان عشرة سنة، وكان أَحدَ كُتَّاب النَّبيِّ ﷺ، توفي سنة (٦٠هـ). معرفة الصَّحابة لأبي نُعَيم (٥/ ٢٤٩٦)، الإصابة في تمييز الصَّحابة (٦/ ١٢٠).

(٢) هو: أبو عبد اللَّه شُرَحْبِيل بن عبد اللَّه بن المطاع الكِنْديُّ رضي الله عنه، حليف لبني زُهْرَة، نُسِب إلى أُمِّه حَسَنة، توفي في طاعون عمواس سنة (١٨هـ)، وهو ابن سبع وستِّين سنة. الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٢/ ٦٩٨)، الإصابة في تمييز الصَّحابة (٣/ ٢٦٥).

(٣) منهاج السُّنَّة النَّبويَّة (٢/ ٢٧٧).

قال الوالد رحمه الله: «وقد كتب لسُرَاقةَ بن مالك في سفر الهجرة» رواه البخاري، باب هجرة النَّبيِّ ﷺ وأصحابه إلى المدينة، رقم (٣٩٠٦)، من حديث سراقة رضي الله عنه، وفيه: «فَسَأَلْتُهُ أَنْ يَكْتُبَ لِي كِتَابَ أَمْنٍ، فَأَمَرَ عَامِرَ بْنَ فُهَيْرَةَ فَكَتَبَ فِي رُقْعَةٍ مِنْ أَدِيمٍ، ثُمَّ مَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ».

أَزْهَدُ الصَّحَابَةِ

أهل العِلْم يقولون: أَزهدُ النَّاس بعد رسول اللَّه ﷺ الزُّهد الشَّرعيَّ: أبو بَكرٍ، وعُمرُ؛ وذلك أنَّ أبا بَكرٍ كان له مال يَكسبه، فأنفقه كلَّه في سَبيلِ اللَّه، وتولَّى الخِلَافَة، فذهب إلى السُّوق يَبيعُ ويَكتَسِبُ، فلَقِيَه عُمرُ - وعلى يديه أبراد[1] -، فقال له: «أَيْنَ تَذْهَبُ؟ فَقَالَ: أَظَنَنْتَ أَنِّي تَرَكْتُ المَعِيشَةَ لِعِيَالِي؟!» فأخبَر عمر بذلك أبا عُبَيْدَة والمهاجرين، ففَرضوا له شيئاً، فاستَحْلَف عمرَ وأبا عُبَيْدَة، فحَلَفا له أنَّه يباح له أخذ درهمين كلَّ يوم، ثمَّ ترك ماله في بيت المال[2].

ثمَّ لَمَّا حَضَرتْه الوفاة؛ أمر عائشة أنْ تردَّ إلى بيت المال ما كان قد دَخَل في ماله مِنْ مال المسلمين، فوَجدَتْ جَرْدَ قطيفة[3] لا يساوي خمسة دراهم[4]، وحبشيَّةً تُرضِع ابنه، وعبداً حبشيّاً، وناضحاً[5]، فأرسلَتْ بذلك إلى عمر، فقال عبد الرَّحْمَن بن عوف له: «أَتَسْلُبُ هَذَا عِيَالَ أَبِي بَكْرٍ؟ فَقَالَ: كَلَّا وَرَبِّ الكَعْبَةِ، لَا يَتَأَثَّمُ مِنْهُ أَبُو بَكْرٍ فِي حَيَاتِهِ، وَأَتَحَمَّلُهُ أَنَا بَعْدَ مَوْتِهِ».

---

(١) الأبراد: جمع بُرْدٍ، وهو: ثوب فيه خطوط. لسان العرب (٣/ ٨٧).

(٢) رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى (٣/ ١٨٤).

(٣) أي: قطيفة جَرْد، وهي: التي انْجَرَد خَمْلها، وخَلُقت. عمدة القاري (٢١/ ١٤٤).

(٤) وتساوي بالمقادير المعاصرة: ثمانية جرامات وسبع مئة وخمسين مليجراماً (٨,٧٥٠) من الفضَّة.

(٥) هو: البعير الذي يُستقَى عليه المَاء. الصحاح (١/ ٤١١).

وقال: «يَرْحَمُكَ اللَّهُ يَا أَبَا بَكْرٍ، لَقَدْ أَتْعَبْتَ الأُمَرَاءَ بَعْدَكَ»(١)(٢).



(١) رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى (٣/ ١٩٦).

(٢) منهاج السُّنَّة النَّبويَّة (٤/ ١٢٩)، (١/ ٢١٧).

قال الوالد رحمه الله: «ونقل الشَّيخ عن ابن حَزمٍ عزوف أبي بَكرٍ عن المال. منهاج السُّنَّة النَّبويَّة (٤/ ١٣٠)، وفتح الباري لابن حجر (٧/ ١٣)، وفيه: (ورَوَى الزُّبيرُ بن بَكَّارٍ عن عُرْوَة عن عائشة: أَنَّهُ لَمَّا مَاتَ، مَا تَرَكَ دِينَاراً وَلَا دِرْهَماً)».

أَشْجَعُ النَّاسِ بَعْدَ الرَّسُولِ ﷺ

الشَّجاعة تُفَسَّر بشيئين؛ أَحدهما: قوَّة القلب، وثباته عند المخاوف[١]، والثَّاني: شدَّة القتال بالبَدَن؛ بأن يَقتل كثيراً، ويَقتل قتلاً عظيماً[٢].

والقتال يحتاج إلى التَّدبير والرَّأي، ويحتاج إلى شجاعة القلب، وإلى القتال باليد، وهو إلى الرَّأي والشَّجاعة في القلب في الرَّأس المُطَاع، أحوج منه إلى قوة البَدَن.

والشَّجاعة إنَّما فَضْلُها في الدِّين لأجل الجهاد في سبيل اللَّه؛ وإلَّا فالشَّجاعة إذا لم يَستعِن بها صاحبها على الجهاد في سبيل اللَّه، كانت إمَّا وَبالاً عليه؛ إن استعان بها صاحبها على طاعة الشَّيطان، وإمَّا غير نافعة له؛ إن استعملها فيما لا يقرِّبه إلى اللَّه.

وأبو بَكرٍ رضي الله عنه كان أشجع النَّاس؛ لم يكن بعد رسول اللَّه ﷺ أشجع منه، هو أشجع من عُمرَ، وعُمرُ أشجع من عثمان وعليٍّ وطلحةَ والزُّبَيْرِ.

وهذا يَعرِفُه مَنْ يَعرفُ سِيَرهُم وأَخبارَهُم؛ فإنَّ أبا بَكرٍ بَاشَر

(١) الصحاح (٣/ ١٢٣٥).

(٢) تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة (ص١٤).

الأهوال التي كان يُباشِرُها رسولُ اللَّه ﷺ مِنْ أوَّل الإسلام إلى آخره، ولم يَجْبُن ولم يَحْرَج[١]، ولم يفشل، وكان يُقْدِم في المخاوف يَقي النَّبيَّ ﷺ بنفسه، ويجاهد المشركين تارةً بيده، وتارةً بلسانه، وتارةً بماله، وهو في ذلك كلِّه مُقدِم.

وكان يوم بَدرٍ مع النَّبيِّ ﷺ في العَرِيش[٢]، مع عِلْمِه بأنَّ العَدوَّ يَقصدون مكان رسول اللَّه ﷺ، وهو ثابت القلب، رابط الجأش[٣]، يُظاهِرُ النَّبيَّ ﷺ، ويُعاوِنه، ويَذُبُّ عنه، ويُخبِره بأنَّا واثقون بنصر اللَّه، وينظر إلى جهة العدوِّ، وهل قاتلوا المسلمين أو لا؟ وينظر إلى صفوف المسلمين لئلَّا تختلَّ، ويُبلِّغ المسلمين ما يأمر به النَّبيُّ ﷺ في هذه الحال[٤].

---

(١) أي: يَضِقْ. لسان العرب (٢/ ٢٣٣).

(٢) قال الوالد رحمه الله: «وحده».

(٣) أي: شديد القلب، كأنَّه يربط نفسه عن الفرار. لسان العرب (٧/ ٣٠٣).

(٤) قال الوالد رحمه الله: «ففي صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسِّيَر، باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر، وإباحة الغنائم، رقم (١٧٦٣)، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قال: (لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ نَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَهُمْ أَلْفٌ، وَأَصْحَابُهُ ثَلَاثُ مِئَةٍ وَتِسْعَةَ عَشَرَ رَجُلاً، فَاسْتَقْبَلَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ القِبْلَةَ، ثُمَّ مَدَّ يَدَيْهِ، فَجَعَلَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ: اللَّهُمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ آتِ مَا وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ إِنْ تُهْلِكْ هَذِهِ العِصَابَةَ مِنْ أَهْلِ الإِسْلَامِ لَا تُعْبَدْ فِي الأَرْضِ.
فَمَا زَالَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ، مَادّاً يَدَيْهِ مُسْتَقْبِلَ القِبْلَةِ، حَتَّى سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ مَنْكِبَيْهِ، فَأَتَاهُ أَبُو بَكْرٍ فَأَخَذَ رِدَاءَهُ، فَأَلْقَاهُ عَلَى مَنْكِبَيْهِ، ثُمَّ الْتَزَمَهُ مِنْ وَرَائِهِ، وَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، كَفَاكَ مُنَاشَدَتُكَ رَبَّكَ، فَإِنَّهُ سَيُنْجِزُ لَكَ مَا وَعَدَكَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عز وجل: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [الأنفال: ٩]، فَأَمَدَّهُ اللَّهُ بِالمَلَائِكَةِ)».

وفي الصَّحيح(١): «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمَّا كَانَ يَوْمَ بَدْرٍ فِي العَرِيشِ مَعَهُ الصِّدِّيقُ؛ أَخَذَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَعْسَةٌ مِنَ النَّوْمِ، ثُمَّ اسْتَيْقَظَ مُبْتَسِماً، فَقَالَ: أَبْشِرْ يَا أَبَا بَكْرٍ؛ هَذَا جِبْرِيلُ عَلَى ثَنَايَاهُ(٢) النَّقْعُ».

وفي رواية ابن إسحاق(٣): «فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَبْشِرْ يَا أَبَا بَكْرٍ، أَتَاكَ نَصْرُ اللَّهِ، وَهَذَا جِبْرِيلُ آخِذٌ بِعِنَانِ(٤) فَرَسِهِ يَقُودُهُ، عَلَى ثَنَايَاهُ النَّقْعُ» - يعني: الغُبَارَ -(٥).

ثمَّ إنَّ النَّبيَّ ﷺ هو وأبو بكر خرجا بعد ذلك من العَرِيشِ، ورمى النَّبيُّ ﷺ الكفَّارَ الرَّميةَ التي قال اللَّه فيها: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: ١٧].

والصِّدِّيق قاتلهم حتى قال له ابنه عبد الرَّحمَن(٦): «قَدْ رَأَيْتُكَ يَوْمَ

---

(١) رواه البخاري، كتاب المغازي، باب شهود الملائكة بدراً، رقم (٣٩٩٥)، من حديث ابن عبَّاس رضي الله عنهما، ولفظه: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ يَوْمَ بَدْرٍ: هَذَا جِبْرِيلُ، آخِذٌ بِرَأْسِ فَرَسِهِ، عَلَيْهِ أَدَاةُ الحَرْبِ».

(٢) الثَّنايا من الأسنان: الأربع التي في مُقَدَّم الفم؛ ثنتان من فوق، وثنتان من أسفل. تاج العروس (٣٧/ ٢٩٥).

(٣) السِّيرة النَّبويَّة لابن هشام (١/ ٦٢٧).

(٤) العِنان - ككِتاب -: سَيْرُ اللِّجام الذي تُمْسَك به الدابَّة. تاج العروس (٣٥/ ٤١٤).

(٥) قال الوالد رحمه الله: «وذكر ابن كثير في البداية والنهاية طرق هذا الحديث ورواته. (٥/ ١٠٥، ١١٦، ١٢٥، ١٢٦)».

(٦) هو: أبو عبد اللَّه عبد الرَّحمَن بن عبد اللَّه بن عثمان القُرشيُّ التَّيميُّ رضي الله عنهما، أَسلمَ في هدنة الحُدَيْبِيَة، وشَهِد اليمامة مع خالد بن الوليد، فقَتَل سبعة مِنْ أكابرهم، توفي سنة (٥٣هـ). أُسْد الغابة في معرفة الصَّحابة (٣/ ٣٦٢)، الإصابة في تمييز الصَّحابة (٤/ ٢٧٤).

بَدْرٍ فَصَدَفْتُ(١) عَنْكَ، فَقَالَ: لَكِنِّي لَوْ رَأَيْتُكَ لَقَتَلْتُكَ»(٢).

والمسلمون كانت لهم هزيمتان: يوم أُحُدٍ ويوم حُنَين، والمذكور في السِّيَر والمَغَازِي(٣): أنَّ أبا بَكرٍ وعُمرَ ثَبَتَا مع النَّبيِّ ﷺ يوم أُحُدٍ، ويوم حُنَينٍ، لم ينهزما مع مَن انهزم(٤).

ولَمَّا مات النَّبيُّ ﷺ ونزلت بالمسلمين أعظم نَازِلة نزلت بهم، حتى أَوهنَت العقول؛ فهذا يُنكِر موتَه، وهذا قد أُقعِد، وهذا قد دُهِش؛ فلا يعرف مَن يَمُرُّ عليه، ومَنْ يُسَلِّم عليه، وهؤلاء يَضِجُّون بالبكاء، وقد وقعوا في نسخة القيامة، وكأنَّها قيامة صغرى مأخوذة من القيامة الكبرى، وأكثر البوادي قد ارتدُّوا عن الدِّين، وذلَّت كُمَاتُه(٥)، فقام الصِّدِّيق رضي الله عنه بقلبٍ ثابتٍ، وفؤادٍ شجاعٍ؛ فلم يجزع، ولم يَنْكُل(٦)، قد جمع اللَّه له بين الصَّبر واليقين؛ فأخبرهم بموت النَّبيِّ ﷺ، وأن اللَّه قد اختار له ما عنده.

---

(١) أي: أعرضت. الصحاح (٤/ ١٣٨٤).

(٢) رواه ابن أبي شيبة في المصنَّف، كتاب المغازي، باب هذا ما حفظ أبو بَكرٍ في أُحُدٍ، وما جاء فيها، رقم (٣٦٧٩٥)، عن أيوب رحمه الله.

(٣) مغازي الواقدي (١/ ٢٤٠)، تثبيت دلائل النُّبوَّة (٢/ ٤٢١)، دلائل النُّبوَّة للبيهقي (٥/ ١٢٧).

(٤) قال الوالد رحمه الله: «(وَلَمَّا أَصَابَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَا أَصَابَ يَوْمَ أُحُدٍ، وَانْصَرَفَ عَنْهُ المُشْرِكُونَ، خَافَ أَنْ يَرْجِعُوا، قَالَ: مَنْ يَذْهَبُ فِي إِثْرِهِمْ؟ فَانْتَدَبَ مِنْهُمْ سَبْعُونَ رَجُلاً، قَالَ: كَانَ فِيهِمْ أَبُو بَكْرٍ وَالزُّبَيْرُ) رواه البخاري، كتاب المغازي، باب ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾، رقم (٤٠٧٧)، من حديث عائشة رضي الله عنها».

(٥) أي: شجعانه. تاج العروس (٣٩/ ٤١٨).

(٦) أي: يَجبُن. الصحاح (٥/ ١٨٣٥).

وقال لهم: «مَنْ كَانَ يَعْبُدُ مُحَمَّداً؛ فَإِنَّ مُحَمَّداً قَدْ مَاتَ، وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ؛ فَإِنَّ اللَّهَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤]»[(١)]، ثمَّ خطبَهم، فثبَّتَهم، وشجَّعَهم.

قال أنس: «خَطَبَنَا أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه وَكُنَّا كَالثَّعَالِبِ، فَمَا زَالَ يُشَجِّعُنَا حَتَّى صِرْنَا كَالأُسُودِ»[(٢)].

وأَخَذَ في تجهيز جيش أسامة مع إشارتهم عليه[(٣)].

وأَخَذَ في قتال المُرتدِّين مع إشارتهم عليه بالتَّمهُّل والتَّربُّص، وأَخذَ يُقاتلُ - حتَّى مانعي الزَّكاة[(٤)] - حتَّى كان عُمرُ مع قُوَّته وشجاعته يقول له: «يَا خَلِيفَةَ رَسُولِ اللَّهِ، تَأَلَّفِ النَّاسَ؛ فَيَقُولُ: عَلَامَ أَتَأَلَّفُهُمْ، أَعَلَى دِينٍ مُفْتَرىً، أَمْ عَلَى شِعْرٍ مُفْتَعَلٍ؟!»[(٥)].

قلتُ[(٦)]: «ومِنْ شَجاعَتِه: مدافعته عن الرَّسول صلى الله عليه وسلم لَمَّا خَنَقه

---

(١) رواه البخاري، كتاب المغازي، باب مرض النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم ووفاته، رقم (٤٤٥٤)، من حديث ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما.

(٢) ذكره شيخ الإسلام في منهاج السُّنَّة النَّبويَّة - ط جامعة الإمام - (٨/ ٨٣)، ولم أقف على مَن ذكره قبله.

(٣) قال الوالد رحمه الله: «ويأتي ذِكْر ذلك في آخر الكتاب إن شاء اللَّه تعالى» (ص٣٣٧).

(٤) سبق تخريجه (ص١٦٧).
قال الوالد رحمه الله: «ويأتي ذِكْر ذلك في آخر الكتاب إن شاء اللَّه تعالى» (ص٣٣١).

(٥) ذكره بنحوه ابن بشران في فوائده (ص٢٠٥).

(٦) أي: الوالد رحمه الله.

عُقْبَةُ بن أبي مُعَيْط كما تقدَّم(١)، وسبقت الإشارة(٢) إلى موقفه حين خرج مع رسول اللَّه ﷺ مهاجِرَيْن، ونام الرَّسول تحت الصَّخْرَة، ونهض أبو بَكرٍ يَحْرُسُه». اهـ.

وقد رُوِي أنَّه لمَّا قيل له: «لَقَدْ نَزَلَ بِكَ مَا لَوْ نَزَلَ بِالجِبَالِ لَهَاضَهَا(٣)، وَبِالبِحَارِ لَغَاضَهَا(٤)، وَمَا نَرَاكَ ضَعُفْتَ، فَقَالَ: مَا دَخَلَ قَلْبِي رُعْبٌ بَعْدَ لَيْلَةِ الغَارِ؛ فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا رَأَى حُزْنِي قَالَ: لَا عَلَيْكَ يَا أَبَا بَكْرٍ؛ فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ تَكَفَّلَ لِهَذَا الأَمْرِ بِالتَّمَامِ»(٥).

فكان له ﵁ مع الشَّجاعة الطَّبيعيَّة شجاعة دِينيَّة، وقوَّة يقينيَّة في اللَّه ﷻ، وثقة بأنَّ اللَّه ينصره والمؤمنين، وهذه الشَّجاعة لا تحصل إلَّا لمَنْ كان قويَّ القلب؛ لكن هذه تزيد بزيادة الإيمان واليقين، وتنقص بنقص ذلك، فمَنْ تيقَّن أنَّه يغلب عدوَّه كان إقدامه عليه بخِلَاف مَن لم

---

(١) (ص١٣٠).

(٢) (ص١٥٢).

(٣) أي: ألانها. تاج العروس (١٩/ ١١٧).

(٤) أي: نَقَصَها. الصحاح (٣/ ١٠٩٦).

(٥) قال الوالد ﵀: «عن عائشة ﵂ قالت: (قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَارْتَدَّتِ العَرَبُ، وَاشْرَأَبَّ النِّفَاقُ بِالمَدِينَةِ، فَلَوْ نَزَلَ بِالجِبَالِ الرَّاسِيَاتِ مَا نَزَلَ بِأَبِي لَهَاضَهَا...) الحديث، أخرجه البيهقي في السُّنن الكبرى، كتاب المرتدِّ، باب ما يحرُم به الدَّم من الإسلام؛ زنديقاً كان أو غيره، رقم (١٦٨٤٨).

وعن أبي بَكرٍ ﵁ قال: (مَا دَخَلَنِي إِشْفَاقٌ مِنْ شَيْءٍ، وَلَا دَخَلَنِي فِي الدِّينِ وَحْشَةٌ إِلَى أَحَدٍ بَعْدَ لَيْلَةِ الغَارِ؛ فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حِينَ رَأَى إِشْفَاقِي عَلَيْهِ وَعَلَى الدِّينِ، قَالَ لِي: هَوِّنْ عَلَيْكَ، فَإِنَّ اللَّهَ ﷻ قَدْ قَضَى لِهَذَا الأَمْرِ بِالنَّصْرِ وَالتَّمَامِ) تاريخ دمشق لابن عساكر (٣٠/ ٣١٧)، كنز العمال (١٢/ ٤٨٦)».

يكن كذلك، وهذا كان مِنْ أَعظمِ أسباب شجاعة المسلمين، وإقدامهم على عدوِّهم.

ثمَّ قد عَلِم كلُّ مَنْ عَلِم السِّيرَة أنَّ أبا بَكرٍ أقوى قلباً مِنْ جَمِيع الصَّحابة، لا يُقارِبُه في ذلك أَحدٌ منهم؛ فإنَّه مِنْ حين بعث اللَّهُ نبيَّه ﷺ إلى أنْ مات أبو بَكرٍ لم يَزَلْ مجاهداً مِقداماً شجاعاً؛ لم يُعرَف قطُّ أنَّه جَبُن عن قتال عدوِّه؛ بل لَمَّا مات رسول اللَّه ﷺ ضَعُفت قلوب أكثر الصَّحابة، وكان هو الذي ثبَّتَهُم - كما تقدَّم -.

ولَمَّا دخل النَّبيُّ ﷺ مكَّة يوم الفتح؛ كان أبو بَكرٍ رأس المهاجرين عن يمينه، وأُسَيْد بن حُضَيْر(١) رأس الأنصار عن يساره(٢).



(١) هو: أبو يحيى أُسَيْدُ بن حُضَير بن سماك الأشهليُّ الأنصاريُّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَسلمَ على يدي مصعب بن عُمَيْر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وكان ممَّنْ شَهِد العقبة الثَّانية، توفي سنة (٢٠هـ). الاستيعاب في معرفة الأصحاب (١/ ٩٢)، الإصابة في تمييز الصَّحابة (١/ ٢٣٤).

(٢) منهاج السُّنَّة النَّبويَّة (٤/ ١٦٤-١٦٧، ٢٨٦، ٢٦٢، ٢٨٥)، قال الوالد رَحِمَهُ اللهُ: «باختصار في بعض المواضع وتقديم وتأخير».

أَحَبُّ الخَلْقِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ

عن عمرو بن العاص رضي الله عنه[١]: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعَثَهُ عَلَى جَيْشِ ذَاتِ السَّلَاسِلِ[٢]، فَأَتَيْتُهُ فَقُلْتُ: أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: عَائِشَةُ، فَقُلْتُ: مِنَ الرِّجَالِ؟ فَقَالَ: أَبُوهَا، قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: ثُمَّ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ، فَعَدَّ رِجَالاً»[٣].

وفي أحاديث المُخَالَّة التي هي متواترة كما في الصَّحيحَيْن[٤]، عن أبي سعيدٍ الخُدريِّ رضي الله عنه قال: «خَطَبَ النَّبِيُّ ﷺ، فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ خَيَّرَ عَبْداً بَيْنَ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ، فَاخْتَارَ مَا عِنْدَ اللَّهِ، فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ: فَدَيْنَاكَ بِآبَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا - قَالَ: فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هُوَ المُخَيَّرُ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ أَعْلَمَنَا -، فَقَالَ: يَا أَبَا بَكْرٍ، لَا تَبْكِ، إِنَّ أَمَنَّ النَّاسِ

---

(١) هو: أبو عبد اللَّه عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم القُرشيُّ السَّهميُّ رضي الله عنه، أسلمَ سنة ثمان قبل الفتح، فاتح مصر، وأحد دُهاة العرب، ومَنْ يُضرَب به المثل في الفِطْنَة والدَّهاء والحَزْم، توفي سنة (٤٣هـ). الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٣/ ١١٨٤)، سير أعلام النبلاء (٣/ ٥٤).

(٢) وهي: السَّرِيَّة التي أرسلها النَّبيُّ ﷺ سنة (٨هـ) إلى قبائل قُضَاعة، بقيادة عمرو بن العاص رضي الله عنه، وسُمِّيت بهذا الاسم نسبةً إلى ماءٍ بأرض جذام، يقال له: «السَّلسَل». السِّيرة النَّبويَّة لابن هشام (٢/ ٦٢٣).

(٣) رواه البخاري، كتاب أصحاب النَّبيِّ ﷺ، باب قول النَّبيِّ ﷺ: «لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذاً خَلِيلاً»، رقم (٣٦٦٢)، ومسلم، كتاب فضائل الصَّحابة رضي الله عنهم، باب من فضائل أبي بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه، رقم (٢٣٨٤).

(٤) سبق تخريجه (ص١٣٣).

عَلَيَّ فِي صُحْبَتِهِ وَمَالِهِ أَبُو بَكْرٍ، وَلَوْ كُنْتُ مَتَّخِذاً خَلِيلاً غَيْرَ رَبِّي لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلاً[١]، وَلَكِنْ أُخُوَّةُ الإِسْلَامِ وَمَوَدَّتُهُ، وَلَا يَبْقَيَنَّ فِي المَسْجِدِ بَابٌ إِلَّا سُدَّ إِلَّا بَابَ أَبِي بَكْرٍ».

وروى البخاريُّ[٢] من حديث ابن عبَّاسٍ ﷺ قال: «خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ، عَاصِباً رَأْسَهُ بِخِرْقَةٍ، فَقَعَدَ عَلَى المِنْبَرِ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَقَالَ: إِنَّهُ لَيْسَ مِنَ النَّاسِ أَحَدٌ أَمَنَّ عَلَيَّ فِي نَفْسِهِ وَمَالِهِ مِنْ أَبِي بكْرِ بْنِ أَبِي قُحَافَةَ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذاً مِنَ النَّاسِ خَلِيلاً لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلاً، وَلَكِنْ خُلَّةُ الإِسْلَامِ أَفْضَلُ، سُدُّوا عَنِّي كُلَّ خَوْخَةٍ فِي هَذَا المَسْجِدِ، غَيْرَ خَوْخَةِ أَبِي بَكْرٍ»، وفي رواية[٣]: «وَلَكِنْ أَخِي وَصَاحِبِي».

قلتُ[٤]: «وذكر الشَّيخ ﷺ بقيَّة الأحاديث والرِّوايات في المُخَالَّة، ثمَّ قال: (فهذه النُّصوص كلُّها ممَّا تُبيِّن اختصاص أبي بَكرٍ - من فضائل الصُّحْبَة، ومناقبها والقيام بحقوقها - بما لم يَشْرَكه فيه أحد، حتى استوجب أن يكون خليله دون الخَلْق لو كانت المُخَالَّة ممكنةً،

---

(١) قال الوالد ﷺ: «لَمَّا كانت الخُلَّةُ تستلزم كمال المحبَّة واستيعاب القلب، لم يصلح للنَّبيِّ ﷺ أن يُخَالِل مخلوقاً... منهاج السُّنَّة النَّبويَّة (٣/ ٨٨)».

(٢) كتاب الصَّلاة، باب الخَوْخَة، والمَمَرِّ في المسجد، رقم (٤٦٧).

(٣) رواها البخاري، كتاب أصحاب النَّبيِّ ﷺ، باب قول النَّبيِّ ﷺ: «لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذاً خَلِيلاً»، رقم (٣٦٥٦)، من حديث ابن عبَّاسٍ ﷺ، ومسلم، كتاب فضائل الصَّحابة ﷺ، باب من فضائل الصِّدِّيق أبي بكرٍ ﷺ، رقم (٢٣٨٣)، من حديث ابن مسعودٍ ﷺ.

(٤) أي: الوالد ﷺ.

والخُلَّة هي: كمال الحُبِّ، وهذا لا يصلح إلَّا للَّه.

وهذه النُّصوص صريحة بأنَّه أَحبُّ الخَلْق إليه، وأَفضلُهُم عنده)»[(١)].



(١) منهاج السُّنَّة النَّبويَّة (٤/ ٢٥٣، ٢٥٤).

انْتِصَارُ النَّبِيِّ ﷺ لَهُ

الثَّابت من الأحاديث الصَّحيحة يدلُّ على أنَّ النَّبيَّ ﷺ كان ينتصر لأبي بَكرٍ، وينهى النَّاسَ عن مُعارَضَتِه.

روى البخاريُّ عن أبي الدَّرداء ﵁ قال: «كُنْتُ جَالِساً عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ...» فذكر الحديث[1]، وفيه: «إِنَّ اللَّهَ بَعَثَنِي إِلَيْكُمْ، فَقُلْتُمْ: كَذَبْتَ، وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: صَدَقْتَ، وَوَاسَانِي بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ، فَهَلْ أَنْتُمْ تَارِكُو لِي صَاحِبِي؟ فَهَلْ أَنْتُمْ تَارِكُو لِي صَاحِبِي؟ فَمَا أُوذِيَ بَعْدَهَا»[2].



(١) قال الوالد ﵀: «وتقدَّم هذا الحديث في بيان سَبْقِهِ إلى الإسلام (ص١٢٢)».

(٢) قال الوالد ﵀: «وقد وَقَعَ لأبي بَكرٍ مع ربيعة بن كعب الأسلميِّ قصَّة مشابهة.

ففي مسند ربيعة: (كُنْتُ أَخْدُمُ النَّبِيَّ ﷺ فَأَعْطَانِي أَرْضاً، وَأَعْطَى أَبَا بَكْرٍ أَرْضاً، وَجَاءَتِ الدُّنْيَا فَاخْتَلَفْنَا فِي عَذْقِ نَخْلَةٍ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: هِيَ فِي حَدِّي، وَقُلْتُ أَنَا: هِيَ فِي حَدِّي، فَكَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ أَبِي بَكْرٍ كَلَامٌ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ كَلِمَةً كَرِهْتُهَا، وَنَدِمَ، فَقَالَ لِي: يَا رَبِيعَةُ، رُدَّ عَلَيَّ مِثْلَهَا حَتَّى تَكُونَ قِصَاصاً، فَقُلْتُ: لَا أَفْعَلُ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: لَتَقُولَنَّ لِي أَوْ لَأَسْتَعْدِيَنَّ عَلَيْكَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقُلتَ: مَا أَنَا بِفَاعِلٍ، قَالَ: وَرَفَضَ الأَرْضَ.

فَانْطَلَقَ أَبُو بَكْرٍ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَانْطَلَقْتُ أَتْلُوهُ، فَجَاءَ أُنَاسٌ مِنْ أَسْلَمَ فَقَالُوا: يَرْحَمُ اللَّهُ أَبَا بَكْرٍ، فِي أَيِّ شَيْءٍ يَسْتَعْدِي عَلَيْكَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ الَّذِي قَالَ لَكَ مَا قَالَ؟!

فَقُلْتُ: أَتَدْرُونَ مَنْ هَذَا؟! هَذَا أَبُو بَكْرٍ، وَهُوَ ثَانِي اثْنَيْنِ، وَهُوَ ذُو شَيْبَةٍ فِي الإِسْلَامِ، فَإِيَّاكُمْ يَلْتَفِتُ يَرَاكُمْ تَنْصُرُونِي عَلَيْهِ فَيَغْضَبَ، فَيَأْتِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَيَغْضَبَ لِغَضَبِهِ، فَيَغْضَبَ اللَّهُ لِغَضَبِهِمَا، فَيَهْلَكَ رَبِيعَةُ، قَالُوا: فَمَا تَأْمُرُنَا؟ قُلْتُ: ارْجِعُوا.

فَانْطَلَقَ أَبُو بَكْرٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَتَبِعْتُهُ وَحْدِي، حَتَّى أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَحَدَّثَهُ الحَدِيثَ كَمَا كَانَ، فَرَفَعَ إِلَيَّ رَأْسَهُ فَقَالَ: يَا رَبِيعَةُ، مَا لَكَ وَلِلصِّدِّيقِ؟! =

لَمْ يَسُؤِ النَّبِيَّ ﷺ قَطُّ

لا يُعرَف أنَّ اللَّه عَاتَب أبا بَكرٍ في القرآن؛ بل ولا أنَّه ساء رسول اللَّه ﷺ؛ بل رُوِي عنه عليه الصلاة والسلام أنَّه قال في خُطبَتِه: «أَيُّهَا النَّاسُ، اعْرِفُوا لِأَبِي بَكْرٍ حَقَّهُ؛ فَإِنَّهُ لَمْ يَسُؤْنِي قَطُّ»[١].



= قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَانَ كَذَا وَكَذَا، فَقَالَ لِي كَلِمَةً كَرِهْتُهَا، فَقَالَ لِي: قُلْ لِي كَمَا قُلْتُ لَكَ؛ حَتَّى يَكُونَ قِصَاصاً، قَالَ: أَجَلْ؛ فَلَا تَرُدَّ عَلَيْهِ، وَلَكِنْ قُلْ: غَفَرَ اللَّهُ لَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ؛ فَوَلَّى أَبُو بَكْرٍ وَهُوَ يَبْكِي) الطَّبراني في المعجم الكبير (٥/ ٥٨)، رقم (٤٥٧٧)، عن ربيعة الأسلمي. كنز العمال (١٢/ ٥٠٢، ٥٠٣).

قال في مجمع الزَّوائد (٩/ ٤٥): (فيه مُبَارَكُ بن فَضَالة، وحديثه حَسَنٌ، وبقيَّة رجاله ثقات).

وأخرج الحديث أيضاً الإمام أحمد في المسند، رقم (١٦٥٧٧)، وفيه بعد قوله: (لَكِنْ قُلْ: غَفَرَ اللَّهُ لَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ، فَقُلْتُ...) اهـ. فتح الباري لابن حجر (٧/ ٢٦).

وعَذْق - بفتح العين -: (هو النَّخلة بما عليها من الحمل) جامع الأصول لابن الأثير (٥/ ١١).

وفي النِّهاية (٣/ ١٩٩) له: (وبالمدينة أُطُمٌ لبني أميَّة بن زيد، يقال له: عَذْق).

ويدلُّ على أنَّ الذي جَرَى بين ربيعة وأبي بَكرٍ لا مِنْ أَجلِ نَخْلَة وحَمْلِها؛ بل والأرض؛ قوله: (وَرَفَضَ الأَرْضَ)».

(١) منهاج السُّنَّة النَّبويَّة (٤/ ٦٤).

قال الوالد رحمه الله: «عن سهل بن يوسف بن سهل بن مالك، عن أبيه، عن جدِّه أخي كعب بن مالك قال: (لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ حَجَّةِ الوَدَاعِ صَعِدَ المِنْبَرَ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ أَبَا بَكْرٍ لَمْ يَسُؤْنِي قَطُّ) أخرجه ابن منده في معرفة الصَّحابة (ص٦٦٢)، وقال: (غريبٌ لا نَعرفُه إلَّا من هذا الوجه). كنز العمال (١٢/ ٥٠٤).

وأخرج الطَّبراني في المعجم الكبير (٦/ ١٠٤)، رقم (٥٦٤٠)، عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: (لَمَّا قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ المَدِينَةَ مِنْ حَجَّةِ الوَدَاعِ، صَعِدَ المِنْبَرَ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، =

وَابْنَتُهُ أَحَبُّ النِّسَاءِ إِلَيْهِ

تزوَّج النَّبيُّ ﷺ ابنته، وكانت أَحبَّ أَزواجِه إليه، وهذا أَمرٌ لم يَشْرَكه فيه أحد من الصَّحابة إلَّا عمر، ولكن لم تكن حفصة[١] ابنته بمنزلة عائشة؛ بل حفصة طلَّقها ثمَّ راجعها[٢]، وعائشة كان يَقْسِم لها ليلتين لمَّا وهبتها سودة[٣] ليلتها[٤]؛ فمُصَاهَرة أبي بَكرٍ للنَّبيِّ ﷺ كانت على وجهٍ لا يشاركه فيه أحد.

وقد صحَّ عن الصَّادق المصدوق ﷺ أنَّه قال: «فَضْلُ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ، كَفَضْلِ الثَّرِيدِ[٥] عَلَى الطَّعَامِ»[٦].

= ثُمَّ قَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ أَبَا بَكْرٍ لَمْ يَسُؤْنِي قَطُّ، فَاعْرِفُوا ذَلِكَ لَهُ، يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي رَاضٍ عَنْ أَبِي بَكْرٍ، وَعُمَرَ، وَعُثْمَانَ، وَعَلِيٍّ، وَطَلْحَةَ، وَالزُّبَيْرِ، وَسَعْدٍ، وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، وَالمُهَاجِرِينَ الأَوَّلِينَ رَاضٍ، فَاعْرِفُوا ذَلِكَ لَهُمْ)».

(١) هي: أمُّ المؤمنين حفصة بنت عمر بن الخطَّاب القُرشيَّة العَدويَّة رضي الله عنها، ولدت قبل المبعث بخمس سنين، وتزوَّجها رسول اللَّه ﷺ سنة (٣هـ)، توفيت سنة (٤١هـ). الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٤/ ١٨١٢)، الإصابة في تمييز الصَّحابة (٨/ ٨٥).

(٢) رواه الطَّبراني في المعجم الكبير (٢٣/ ١٨٨)، رقم (٣٠٦)، من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه.

(٣) هي: أمُّ المؤمنين سودة بنت زَمْعَة بن قيس العَامريَّة رضي الله عنها، أوَّل امرأة تزوَّجها النَّبيُّ ﷺ بعد خديجة رضي الله عنها، توفيت سنة (٥٤هـ). أُسْد الغابة في معرفة الصَّحابة (٦/ ١٥٧)، الإصابة في تمييز الصَّحابة (٨/ ١٩٦).

(٤) رواه البخاري، كتاب النِّكاح، باب المرأة تَهَبُ يومها من زوجها لضرَّتها، وكيف يقسم ذلك، رقم (٥٢١٢)، ومسلم، كتاب الرَّضاع، باب جواز هبتها نَوْبَتها لضرَّتها، رقم (١٤٦٣)، من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٥) الثَّريدُ: ما يُهْشَمُ من الخبز ويُبَلُّ بماء القِدْر وغيره، والمراد هنا: ليس عين الثَّريد، وإنَّما الطَّعام المتَّخذُ من اللَّحم والثَّريد معاً. النهاية في غريب الحديث والأثر (١/ ٢٠٩)، لسان العرب (٣/ ١٠٢).

(٦) رواه البخاري، كتاب أصحاب النَّبيِّ ﷺ، باب فضل عائشة رضي الله عنها، رقم (٣٧٧٠)، ومسلم، =

وفي الصَّحيح: عن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: عَائِشَةُ»(١).

وعائشة صَحِبَتْه في آخر النُّبوَّة وكمال الدِّين، فحَصل لها من العِلم والإيمان ما لم يحصل لمَن لم يُدرِك إلَّا أوَّل النُّبوَّة؛ فإنَّ الأمَّة انتفعت بها أكثر ممَّا انتفعت بغيرها، وبلَّغت من العِلم والسُّنن ما لم يُبَلِّغه غيرها(٢).

وأهل السُّنَّة مجمِعون على تعظيم عائشة ومحبَّتها، وأنَّ نِساءَه أمَّهات المؤمنين اللَّواتي مات عنهنَّ كانت عائشة أَحبَّهنَّ إليه، وأَعظمهنَّ حرمة عند المسلمين، وقد ثَبَتَ في الصَّحيح(٣): «أَنَّ النَّاسَ كَانُوا يَتَحَرَّوْنَ بِهَدَايَاهُمْ يَوْمَ عَائِشَةَ»؛ لِمَا يَعلَمُون من محبَّته إيَّاها، حتى إنَّ نِساءَه غِرْن مِنْ ذلك وأرسلن إليه فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا(٤) تَقولُ له: «نِسَاؤُكَ يَسْأَلْنَكَ العَدْلَ فِي بِنْتِ ابْنِ أَبِي قُحَافَةَ، فَقَالَ لِفَاطِمَةَ: أَيْ بُنَيَّةُ؛ أَمَا تُحِبِّينَ مَا

= كتاب فضائل الصَّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، باب في فضل عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، رقم (٢٤٤٦)، من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(١) سبق تخريجه (ص١٨٥).

(٢) قال الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ: «ذكر ذلك الشَّيخ رَحِمَهُ اللَّهُ في بحث المفاضلة بينها وبين خديجة» مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٤/ ٣٩٣).

(٣) رواه البخاري، كتاب الهبة وفضلها، باب قَبول الهديَّة، رقم (٢٥٧٤)، ومسلم، كتاب فضائل الصَّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، باب في فضل عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، رقم (٢٤٤١)، من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٤) هي: فاطمة بنت رسول اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ القرشيَّة الهاشميَّة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أمُّها خديجة بنت خويلد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، كانت تُكْنَى: أمَّ أبيها، وُلدت قبل المبعث بقليل، وتوفيت سنة (١١هـ). الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٤/ ١٨٩٣)، أُسْد الغابة في معرفة الصَّحابة (٦/ ٢٢٠).

أُحِبُّ؟ قَالَتْ: بَلَى، قَالَ: فَأَحِبِّي هَذِهِ» الحديث في الصَّحيحَيْن[١].

وفي الصَّحيحَيْن[٢] أيضاً: أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «يَا عَائِشَةُ، هَذَا جِبْرِيلُ يَقْرَأُ عَلَيْكِ السَّلَامَ، قَالَتْ: وَعَلَيْهِ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ، تَرَى مَا لَا نَرَى».

وكان في مرضه الذي مات فيه يقول: «أَيْنَ أَنَا اليَوْمَ؟ اسْتِبْطَاءً لِيَوْمِ عَائِشَةَ»[٣]، «ثُمَّ اسْتَأْذَنَ نِسَاءَهُ أَنْ يُمَرَّضَ فِي بَيْتِ عَائِشَةَ رضي الله عنها»[٤]؛ فمُرِّض فيه، وفي بيتها توفِّي بين سَحْرِهَا[٥] وَنَحْرِهَا، وفي حِجْرها، وجمع بين ريقها وريقه[٦].

---

(١) رواه البخاري، كتاب الهبة وفضلها، باب مَنْ أهدى إلى صاحبه وتحرَّى بعض نسائه دون بعض، رقم (٢٥٨١)، ومسلم، كتاب فضائل الصَّحابة رضي الله عنهم، باب في فضل عائشة رضي الله عنها، رقم (٢٤٤٢)، من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) رواه البخاري، كتاب الاستئذان، باب تسليم الرِّجال على النِّساء والنِّساء على الرِّجال، رقم (٦٢٤٩)، ومسلم، كتاب فضائل الصَّحابة رضي الله عنهم، باب في فضل عائشة رضي الله عنها، رقم (٢٤٤٧)، من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٣) رواه البخاري، كتاب الجنائز، باب ما جاء في قبر النَّبيِّ ﷺ وأبي بَكرٍ وعمر، رقم (١٣٨٩)، ومسلم، كتاب فضائل الصَّحابة رضي الله عنهم، باب في فضل عائشة رضي الله عنها، رقم (٢٤٤٣)، من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٤) رواه البخاري، كتاب الوضوء، باب الغسل والوضوء في المِخْضَب والقَدَح والخشب والحجارة، رقم (١٩٨)، ومسلم، كتاب الصَّلاة، باب استخلاف الإمام إذا عَرَض له عذرٌ من مرضٍ وسفرٍ وغيرهما مَن يُصلِّي بالنَّاس، رقم (٤١٨)، من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٥) السَّحْر: الرِّئة، وقيل: ما لَصِق بالحلقوم من أعلى البطن. النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/ ٣٤٦).

(٦) رواه البخاري، كتاب المغازي، باب مرض النَّبيِّ ﷺ ووفاته، رقم (٤٤٤٩)، ومسلم، كتاب فضائل الصَّحابة رضي الله عنهم، باب في فضل عائشة رضي الله عنها، رقم (٢٤٤٣)، من حديث عائشة رضي الله عنها.

وكانت رضي الله عنها مباركةً على أمَّته، حتى قال أُسَيْد بن حُضَيْر - لَمَّا أَنزلَ اللَّه آية التَّيمُّم بسببها -: «مَا هِيَ بِأَوَّلِ بَرَكَتِكُمْ يَا آلَ أَبِي بَكْرٍ، مَا نَزَلَ بِكِ قَطُّ أَمْرٌ تَكْرَهِينَهُ إِلَّا جَعَلَ اللَّهُ فِيهِ لِلْمُسْلِمِينَ بَرَكَةً»(١).

وقد كانت نزلت آيات براءتها قبل ذلك لَمَّا رماها أهل الإفك؛ فبرَّأها اللَّه مِنْ فوق سبع سموات(٢)، وجعلها من الصَّيِّنات(٣)(٤).



(١) رواه البخاري، كتاب التَّيمُّم، رقم (٣٣٤)، وباب إذا لم يجد ماءً ولا تراباً، رقم (٣٣٦)، ومسلم، كتاب الحيض، باب التَّيمُّم، رقم (٣٦٧)، من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) رواه البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب قول اللَّه: ﴿وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ﴾، رقم (٤٧٥٠)، ومسلم، كتاب التَّوبة، باب في حديث الإفك، وقبول توبة القاذف، رقم (٢٧٧٠)، من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٣) الصَّيِّنات: اللاتي صُنَّ عروضهن. لسان العرب (١٣/ ٢٥٠).

(٤) منهاج السُّنَّة النَّبويَّة (٤/ ٢٠٨)، (٢/ ٢٣٣، ٢٢٨، ٢٤١، ٢٤٢).

إِيمَانُ قَرَابَتِهِ كُلِّهِمْ مِنْ خَصَائِصِهِ

أبوه آمن بالنَّبيِّ ﷺ باتِّفاق النَّاس، وكذلك أمُّه آمنت بالنَّبيِّ ﷺ، وأولادُه، وأولادُ أولاده؛ أبو قُحَافَة كان بمكَّة شيخاً كبيراً، أَسلَم عام الفتح، أتى به أبو بَكرٍ إلى النَّبيِّ ﷺ ورَأسُه ولِحيَتُه كالثُّغامة[1]، فقال النَّبيُّ ﷺ: «لَوْ أَقْرَرْتَ الشَّيْخَ مَكَانَهُ لَأَتَيْنَاهُ»؛ إكْراماً لأبي بَكرٍ[2].

وليس في الصَّحابة مَنْ أسلم أبوه وأمُّه وأولاده، وأدركوا النَّبيَّ ﷺ، وأدركه أيضاً بنو أولاده؛ إلَّا أبو بكر من جهة الرِّجال والنِّساء.

فمُحمَّد بن عبد الرَّحمن بن أبي بكر بن أبي قُحَافَة ﷺ؛ هؤلاء الأربعة كانوا في زمن النَّبيِّ ﷺ مؤمنين[3]، وعبد اللَّه بن الزُّبَيْر - ابن

---

(١) هي: نبت أبيض الزَّهر والثَّمر. مشارق الأنوار (١/ ١٣٤).

(٢) رواه أحمد في المسند، رقم (١٢٦٣٥)، من حديث أنس ﷺ.
قال الوالد ﵀: «أخرج البزَّار عن أبي بَكرٍ الصِّدِّيق ﷺ قال: (جِئْتُ بِأَبِي قُحَافَةَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: هَلَّا تَرَكْتَ الشَّيْخَ حَتَّى آتِيَهُ؟ قُلْتُ: بَلْ هُوَ أَحَقُّ أَنْ يَأْتِيَكَ، قَالَ: إِنَّا نَحْفَظُهُ لِأَيَادِي ابْنِهِ عِنْدَنَا) مسند البزَّار (١/ ١٥٦)، رقم (٧٩)».

(٣) قال الوالد ﵀: «أخرج الطَّبراني في المعجم الكبير (١/ ٥٤)، رقم (١١)، عن موسى بن عُقْبَة قال: (لَا نَعْلَمُ أَرْبَعَةً أَدْرَكُوا النَّبِيَّ ﷺ وَأَبْنَاؤُهُمْ، إِلَّا هَؤُلَاءِ الأَرْبَعَةَ: أَبُو قُحَافَةَ، وَأَبُو بَكْرٍ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ، وَأَبُو عَتِيقِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ - وَاسْمُ أَبِي عَتِيقٍ: مُحَمَّدٌ - ﷺ).
وأخرج ابن منده، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٠/ ٢٤)، عن عائشة ﷺ قالت: (مَا أَسْلَمَ أَبُو أَحَدٍ مِنَ المُهَاجِرِينَ إِلَّا أَبُو أَبِي بَكْرٍ). تاريخ الخلفاء للسُّيوطيِّ (ص٨٨)».

أسماء بنت أبي بكر - كلُّهم أيضاً آمنوا بالنَّبيِّ ﷺ، وصحبوه، وأُمُّ الخير آمنت بالنَّبيِّ ﷺ، فهم أهل بيت إيمان، ليس فيهم منافق.

ولا يُعرَف هذا لغير بيت أبي بَكرٍ، وكان يقال: «لِلْإِيمَانِ بُيُوتٌ وَلِلنِّفَاقِ بُيُوتٌ؛ فَبُيُوتُ أَبِي بَكْرٍ مِنْ بَيْتِ الإِيمَانِ، وَبَنُو النَّجَّارِ(١) مِنْ بُيُوتِ الإِيمَانِ مِنَ الأَنْصَارِ»(٢).



(١) بنو النَّجَّار: بَطْن من الخَزْرَج من الأزد من القحطانيَّة، والنَّجَّار اسمه: تَيْمُ اللَّه بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج. نهاية الأَرَب في معرفة أنساب العرب (ص٧٦).

(٢) منهاج السُّنَّة النَّبويَّة (٤/٢٠٨، ٢٣٠).

رِعَايَتُهُ لِقَرَابَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ

كان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ أعظمِ المسلمين رِعايةً لحقِّ قرابة رسول اللَّه ﷺ، وأهل بيته؛ فإنَّ كَمالَ محبَّته للنَّبيِّ ﷺ أوجبَ سراية الحبِّ لأهل بيته؛ إذ كانت رعاية أهل بيته ممَّا أمر اللَّه ورسوله ﷺ به.

وفي الصَّحيح[١]: «أَنَّهُ خَطَبَ أَصْحَابَهُ بِغَدِيرٍ يُدْعَى: (خُمّاً)[٢] بَيْنَ مَكَّةَ وَالمَدِينَةِ، فَقَالَ: أُذَكِّرُكُمُ اللَّهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي»، وفي السُّنن[٣] أنَّه قال: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحِبُّوكُمْ لِلَّهِ وَلِقَرَابَتِي».

وكان الصِّدِّيق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: «ارْقُبُوا مُحَمَّداً فِي أَهْلِ بَيْتِهِ»[٤] رواه البُخاريُّ[٥]، وقال: «وَاللَّهِ، لَقَرَابَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَحَبُّ إِلَيَّ أَنْ أَصِلَ

---

(١) رواه مسلم، كتاب فضائل الصَّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، باب من فضائل عليِّ بن أبي طالبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، رقم (٢٤٠٨)، من حديث زيد بن أرقم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) خُمٌّ: مَوْضعٌ بين مَكَّة والمدينة، شمالَ شرقِ الجُحْفَة، يَبعدُ عنها ثمانية (٨) كيلومترات، وكان في «خُمٍّ» عَينٌ تَصبُّ فيه، حَولَه شَجَرٌ كَثيرٌ ملتفٌّ، وهو الذي يسمَّى: «خُمّاً». معجم ما استعجم (٢/ ٣٦٨)، معجم البلدان (٢/ ٣٨٩)، مراصد الاطلاع (١/ ٣١٥)، المعالم الأثيرة (ص١٠٩).

(٣) رواه ابن ماجه في مُقدِّمة سُنَنِه، باب في فضائل أصحاب رسول اللَّه ﷺ، فضل العبَّاس بن عبد المُطَّلب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، رقم (١٤٠)، من حديث العبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) قال الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ: «يُخاطِب بذلك النَّاس؛ أي: احفظوه فيهم، فلا تُؤذُوهُم» فتح الباري لابن حجر (٧/ ٧٩).

(٥) كتاب أصحاب النَّبيِّ ﷺ، باب مناقب قرابة رسول اللَّه ﷺ، ومنقبة فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ بنت النَّبيِّ ﷺ، رقم (٣٧١٣).

مِنْ قَرَابَتِي»(١).

وكذلك عمر رضي الله عنه؛ فإنَّهما رضي الله عنهما مدَّة خِلَافَتِهِمَا ما زالا مُكْرِمَيْنِ لعليٍّ وسائر بني هاشم(٢)، يُقدِّمانهم على سائر النَّاس.

أمَّا قوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [الشورى: ٢٣]، ففي الصَّحيحَيْن(٣): عن سعيد بن جُبَيْرٍ(٤) قال: «سُئِلَ ابْنُ عَبَّاسٍ عَنْهَا، فَقُلْتُ(٥): أَنْ لَا تُؤْذُوا مُحَمَّداً فِي قَرَابَتِهِ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: عَجِلْتَ، إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ بَطْنٌ مِنْ قُرَيْشٍ إِلَّا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِيهِمْ قَرَابَةٌ، فَقَالَ: لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً؛ لَكِنْ أَنْ تَصِلُوا القَرَابَةَ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ»(٦).

---

(١) رواه البخاري، كتاب المغازي، باب حديث بني النَّضير ومخرج رسول اللَّه ﷺ إليهم، رقم (٤٠٣٥)، ومسلم، كتاب الجهاد والسِّيَر، باب قول النَّبيِّ ﷺ: «لَا نُورَثُ، مَا تَرَكْنَا فَهُوَ صَدَقَةٌ»، رقم (١٧٥٩)، من حديث عائشة رضي الله عنها.
قال الوالد رحمه الله: «ويأتي (ص٣٢١) في قصَّة بيعة عليٍّ: أنَّ أبا بَكرٍ ذهب وحده إلى بيت عليٍّ رضي الله عنهما - وعنده بنو هاشم - فذكر لهم فضلهم، وذكروا له فضله، وبايعوه وهو وحده عندهم، فهذا غاية الإكرام».

(٢) بنو هاشم: بطنٌ من قريش من العدنانيَّة، وهم: بنو هاشم بن عبد مناف، واسم هاشم: عمرو، وكانت إليه الرِّفَادَة والسِّقايَة بمكَّة، وإليه انتهت سيادة قريش. نهاية الأَرَب في معرفة أنساب العرب (ص٤٣٥).

(٣) رواه البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب قوله: ﴿إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾، رقم (٤٨١٨). ولم أقف عليه عند مسلم.

(٤) هو: أبو مُحمَّد سعيد بن جُبَيْر بن هشام الأسديُّ الوالبيُّ مولاهم، إمامٌ حافظٌ، وأحدُ الأعلام، قُتِل رحمه الله سنة (٩٥هـ). تهذيب الكمال (١٠/٣٥٨)، سير أعلام النبلاء (٤/ ٣٢١).

(٥) أي: سعيد بن جبير رحمه الله.

(٦) قال الوالد رحمه الله: «قال ابن كثير رحمه الله: (وقوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [الشورى: ٢٣]؛ أي: قُلْ يا مُحمَّد لهؤلاء المشركين من كفَّار قريش: لا أسألكم على هذا البَلَاغِ والنُّصح لكم مالاً تُعْطُونِيهِ، وإنَّما أطلبُ منكم أن تَكُفُّوا شرَّكم عنِّي وتَذَرُوني أُبَلِّغُ =

فهو سأل النَّاس الذين أُرسِل إليهم أوَّلاً أن يَصِلوا رحِمَه؛ فلا يعتدوا عليه حتى يُبَلِّغ رسالة ربِّه؛ لم يقل: إلَّا المودة للقربى ولا الموالاة.

ولا ريب أنَّ محبَّة أهل البيت واجبة؛ لكن لم يَثبُت وجوبها بهذه الآية؛ بل بما تقدَّم من الحَديثَيْن[1][2].



= رسالاتِ ربِّي، إنْ لم تنصروني فلا تؤذوني بما بيني وبينكم من القرابة).
ثمَّ ذكر الحديث الذي رواه البُخاريُّ، والأقوال التي قيلت في الآية» تفسير ابن كثير (٧/ ١٩٩).

(١) وهما: «أُذَكِّرُكُمُ اللَّهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي»، وقوله: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحِبُّوكُمْ لِلَّهِ وَلِقَرَابَتِي».

(٢) منهاج السُّنَّة النَّبويَّة (٤/ ٢٩٨، ٢٨).

«فَدَكٌ» أَزَالَ الخِلَافَ فِيهَا بِالنَّصِّ

روى البُخاريُّ(١) عن عروة عن عائشة رضي الله عنها: «أَنَّ فَاطِمَةَ رضي الله عنها وَالعَبَّاسَ رضي الله عنه(٢) أَتَيَا أَبَا بَكْرٍ يَلْتَمِسَانِ(٣) مِيرَاثَهُمَا مِنْ فَدَكٍ(٤)، وَسَهْمَهُ مِنْ خَيْبَرَ(٥)، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: لَا نُورَثُ، مَا تَرَكْنَا صَدَقَةٌ».

وكون النَّبِيِّ ﷺ لا يُورَث ثَبَتَ بالسُّنَّة المقطوع بها، وبإجماع الصَّحابة(٦)، وكلٌّ منهما دَليلٌ قطعيٌّ؛ فلا يعارَض ذلك بما يُظنُّ أنَّه عموم، وإنْ كان عموماً فهو مَخصوصٌ، ولهذا لم يُصِرَّ أحدٌ مِنْ أزواجِ

---

(١) كتاب المناقب، باب حديث بني النَّضير، ومخرج رسول اللَّه ﷺ إليهم في دية الرَّجُلَيْن، رقم (٤٠٣٥)، (٤٠٣٦)، ومسلم، كتاب الجهاد والسِّيَر، باب قول النَّبِيِّ ﷺ: «لَا نُورَثُ، مَا تَرَكْنَا فَهُوَ صَدَقَةٌ»، رقم (١٧٥٩).

(٢) هو: أبو الفضل العبَّاس بن عبد المُطَّلب بن هاشم بن عبد مَنَاف رضي الله عنه، عَمُّ رسول اللَّه ﷺ، توفي سنة (٣٢هـ). الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٢/ ٨١٠)، أُسْد الغابة في معرفة الصَّحابة (٣/ ٦٠).

(٣) أي: يطلبان. النهاية في غريب الحديث والأثر (٤/ ٢٧٠).

(٤) فَدَك: مَوْضعٌ شرقَ خَيْبَر، يَبعدُ عنها مئة وخمسين (١٥٠) كيلومتراً، ويعرف اليوم بـ«الحَائِط». معجم ما استعجم (٣/ ١٠١٥)، معجم البلدان (٤/ ٢٣٨)، الرَّوض المعطار (ص٤٣٧)، معجم المعالم الجغرافية (ص٢٣٥).

(٥) خَيْبَر: مَدينةٌ شمالَ غربِ المدينة المُنوَّرة، تَبعدُ عنها مئة وسبعين (١٧٠) كيلومتراً. معجم ما استعجم (٢/ ٥٢١)، معجم البلدان (٢/ ٤٠٩)، المعالم الأثيرة (ص١٠٩).

(٦) شرح صحيح البخاري لابن بطَّال (٥/ ٢٦٥).

النَّبيِّ ﷺ على طَلَب الميراث، ولا أَصرَّ العمُّ على طَلَب الميراث؛ بل مَنْ طَلَب مِنْ ذلك شيئاً وأُخبِر بقول النَّبيِّ ﷺ رَجَعَ عن طَلَبِه، واستمرَّ الأمر على ذلك على عهد الخلفاء الرَّاشدين إلى عليٍّ رضي الله عنه؛ فلم يُغَيِّر شيئاً مِنْ ذلك، ولا قَسَم له تركة.

وفي الصَّحيح(١): عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «لَا يَقْتَسِمُ وَرَثَتِي دِينَاراً(٢) وَلَا دِرْهَماً، مَا تَرَكْتُ بَعْدَ مُؤْنَةِ نِسَائِي وَمُؤْنَةِ عَامِلِي، فَهُوَ صَدَقَةٌ».

وفي الصَّحيحَيْن: عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النَّبيِّ ﷺ قال: «لَا نُورَثُ، مَا تَرَكْنَا فَهُوَ صَدَقَةٌ» أخرجه البخاريُّ عن جماعةٍ، منهم أبو هريرة(٣)، ورواه مسلم عنه(٤) وعن غيره(٥).

---

(١) رواه البخاري، كتاب الفرائض، باب قول النَّبيِّ ﷺ: «لَا نُورَثُ، مَا تَرَكْنَا صَدَقَةٌ»، رقم (٦٧٢٩)، ومسلم، كتاب الجهاد والسِّيَر، باب قول النَّبيِّ ﷺ: «لَا نُورَثُ، مَا تَرَكْنَا فَهُوَ صَدَقَةٌ»، رقم (١٧٦٠).

(٢) الدِّينار: نقدٌ مضروبٌ من الذَّهَب، ويساوي: درهماً وثلاثة أسباع الدِّرهم، وبالمقادير المعاصرة: جرامين ونصف جرام (٢,٥). المغني (١/ ١٦٤)، حاشية ابن عابدين (٢/ ٢٩٦)، كتابنا: تحقيق المكاييل والأوزان الشَّرعيَّة وتحديدها بالأوزان المعاصرة.

(٣) كتاب الوصايا، باب نفقة القيِّم للوقف، رقم (٢٧٧٦).

(٤) كتاب الجهاد والسِّيَر، باب قول النَّبيِّ ﷺ: «لَا نُورَثُ، مَا تَرَكْنَا فَهُوَ صَدَقَةٌ»، رقم (١٧٦١). ومسلم هو: أبو الحسين مُسْلِم بن الحجَّاج بن مسلم القُشَيْرِيُّ النَّيْسابُورِيُّ، ولد سنة (٢٠٤هـ)، إمام، حافظ، صاحب الصَّحيح، كان أبو زرعة وأبو حاتم يُقدِّمَانِه في معرفة الصَّحيح على مشايخ عصرهما، توفي رحمه الله سنة (٢٦١هـ). وفيات الأعيان (٥/ ١٩٤)، تذكرة الحُفَّاظ للذهبي (٢/ ١٢٥).

(٥) كتاب الجهاد والسِّيَر، باب حكم الفيء، رقم (١٧٥٧)، من حديث عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه، =

فإنَّ اللَّه صان الأنبياء عن أنْ يُورِّثوا دنيا؛ لئلَّا يكون ذلك شبهةً لمَنْ يَقدحُ في نُبوَّتهم بأنَّهم طلبوا الدُّنيا، وورَّثوها لورثتهم.

وأولئك القوم قد أعطاهم أبو بَكرٍ وعُمرُ مِنْ مال اللَّه بقدر ما خلَّفه النَّبيُّ ﷺ أضعافاً مضاعفة.

ولو قُدِّر أنها كانت ميراثاً - مع أنَّ هذا باطل - فإنَّما أَخذ منهم قرية ليست كبيرة؛ لم يأخذ مدينةً، ولا قرية عظيمة.

والمال الذي خلَّفه الرَّسول لم ينتفع أبو بَكرٍ ولا عُمرُ منه بشيءٍ؛ بل سلَّمه عُمرُ إلى عليٍّ والعبَّاس رضي الله عنهم يَلِيانِه، ويفعلان ما كان النَّبيُّ ﷺ يفعله، وهذا ممَّا يُوجِب انتفاء التُّهَم عنهما؛ فإنَّ أبا بَكرٍ وعُمرَ لا تقوم حُجَّة بأنهما تركا واجباً، أو فَعَلا محرَّماً أصلاً[١].



= وباب قول النَّبيِّ ﷺ: «لَا نُورَثُ، مَا تَرَكْنَا فَهُوَ صَدَقَةٌ»، رقم (١٧٥٨)، من حديث عائشة رضي الله عنها.

(١) منهاج السُّنَّة النَّبويَّة (٢/ ١١٩، ٢١٥)، (٣/ ٢٣٠، ٢٣١)، (٢/ ٢١٧-٢١٩، ١٩٩)، وانظر: البداية والنِّهاية (٨/ ١٨٦).

المُقَدَّمُ فِي الشُّورَى أَبُو بَكْرٍ

كان أبو بَكرٍ يَسْمُر عند النَّبيِّ ﷺ بعد العشاء ويتحدَّث معه في أمور المسلمين دون غيره مِنْ أصحابه[١].

وأيضاً: كان النَّبيُّ ﷺ إذا استشار أصحابَه؛ أوَّل مَنْ يتكلَّم: أبو بَكرٍ، وربَّما تكلَّم غيره، وربَّما لم يتكلَّم غيره، فيعمل برأيه وحده في الأمور العظيمة، فإذا خالفه غيره اتَّبع رأيه دون رأي مَنْ يُخالِفه:

فالأوَّل: أنَّه استشار أَصحابَه في أُسَارى بَدرٍ، فتكلَّم أبو بَكرٍ أوَّلاً، فروى مُسلمٌ في صحيحه[٢] عن ابن عبَّاسٍ ﵄ قال: «لَمَّا أُسِرَ الأُسَارَى يَوْمَ بَدْرٍ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ: مَا تَرَوْنَ فِي هَؤُلَاءِ الأُسَارَى؟

فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، هُمْ بَنُو العَمِّ وَالعَشِيرَةِ؛ أَرَى أَنْ تَقْبَلَ مِنْهُمُ الفِدْيَةَ، فَتَكُونَ لَنَا قُوَّةً عَلَى الكُفَّارِ، فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُمْ لِلْإِسْلَامِ.

---

(١) رواه التِّرمذي، أبواب الصَّلاة، باب ما جاء من الرُّخصة في السَّمَرِ بعد العشاء، رقم (١٦٩)، من حديث عمر ﵁.
قال الوالد ﵀: «كان أبو بكر ﵁ أَسَدَّ الصَّحابة رأياً وأكملَهم عقلاً. تاريخ الخلفاء للسُّيوطيِّ (ص٣٨)».

(٢) كتاب الجهاد والسِّيَر، باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر، وإباحة الغنائم، رقم (١٧٦٣).

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَا تَرَى يَا ابْنَ الخَطَّابِ؟

قُلْتُ: لَا وَاللَّهِ، مَا أَرَى الَّذِي رَأَى أَبُو بَكْرٍ؛ وَلَكِنِّي أَرَى أَنْ تُمَكِّنَّا فَنَضْرِبَ أَعْنَاقَهُمْ، فَتُمَكِّنَ عَلِيّاً مِنْ عَقِيلٍ[1] فَيَضْرِبَ عُنُقَهُ، وَيُمَكِّنَ حَمْزَةُ[2] مِنَ العَبَّاسِ؛ فَيَضْرِبَ عُنُقَهُ، وَتُمَكِّنَنِي مِنْ فُلَانٍ - قَرِيبٍ لِعُمَرَ -؛ فَأَضْرِبَ عُنُقَهُ».

وأشار ابن رَوَاحَة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ[3] بتحريقهم.

فاختلف أصحابه؛ فمنهم مَنْ يقول: الرَّأيُ ما رأى أبو بَكرٍ.

ومنهم مَنْ يقول: الرَّأيُ ما رأى عمر.

ومنهم مَنْ يقول: الرَّأيُ ما رأى ابن رَوَاحَة.

قال[4]: «فَهَوِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَا قَالَ أَبُو بَكْرٍ، وَلَمْ يَهْوَ مَا قُلْتُ» وذكر تمام الحديث.

---

(١) هو: أبو يزيد عَقِيل بن أبي طالب بن عبد المُطَّلب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، أَسلمَ قبل الحُدَيْبِيَة، وتوفي في خلافة معاوية رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ. الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٣/ ١٠٧٨)، أُسْد الغابة في معرفة الصَّحابة (٣/ ٥٦٠).

(٢) هو: أبو عمارة حمزة بن عبد المطلب بن هشام القُرشيُّ الهاشميُّ، عمُّ النَّبيِّ ﷺ، وأخوه من الرَّضاعة، أسلم في السَّنة الثَّانية من البِعْثَة، ولازم نصر رسول اللَّه ﷺ وهاجر معه، لقَّبه النَّبيُّ ﷺ: «أسد اللَّه»، وسمَّاه: «سيِّد الشُّهداء»، استشهد في غزوة أحد. الاستيعاب في معرفة الأصحاب (١/ ٣٦٩)، الإصابة في تمييز الصَّحابة (٢/ ١٠٥).

(٣) هو: أبو مُحمَّد عبد اللَّه بن رَوَاحَة بن ثعلبة الأنصاريُّ الخَزرجيُّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، أحد النُّقَباء، شَهِد العَقَبَة وما بعدها، كان أحد شعراء النَّبيِّ ﷺ، استشهد يوم مؤتة سنة (٨هـ). الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٣/ ٨٩٨)، أُسْد الغابة في معرفة الصَّحابة (٣/ ١٣٠).

(٤) أي: عمر بن الخطَّاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

وأمَّا الثَّاني: في يوم الحُدَيْبِيَة لَمَّا جاءه جاسُوسُه الخُزَاعيُّ[(١)]، وأَخبرَه أنَّ قريشاً قد جمعوا له الأحابيش - وهم: الجماعة المستجمَعَة مِنْ قبائل، والتَّحبُّش: التَّجمُّع -، وأنَّهم مقاتلوه وصادُّوه عن البيت؛ استشار أصحابه أهل المشورة مُطلقاً؛ هل يميل إلى ذَرَارِيِّ الأحابيش، أو ينطلق إلى مكَّة؟ قال أبو بَكرٍ: «اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، يَا نَبِيَّ اللَّهِ، إِنَّمَا جِئْنَا مُعْتَمِرِينَ، وَلَمْ نَجِئْ نُقَاتِلُ أَحداً، وَلَكِنْ مَنْ حَالَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ البَيْتِ قَاتَلْنَاهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: فَرُوحُوا إِذَنْ»، والحديث معلوم عند أهل العِلْم - أهل التَّفسير والمغازي والسِّيَر والفقه -، والحديث رواه البُخاريُّ[(٢)]، ورواه أحمد في مسنده[(٣)].

ثمَّ إنَّه لَمَّا تكلَّم عروة بن مسعود الثَّقفيُّ - وهو مِنْ سادات ثقيف[(٤)] وحلفاءِ قريش - مع النَّبيِّ ﷺ وأخذ يقول عن أصحابه: إنَّهم أَشوابٌ - أي: أخلاط -، وفي المسند[(٥)]: «أَوْبَاشٌ يَفِرُّونَ وَيَدَعُوكَ، قَالَ لَهُ الصِّدِّيقُ: امْصُصْ بَظْرَ اللَّاتِ، أَنَحْنُ نَفِرُّ وَنَدَعُهُ؟!».

---

(١) هو: بُسْرُ بن سفيان بن عمرو بن عويمر الخُزاعيُّ رضي الله عنه، أسلم سنة ستٍّ من الهجرة، وبعثه النَّبيُّ ﷺ عينًا إلى قريش بمكَّة، وشهد الحُدَيْبِيَة. الاستيعاب في معرفة الأصحاب (١/ ١٦٦)، أُسْد الغابة في معرفة الصَّحابة (١/ ٢١٦)، الإصابة في تمييز الصَّحابة (١/ ٤٢٤).

(٢) كتاب المغازي، باب غزوة الحُدَيْبِيَة، رقم (٤١٧٨)، من حديث المِسْوَر بن مَخْرَمة رضي الله عنهما، ومروان بن الحكم رحمه الله.

(٣) رقم (١٨٩٢٨)، من حديث المِسْوَر بن مَخْرَمة رضي الله عنهما، ومروان بن الحكم رحمه الله.

(٤) ثقيف: بطن من هوازن من العدنانية، واشتهروا باسم أبيهم، فيقال لهم: «ثقيف»، واسمه: قيس بن منبه بن بكر بن هوزان. نهاية الأَرَب في معرفة أنساب العرب (ص١٩٨).

(٥) رقم (١٨٩١٠)، من حديث المِسْوَر بن مَخْرَمة رضي الله عنهما، ومروان بن الحكم رحمه الله.

ثمَّ لَمَّا صالح النَّبيُّ ﷺ قريشاً؛ كان ظاهِر الصُّلح فيه غضاضة[١] وضَيْم[٢] على المسلمين، وفعَله النَّبيُّ ﷺ طاعةً للَّه وثِقةً بوعده له، وأنَّ اللَّه سينصره عليهم، واغتاظ من ذلك جمهور النَّاس، وعَزَّ عليهم حتى على مثلِ عمر، وعليٍّ، وسهل بن حُنَيْف[٣]، ففي الصَّحيحَيْن[٤]: عن أبي وائل قال: «قَامَ سَهْلُ بْنُ حُنَيْفٍ فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ، اتَّهِمُوا أَنْفُسَكُمْ - وفي لَفظٍ: اتَّهِمُوا رَأْيَكُمْ عَلَى دِينِكُمْ -، لَقَدْ كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ الحُدَيْبِيَةِ وَلَوْ نَرَى قِتَالاً لَقَاتَلْنَا، وَذَلِكَ فِي الصُّلْحِ الَّذِي كَانَ بَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَبَيْنَ المُشْرِكِينَ، فَجَاءَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَسْنَا عَلَى حَقٍّ وَهُمْ عَلَى بَاطِلٍ؟ قَالَ: بَلَى.

قَالَ: أَلَيْسَ قَتْلَانَا فِي الجَنَّةِ وَقَتْلَاهُمْ فِي النَّارِ؟ قَالَ: بَلَى.

قَالَ: فَفِيمَ نُعْطِي الدَّنِيَّةَ[٥] فِي دِينِنَا، وَنَرْجِعُ وَلَمَّا يَحْكُمِ اللَّهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ؟

فَقَالَ: يَا ابْنَ الخَطَّابِ، إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ، وَلَنْ يُضَيِّعَنِي اللَّهُ أَبَداً.

قَالَ: فَانْطَلَقَ عُمَرُ، فَلَمْ يَصْبِرْ مُتَغَيِّظاً، فَأَتَى أَبَا بَكْرٍ، فَقَالَ: يَا

---

(١) أي: ذِلَّة ومَنْقَصة. النظم المستعذب (٢/ ١٦١).

(٢) أي: ظُلْم. الصحاح (٥/ ١٩٧٣).

(٣) هو: أبو سعد سهل بن حُنَيْف بن واهب الأنصاريُّ الأوسيُّ رضي الله عنه، شَهِد بَدراً والمشاهد كلَّها مع رسول اللَّه ﷺ، توفي سنة (٣٨هـ). أُسْد الغابة في معرفة الصَّحابة (٢/ ٣١٨)، الإصابة في تمييز الصَّحابة (٣/ ١٦٥).

(٤) رواه البخاري، كتاب الجزية، رقم (٣١٨٢)، ومسلم، كتاب الجهاد والسِّيَر، باب صلح الحديبية في الحديبية، رقم (١٧٨٥).

(٥) أي: النَّقيصة. المُغرِب في ترتيب المُعرِب (ص١٦٩).

أَبَا بَكْرٍ أَلَسْنَا عَلَى حَقٍّ وَهُمْ عَلَى بَاطِلٍ؟ قَالَ: بَلَى.

قَالَ: أَلَيْسَ قَتْلَانَا فِي الجَنَّةِ وَقَتْلَاهُمْ فِي النَّارِ؟ قَالَ: بَلَى.

قَالَ: فَعَلَامَ نُعْطِي الدَّنِيَّةَ فِي دِينِنَا، وَنَرْجِعُ وَلَمَّا يَحْكُمِ اللَّهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ؟

فَقَالَ: يَا ابْنَ الخَطَّابِ، إِنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ، وَلَنْ يُضَيِّعَهُ اللَّهُ أَبَداً.

قَالَ: فَنَزَلَ القُرْآنُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِالفَتْحِ، فَأَرْسَلَ إِلَى عُمَرَ، فَأَقْرَأَهُ إِيَّاهُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوَفَتْحٌ هُوَ؟ قَالَ: نَعَمْ؛ فَطَابَتْ نَفْسُهُ وَرَجَعَ».

وتاب اللَّه على الذين عارضوا ذلك رضي الله عنهم.

وهذا مِنْ أَبْيَنِ الأمور دلالةً على موافقته للنَّبيِّ ﷺ، ومناسبته له، واختصاصه به قولاً وعملاً، وعِلماً وحالاً؛ إذ كان قوله من جنس قوله، وعمله من جنس عمله، وفي المواطن التي ظهر فيها تقدُّمه على غيره في ذلك(١).



(١) منهاج السُّنَّة النَّبويَّة (٤/ ٢٤٥، ٢٤٩، ٢٥٠، ٦٤)، وانظر: الهدي النَّبوي - زاد المعاد - (٢/ ١٢٨).

قال الوالد رحمه الله: «وأخرج أحمد في المسند، رقم (١٧٩٩٤)، عن عبد الرَّحمَن بن غنم أنَّ رسول اللَّه ﷺ قال لأبي بكرٍ وعُمرَ: (لَوِ اجْتَمَعْتُمَا فِي مَشُورَةٍ؛ مَا خَالَفْتُكُمَا)، وأخرجه الطَّبراني في المعجم الأوسط (٧/ ٢١٢)، رقم (٧٢٩٩)، من حديث البراء بن عازب رضي الله عنهما، ولفظه: (وَلَوْلَا أَنَّكُمَا تَخْتَلِفَانِ عَلَيَّ مَا خَالَفْتُكُمَا)».

مُشَاوَرَةُ النَّبِيِّ ﷺ لِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ فِيمَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ وَحْيٌ خَاصٌّ

الأمور العامَّة الكلِّيَّة التي تَعُمُّ المسلمين إذا لم يكن فيها وحيٌ خاصٌّ؛ كان يشاور فيها أبا بَكرٍ وعُمرَ وإن دخل غيرُهما في الشُّورى؛ لكن هما الأصل في الشُّورى.

وكان عمر تارةً يَنزل القرآن بموافقته فيما يراه[1]، وتارةً يتبيَّن له الحقُّ في خلاف ما رآه فيرجع عنه[2].

وأمَّا أبو بَكرٍ فلم يُعرَف أنَّه أنكر[3] عليه شيئاً، ولا كان أيضاً

---

(١) كما في حديث عمر ﷺ أنَّه قال: «وَافَقْتُ رَبِّي فِي ثَلَاثٍ: فِي مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ، وَفِي الحِجَابِ، وَفِي أُسَارَى بَدْرٍ» رواه البخاري، رقم (٤٠٢)، ومسلم، رقم (٢٣٩٩).

(٢) كما في حديث الشَّعْبِيِّ ﷺ قال: «خَطَبَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ ﷺ النَّاسَ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَقَالَ: أَلَا لَا تُغَالُوا فِي صُدُقِ النِّسَاءِ، فَإِنَّهُ لَا يَبْلُغُنِي عَنْ أَحَدٍ سَاقَ أَكْثَرَ مِنْ شَيْءٍ سَاقَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَوْ سِيقَ إِلَيْهِ إِلَّا جَعَلْتُ فَضْلَ ذَلِكَ فِي بَيْتِ المَالِ.

ثُمَّ نَزَلَ فَعَرَضَتْ لَهُ امْرَأَةٌ مِنْ قُرَيْشٍ، فَقَالَتْ: يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ، كِتَابُ اللَّهِ ﷻ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَوْ قَوْلُكَ؟ قَالَ: بَلْ كِتَابُ اللَّهِ ﷻ، فَمَا ذَلِكَ؟ قَالَتْ: نَهَيْتَ النَّاسَ آنِفاً أَنْ يُغَالُوا فِي صُدُقِ النِّسَاءِ، وَاللَّهُ ﷻ يَقُولُ فِي كِتَابِهِ: ﴿وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُواْ مِنْهُ شَيْـًٔا﴾ [النساء: ٢٠].

فَقَالَ عُمَرُ: كُلُّ أَحَدٍ أَفْقَهُ مِنْ عُمَرَ - مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثاً -، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى المِنْبَرِ، فَقَالَ لِلنَّاسِ: إِنِّي نَهَيْتُكُمْ أَنْ تُغَالُوا فِي صُدُقِ النِّسَاءِ، أَلَا فَلْيَفْعَلْ رَجُلٌ فِي مَالِهِ مَا بَدَا لَهُ» رواه سعيد بن منصور في سننه، رقم (٥٩٨).

(٣) أي: النَّبيُّ ﷺ.

يَتقدَّم في شيء، اللَّهمَّ إلَّا لمَّا تَنَازَع هو وعمر فيمَنْ يُولَّى من بني تميم[(١)(٢)].



(١) رواه البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب ﴿لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ﴾، رقم (٤٨٤٥)، عن نافع بن عمر، عن ابن أبي مُلَيْكة رحمهما الله، ولفظُه: «كَادَ الخَيِّرَانِ أَنْ يَهْلِكَا؛ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ رضي الله عنهما، رَفَعَا أَصْوَاتَهُمَا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ حِينَ قَدِمَ عَلَيْهِ رَكْبُ بَنِي تَمِيم، فَأَشَارَ أَحَدُهُمَا بِالأَقْرَعِ بْنِ حَابِسٍ أَخِي بَنِي مُجَاشِعٍ، وَأَشَارَ الآخَرُ بِرَجُلٍ آخَرَ - قَالَ نَافِعٌ: لَا أَحْفَظُ اسْمَهُ -، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ لِعُمَرَ: مَا أَرَدْتَ إِلَّا خِلَافِي، قَالَ: مَا أَرَدْتُ خِلَافَك، فَارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُهُمَا فِي ذَلِكَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ﴾ [الحجرات: ٢] الآيَةَ، قَالَ ابْنُ الزُّبَيْرِ: فَمَا كَانَ عُمَرُ يُسْمِعُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَعْدَ هَذِهِ الآيَةِ حَتَّى يَسْتَفْهِمَهُ، وَلَمْ يَذْكُرْ ذَلِكَ عَنْ أَبِيهِ - يَعْنِي: أَبَا بَكْرٍ -».

وبنو تميم: بطن من طابخة من العدنانيَّة، وهم: بنو تميم بن مُرِّ بن أُدِّ بن طابخة. نهاية الأَرَب في معرفة أنساب العرب (ص١٨٨).

(٢) منهاج السُّنَّة النَّبويَّة (٤/ ٦٤، ٦٥).

وشَبَّهَ ﷺ كُلّاً مِنْهُمَا بِنَبِيَّيْنِ

لَمَّا استشار أبا بَكرٍ وأشار بالفداء، واستشار عمر فأشار بالقتل[(١)]، قال ﷺ: «سَأُخْبِرُكُمْ عَنْ صَاحِبَيْكُمْ: مَثَلُكَ يَا أَبَا بَكْرٍ كَمَثَلِ إِبْرَاهِيمَ قَالَ: ﴿فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [إبراهيم:٣٦]، ومَثَلِ عِيسَى إِذْ قَالَ: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [المائدة:١١٨].

وَمَثَلُكَ يَا عُمَرُ مَثَلُ نُوحٍ إِذْ قَالَ: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾ [نوح:٢٦]، أَوْ مَثَلُ مُوسَى إِذْ قَالَ: ﴿رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾ [يونس:٨٨]»[(٢)].

ولم يَعِبْ واحداً منهما بما أشار عليه به؛ بل مدحه وشبَّهه بالأنبياء؛ فشبَّه أبا بكرٍ بإبراهيم وعيسى في لِينِه في اللَّه، وشبَّه عُمرَ بنوحٍ وموسى في شدَّتِه في اللَّه[(٣)].



---

(١) قال الوالد ﵀: «في قصَّة أُسَارى بَدرٍ كما تقدَّم في صحيح مسلم عن ابن عبَّاسٍ» (ص٢٠٢).

(٢) رواه البيهقي في السُّنن الكبرى، كتاب قَسْم الفَيْءِ والغنيمة، باب ما جاء في مفاداة الرِّجال منهم بالمال، رقم (١٢٨٤٤)، من حديث عبد اللَّه بن مسعود ﵁.

(٣) منهاج السُّنَّة النَّبويَّة (٤/ ٨٨، ٢١٤).

قال الوالد ﵀: «قال في مجمع الزَّوائد (٦/ ٨٦، ٨٧): (وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَا تَقُولُونَ فِي هَذِهِ الأَسْرَى؟ قَالَ: فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَوْمُكَ وَأَهْلُكَ اسْتَفْدِهِمْ وَاسْتَأْدِهِمْ، لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ. =

أَبُو بَكْرٍ مِنْ أَفْصَحِ النَّاسِ وَأَخْطَبِهِمْ

ليست الفصاحةُ التَّشدُّقَ[(١)] بالكلام، ولا سجعَ الكلام، ولا كان في خطباء العرب من الصَّحابة وغيرهم تَكَلُّف الأسجاع، ولا تَكَلُّف التَّحسين الذي يعود إلى مجرَّد اللَّفظ الذي سُمِّي: «علم البديع»؛ كما يفعله المتأخِّرون من أصحاب الخطب والرَّسائل والشِّعْر؛ وإنَّما البلاغة المأمور بها في مثل قوله تعالى: ﴿وَقُل لَّهُمْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا﴾ [النساء: ٦٣]، هي: «علم المعاني والبيان»، فيجمع صاحبها بين تكميل المعاني المقصودة، وبين تبيينها بأحسن وجه[(٢)].

= قَالَ: وَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَخْرَجُوكَ وَكَذَّبُوكَ، قَرِّبْهُمْ فَاضْرِبْ أَعْنَاقَهُمْ.

قَالَ: وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، انْظُرْ وَادِياً كَثِيرَ الحَطَبِ فَأَدْخِلْهُمْ فِيهِ، ثُمَّ أَضْرِمْهُ عَلَيْهِمْ نَاراً.

قَالَ: فَقَالَ العَبَّاسُ: قَطَعْتَ رَحِمَكَ.

قَالَ: فَدَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِمْ.

فَقَالَ نَاسٌ: يَأْخُذُ بِقَوْلِ أَبِي بَكْرٍ، وَقَالَ نَاسٌ: يَأْخُذُ بِقَوْلِ عُمَرَ، وَقَالَ نَاسٌ: يَأْخُذُ بِقَوْلِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَوَاحَةَ.

قَالَ: فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ عز وجل لَيُلِينُ قُلُوبَ رِجَالٍ فِيهِ حَتَّى تَكُونَ أَلْيَنَ مِنَ اللَّبَنِ، وَإِنَّ اللَّهَ عز وجل لَيُشَدِّدُ قُلُوبَ رِجَالٍ فِيهِ حَتَّى تَكُونَ أَشَدَّ مِنَ الحِجَارَةِ، وَإِنَّ مَثَلَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ...)» الحديث.

(١) الأشداق: جوانب الفم، والمُتَشَدِّق بالكلام: الذي يلوي شِدْقَه للتَّفَصُّح. الصِّحاح (٤/ ١٥٠٠).

(٢) قال الوالد رحمه الله: «وأمَّا تكلُّف الأسجاع والأوزان والجناس والتَّطبيق، ونحو ذلك ممَّا يتكلَّفه متأخِّرو الشُّعراء والخطباء، والمُتَرَسِّلين والوعَّاظ، فهذا لم يكن من دأب خطباء =

وأكثر الخُطب التي ينقلها صاحب «نهج البلاغة»(١) كذب على عَلِيٍّ، وعَلِيٌّ أَجلُّ وأعلَى قدراً مِنْ أنْ يتكلَّم بذلك الكلام؛ ولكن هؤلاء وضعوا أكاذيبَ وظنُّوا أنَّها مدح؛ فلا هي صدقٌ، ولا هي مدحٌ.

لا ريب أنَّ عليّاً كان من أخطب النَّاس، وكان أبو بَكرٍ خطيباً، وعمر خطيباً، وكان ثابت بن قَيْس بن شَمَّاس خطيباً معروفاً بأنَّه خطيب رسول اللَّه ﷺ؛ كما كان حسَّان بن ثابت(٢)، وكعب بن مالك(٣)،

= الصَّحابة والتَّابعين والفصحاء منهم، ولا كان ذلك ممَّا يَهْتَمُّ به العرب، وغالب مَن يعتمد ذلك يُزَخْرِف اللَّفظ بغير فائدة مطلوبة من المعاني؛ كالمجاهد الذي يُزَخْرِف السِّلاح وهو جبان، ولهذا يُوجَد الشَّاعر كلَّما أمعن في المدح والهجو خرج في ذلك إلى الإفراط في الكذب، يستعين بالتَّخيُّلات أو التَّمثيلات. منهاج السُّنَّة النَّبويَّة (٤/ ١٥٨، ١٥٩)».

(١) للرَّضِيِّ مُحمَّد بن حسين، وقيل لأخيه: المرتضى عليِّ بن حسين. سير أعلام النبلاء (١٧/ ٥٨٩).

والرَّضِيُّ هو: الشَّريف أبو الحسن مُحمَّد بن حسين بن موسى المُوسَوِيُّ البغداديُّ، المُلقَّب بـ«الرَّضِيِّ»، كان شيعيّاً، توفي سنة (٤٠٦هـ). وفيات الأعيان (٤/ ٤١٤)، سير أعلام النبلاء (١٧/ ٢٨٥).

والمرتضى هو: الشَّريف أبو القاسم عَلِيُّ بن حسين بن موسى المُوسَوِيُّ البغداديُّ، المُلقَّب بـ«المرتضى»، ولد سنة (٣٥٥هـ)، مُعتزليٌّ، إِماميٌّ جَلْد، توفي سنة (٤٣٦هـ). وفيات الأعيان (٣/ ٣١٣)، سير أعلام النبلاء (١٧/ ٥٨٨).

(٢) هو: أبو الوليد حَسَّان بن ثابت بن المنذر الأنصاريُّ رضي الله عنه، شاعر الرَّسول ﷺ، وروى عنه أحاديث، توفي سنة (٨٠هـ). الاستيعاب في معرفة الأصحاب (١/ ٣٤١)، الإصابة في تمييز الصَّحابة (٢/ ٥٥).

(٣) هو: أبو عبد اللَّه كعب بن مالك بن عمرو الأنصاريُّ السُّلميُّ رضي الله عنه، أسلم وشَهِد العقبةَ الثَّانية، من شعراء النَّبيِّ ﷺ، وأحد الثَّلاثة الذين تاب اللَّه عليهم، توفي سنة (٥٠هـ). الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٣/ ١٣٢٣)، الإصابة في تمييز الصَّحابة (٥/ ٤٥٧).

وعبد اللَّه بن رَوَاحَة شعراءه.

ولكن كان أبو بَكرٍ رضي الله عنه يخطب عن النَّبيِّ ﷺ في حضوره وغيبته، فكان النَّبيُّ ﷺ إذا خرج في الموسم يدعو النَّاس إلى الإسلام وأبو بَكرٍ معه؛ يَخطبُ معه، ويُبيِّن بخطابِه ما يدعو النَّاس إلى متابعة النَّبيِّ ﷺ، ونبيُّ اللَّه ساكت يُقِرُّه على ما يقول، وكان كَلامُه تمهيداً وتَوطئةً لِمَا يبلِّغه الرَّسول، ومعونةً له، لا تقدُّماً بين يدي اللَّه ورسوله.

ولَمَّا قَدِم رسول اللَّه ﷺ هو وأبو بَكرٍ مهاجرَيْن إلى المدينة؛ قعد رسول اللَّه ﷺ، وقام أبو بكر يخاطب النَّاس عنه حتى ظنَّ مَنْ لم يعرفهما أنَّه رسول اللَّه، إلى أنْ عُرِف بَعْدُ أنَّ رسول اللَّه ﷺ هو القاعد(١).

وكان يخرج مع النَّبيِّ ﷺ إلى الوفود فيخاطب الوفود(٢)، وكان يخاطبهم في مَغيبه.

---

(١) تاريخ خليفة بن خياط (ص٥٥).

(٢) كما في حديث جابر رضي الله عنه قال: «كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ جَاءَهُ وَفْدُ عَبْدِ القَيْسِ، فَتَكَلَّمَ بَعْضُهُمْ بِكَلَامٍ لَغَا فِي الكَلَامِ، فَالْتَفَتَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى أَبِي بَكْرٍ، وَقَالَ: يَا أَبَا بَكْرٍ، سَمِعْتَ مَا قَالُوا؟ قَالَ: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَفَهِمْتُهُ، قَالَ: فَأَجِبْهُمْ.
قَالَ: فَأَجَابَهُمْ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه بِجَوَابٍ، وَأَجَادَ الجَوَابَ.
فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: يَا أَبَا بَكْرٍ، أَعْطَاكَ اللَّهُ الرِّضْوَانَ الأَكْبَرَ.
فَقَالَ لَهُ بَعْضُ القَوْمِ: وَمَا الرِّضْوَانُ الأَكْبَرُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟
قَالَ: يَتَجَلَّى اللَّهُ لِعِبَادِهِ فِي الآخِرَةِ عَامَّةً، وَيَتَجَلَّى لِأَبِي بَكْرٍ خَاصَّةً» رواه الحاكم في المستدرك (٣/ ٨٣)، رقم (٤٤٦٣).

ولَمَّا توفِّي رسول اللَّه ﷺ كان هو الذي خطب النَّاس[(١)][(٢)].



(١) كما في حديث ابن عبَّاس رضي الله عنهما الذي سبق تخريجه (ص١٨٢).

(٢) منهاج السُّنَّة النَّبويَّة (٤/ ١٥٧-١٥٩)، البداية والنهاية (٨/ ٧٣).

خُطْبَتُهُ بَعْدَ وَفَاةِ الرَّسُولِ ﷺ

كان عُمرُ ﵁ مِنْ أخطب النَّاس، وأبو بَكرٍ أَخْطَبُ منه، يعترف له عُمرُ بذلك.

وهو الذي خطب المسلمين، وكشف لهم عن موت النَّبيِّ ﷺ، وثَبَّت الإيمان في قلوب المسلمين حتى لا يضطرب النَّاس لعظيم المصيبة التي حلَّت بهم، ففي الصَّحيحَيْن[1]: عن ابن عبَّاسٍ ﵄: «أَنَّ أَبَا بَكْرٍ خَرَجَ وَعُمَرُ يُكَلِّمُ النَّاسَ، فَقَالَ: اجْلِسْ يَا عُمَرُ، فَأَبَى عُمَرُ أَنْ يَجْلِسَ، فَأَقْبَلَ النَّاسُ إِلَيْهِ، وَتَرَكُوا عُمَرَ.

فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَمَّا بَعْدُ؛ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يَعْبُدُ مُحَمَّداً ﷺ؛ فَإِنَّ مُحَمَّداً قَدْ مَاتَ، وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ؛ فَإِنَّ اللَّهَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ، قَالَ اللَّهُ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔاۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤].

قَالَ: وَاللَّهِ، لَكَأَنَّ النَّاسَ لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ هَذِهِ الآيَةَ حَتَّى تَلَاهَا أَبُو بَكْرٍ، فَتَلَقَّاهَا النَّاسُ كُلُّهُمْ، فَمَا أَسْمَعُ بَشَراً مِنَ النَّاسِ إِلَّا يَتْلُوهَا.

---

(١) سبق تخريجه (ص١٨٢).

قال الوالد ﵀: «وانظر: البداية والنهاية (٨/ ٧٥)».

فَأَخْبَرَنِي(١) ابْنُ الْمُسَيِّبِ أَنَّ عُمَرَ قَالَ: وَاللَّهِ، مَا هُوَ إِلَّا أَنْ سَمِعْتُ أَبَا بَكْرٍ تَلَاهَا فَعَقِرْتُ(٢) حَتَّى مَا تُقِلُّنِي(٣) رِجْلَايَ، وَحَتَّى أَهْوَيْتُ إِلَى الأَرْضِ حِينَ سَمِعْتُهُ تَلَاهَا؛ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَدْ مَاتَ»(٤).



(١) القائل هو: ابن شهاب الزُّهريُّ. فتح الباري لابن حجر (٨/ ١٤٦).

(٢) من العَقَر - بفتحتين -، وهو: أن تُسْلِم الرَّجُلَ قوائمُه من الخوف، وقيل: هو أن يفجأه الرَّوع فيُدهش، ولا يستطيع أن يتقدَّم أو يتأخَّر. النهاية في غريب الحديث والأثر (٣/ ٢٧٣).

(٣) أي: تحملني. القاموس المحيط (ص١٠٤٩).

(٤) منهاج السُّنَّة النَّبويَّة (٤/ ١٥٨، ٢٦٢)، (٣/ ٢١٥).

خُطْبَتُهُ يَوْمَ السَّقِيفَةِ

وخَطَب يوم السَّقيفة(١) خطبةً بليغةً انتفع بها الحاضرون كلُّهم، حتى قال عُمرُ: «كُنْتُ زَوَّرْتُ(٢) فِي نَفْسِي مَقَالَةً أَعْجَبَتْنِي أُرِيدُ أَنْ أُقَدِّمَهَا بَيْنَ يَدَيْ أَبِي بَكْرٍ، وَكُنْتُ أُدَارِي مِنْهُ بَعْضَ الحَدِّ(٣)، فَلَمَّا أَرَدْتُ أَنْ أَتَكَلَّمَ قَالَ أَبُو بَكْرٍ: عَلَى رِسْلِكَ، فَكَرِهْتُ أَنْ أُغْضِبَهُ، فَتَكَلَّمَ أَبُو بَكْرٍ - وَكَانَ أَحْلَمَ مِنِّي وَأَوْقَرَ -، وَاللَّهِ مَا تَرَكَ مِنْ كَلِمَةٍ أَعْجَبَتْنِي فِي تَزْوِيرِي إِلَّا قَالَ فِي بَدِيهَتِهِ مِثْلَهَا، أَوْ أَفْضَلَ مِنْهَا»(٤).



---

(١) يوم السَّقيفة: هو اليوم الذي اجتمع فيه المهاجرون والأنصار تحت سقيفة بني ساعدة بعد وفاة النَّبيِّ ﷺ؛ للتَّشاور لبيعة خليفة للمسلمين.
وسقيفة بني ساعدة: ظُلَّة لها سَقْفٌ كانوا يجلسون تحتها، وهي بمنزلة دار لهم، وموضعها: شمال غرب المسجد النَّبويِّ. السِّيرة النَّبويَّة لابن هشام (٢/ ٦٥٦)، الرَّوض الأُنُف (٧/ ٥٥١)، النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/ ٣٨٠)، معجم البلدان (٣/ ٢٢٨)، لسان العرب (٣/ ٢١٨)، المعالم الأثيرة (ص٣٠).

(٢) قال الوالد ﷺ: «زوَّرتُ: هَيَّأت وأَصْلَحْت، والتَّزوير: إصلاح الشَّيء، وكلام مزوَّرٌ؛ أي: مُحَسَّن. النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/ ٣١٨)».

(٣) أي: أدفعُ عنه بعض ما يعتري له من الغَضَب ونحوه. عمدة القاري (٢٤/ ١١).
قال الوالد ﷺ: «بعض الحَدِّ: الحِدَّة كالنَّشاط والسُّرعة في الأمور والمَضاء فيه، مأخوذة من حَدِّ السَّيف.
والحَدُّ والحِدَّةُ: سواءٌ من الغضب، يقال حَدَّ يَحِدُّ حَدّاً وحِدَّةً: إذا غَضِب. النهاية في غريب الحديث والأثر (١/ ٣٥٢-٣٥٣)».

(٤) منهاج السُّنَّة النَّبويَّة (٤/ ١٥٧، ١٥٨)، قال الوالد ﷺ: «ويأتي نَصُّها في قصَّة البيعة في السَّقيفة».

خُطْبَتُهُ بَعْدَ البَيْعَةِ(١)

قال ابن إسحاق: «حَدَّثني الزُّهريُّ، حَدَّثني أنس بن مالك رضي الله عنه قال: (لَمَّا بُويعَ أَبُو بَكْرٍ فِي السَّقِيفَةِ، وَكَانَ الغَدُ؛ جَلَسَ أَبُو بَكْرٍ عَلَى المِنْبَرِ - إِلَى أَنْ قَالَ -: فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ، أَيُّهَا النَّاسُ، فَإِنِّي قَدْ وُلِّيتُ عَلَيْكُمْ وَلَسْتُ بِخَيْرِكُمْ، فَإِنْ أَحْسَنْتُ فَأَعِينُونِي، وَإِنْ أَسَأْتُ فَقَوِّمُونِي.

الصِّدْقُ أَمَانَةٌ، وَالكَذِبُ خِيَانَةٌ، وَالضَّعِيفُ فِيكُمْ قَوِيٌّ عِنْدِي حَتَّى أُزِيحَ عِلَّتَهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، وَالقَوِيُّ فِيكُمْ ضَعِيفٌ حَتَّى آخُذَ الحَقَّ مِنْهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

لَا يَدَعُ قَوْمٌ الجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِلَّا ضَرَبَهُمُ اللَّهُ بِالذُّلِّ، وَلَا تَشِيعُ الفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ إِلَّا عَمَّهُمُ اللَّهُ بِالبَلَاءِ.

أَطِيعُونِي مَا أَطَعْتُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، فَإِذَا عَصَيْتُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَلَا طَاعَةَ لِي عَلَيْكُمْ؛ قُومُوا إِلَى صَلَاتِكُمْ يَرْحَمُكُمُ اللَّهُ)» وهذا إسنادٌ صَحيحٌ(٢).



(١) قال الوالد رحمه الله: «هذه الخطبة والخطبتان بعدها من البداية والنِّهاية لابن كثير، ولأهمِّيَّتها نَقلتُها».

(٢) البداية والنِّهاية (٩/ ٤١٥).

خُطْبَتُهُ لَمَّا حَصَلَتِ الرِّدَّةُ

روى ابن عساكر(١) من طريقَيْن: «عن شَبَابة بن سَوَّار(٢)، حَدَّثنا عيسى بن يزيد المدنيُّ(٣)، حَدَّثني صالح بن كَيْسَان(٤)، قال: (لَمَّا كَانَتِ الرِّدَّةُ قَامَ أَبُو بَكْرٍ فِي النَّاسِ، فَحَمِدَ اللَّهَ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ:

الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَى فَكَفَى، وَأَعْطَى فَأَغْنَى، إِنَّ اللَّهَ بَعَثَ مُحَمَّداً ﷺ وَالعِلْمُ شَرِيدٌ(٥)، وَالإِسْلَامُ غَرِيبٌ طَرِيدٌ(٦)، قَدْ رَثَّ(٧) حَبْلُهُ، وَخَلُقَ(٨) عَهْدُهُ، وَضَلَّ(٩) أَهْلُهُ مِنْهُ.

---

(١) في تاريخ دمشق (٣٠/ ٣١٧-٣١٨).
وابن عساكر هو: أبو القاسم عليُّ بن الحسن بن هبة اللَّه الدِّمشقيُّ الشَّافعيُّ، ولد سنة (٤٩٩هـ)، حافظ كبير، مُحَدِّث الشَّام، وصاحب التَّصانيف الكثيرة، توفي ﷺ سنة (٥٧١هـ). وفيات الأعيان (٣/ ٣٠٩)، تذكرة الحُفَّاظ للذهبي (٤/ ٨٢).

(٢) هو: أبو عمرو شَبَابة بن سَوَّار الفزاريُّ، ولد سنة (١٣٠هـ)، كان من كبار الأئمَّة؛ إلَّا أنَّه مرجئٌ، توفي ﷺ سنة (٢٠٦هـ). تهذيب الكمال (١٢/ ٣٤٣)، سير أعلام النبلاء (٩/ ٥١٣).

(٣) هو: عيسى بن يزيد بن بكر اللَّيثيُّ المدنيُّ، المعروف بـ«ابْن دَاب»، كان أخباريّاً نَسَّابة، توفي ﷺ سنة (١٧١هـ). معجم الأدباء (٥/ ٢١٤٤)، ميزان الاعتدال (٣/ ٣٢٧).

(٤) هو: أبو مُحمَّد - ويقال: أبو الحارث - صالح بن كَيْسَان المدنيُّ، إمامٌ حافظٌ ثقةٌ، كان مُؤَدِّب ولد عمر بن عبد العزيز، توفي ﷺ بعد سنة (١٤٠هـ). تهذيب الكمال (١٣/ ٧٩)، سير أعلام النبلاء (٥/ ٤٥٤).

(٥) أي: مُنفَّر. مقاييس اللغة (٣/ ٢٦٩).

(٦) أي: مُبعَد. الصحاح (٢/ ٥٠١).

(٧) أي: بَلِي. القاموس المحيط (ص١٦٩).

(٨) أي: قَدُمَ. الصحاح (٤/ ١٤٧٠).

(٩) أي: ضاع. مقاييس اللغة (٣/ ٣٥٦).

وَمَقَتَ اللَّهُ أَهْلَ الكِتَابِ، فَلَا يُعْطِيهِمْ خَيْراً لِخَيْرٍ عِنْدَهُمْ، وَلَا يَصْرِفُ عَنْهُمْ شَرّاً لِشَرٍّ عِنْدَهُمْ؛ قَدْ غَيَّرُوا كِتَابَهُمْ، وَأَلْحَقُوا فِيهِ مَا لَيْسَ مِنْهُ.

وَالعَرَبُ الآمِنُونَ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ فِي مَنَعَةٍ مِنَ اللَّهِ، لَا يَعْبُدُونَهُ وَلَا يَدْعُونَهُ، فَأَجْهَدَهُمْ عَيْشاً، وَأَضَلَّهُمْ دِيناً، فِي ظَلَفٍ مِنَ الأَرْضِ[1] مَعَ مَا فِيهِ مِنَ السَّحَابِ.

فَخَتَمَهُمُ اللَّهُ بِمُحَمَّدٍ، وَجَعَلَهُمُ الأُمَّةَ الوُسْطَى، نَصَرَهُمْ بِمَنِ اتَّبَعَهُمْ، وَنَصَرَهُمْ عَلَى غَيْرِهِمْ، حَتَّى قَبَضَ اللَّهُ نَبِيَّهُ ﷺ، فَرَكِبَ مِنْهُمُ الشَّيْطَانُ مَرْكَبَهُ الَّذِي أَنْزَلَهُ اللَّهُ عَنْهُ، وَأَخَذَ بِأَيْدِيهِمْ، وَبَغَى هَلَكَتَهُمْ[2]، ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔاۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤].

إِنَّ مَنْ حَوْلَكُمْ مِنَ العَرَبِ مَنَعُوا شَاتَهُمْ وَبَعِيرَهُمْ، وَلَمْ يَكُونُوا فِي دِينِهِمْ - وَإِنْ رَجَعُوا إِلَيْهِ - أَزْهَدَ مِنْهُمْ يَوْمَهُمْ هَذَا، وَلَمْ تَكُونُوا فِي دِينِكُمْ أَقْوَى مِنْكُمْ يَوْمَكُمْ هَذَا، عَلَى مَا قَدْ تَقَدَّمَ مِنْ بَرَكَةِ نَبِيِّكُمْ ﷺ، وَقَدْ وَكَلَكُمْ إِلَى المَوْلَى الكَافِي، الَّذِي وَجَدَهُ ضَالّاً فَهَدَاهُ، وَعَائِلاً فَأَغْنَاهُ ﴿وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَاۗ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

---

(١) أرضٌ ظَلْفة: أي: غليظة لا تُؤَدِّي أثراً. الصحاح (٤/ ١٣٩٩).
(٢) أي: أراد إهلاكهم. المصباح المنير (٢/ ٦٣٩).

وَاللَّهِ، لَا أَدَعُ أَنْ أُقَاتِلَ عَلَى أَمْرِ اللَّهِ حَتَّى يُنْجِزَ اللَّهُ وَعْدَهُ، وَيُوفِيَ لَنَا عَهْدَهُ، وَيُقْتَلَ مَنْ يُقْتَلُ مِنَّا شَهِيداً إِلَى الجَنَّةِ، وَيَبْقَى مَنْ بَقِيَ مِنَّا خَلِيفَتَهُ وَوَرَثَتَهُ فِي أَرْضِهِ، قَضَاءُ اللَّهِ الحَقُّ، وَقَوْلُهُ الَّذِي لَا خُلْفَ لَهُ، ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ الآيَةَ [النُّورِ:٥٥]، ثُمَّ نَزَلَ))»[١].



(١) البداية والنهاية (٩/ ٤٣٩).

خُطْبَتُهُ لَمَّا جَمَعَ الجُمُوعَ لِغَزْوِ أَهْلِ الكِتَابِ بِالشَّامِ

لَمَّا اجتمع عند الصِّدِّيق مِنَ الجيوش لغزو الشَّام ما أراد؛ قام في النَّاس خطيباً، فأثنى على اللَّه بما هو أهله، ثمَّ حثَّ النَّاس على الجهاد، فقال:

«أَلَا لِكُلِّ أَمْرٍ جَوَامِعُ، فَمَنْ بَلَغَهَا فَهِيَ حَسْبُهُ، وَمَنْ عَمِلَ لِلَّهِ كَفَاهُ اللَّهُ؛ عَلَيْكُمْ بِالجِدِّ وَالقَصْدِ، فَإِنَّ القَصْدَ أَبْلَغُ.

أَلَا إِنَّهُ لَا دِينَ لِأَحَدٍ لَا إِيمَانَ لَهُ، وَلَا إِيمَانَ لِمَنْ لَا خَشْيَةَ لَهُ، وَلَا عَمَلَ لِمَنْ لَا نِيَّةَ لَهُ.

أَلَا وَإِنَّ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الثَّوَابِ عَلَى الجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَمَا يَنْبَغِي لِلْمُسْلِمِ أَنْ يُحِبَّ أَنْ يُخَصَّ بِهِ؛ هِيَ التِّجَارَةُ الَّتِي دَلَّ اللَّهُ عَلَيْهَا، وَنَجَّى بِهَا مِنَ الخِزْيِ، وَأَلْحَقَ بِهَا الكَرَامَةَ»[١].



(١) البداية والنهاية (٩/ ٥٤٢).

أَفْضَلُ الأُمَّةِ بَعْدَ النَّبِيِّ ﷺ: أَبُو بَكْرٍ

فضَّل اللَّه النَّبِيِّين بعضهم على بعضٍ، وفضَّل الرُّسُل على غيرهم، وأُولُو العَزْمِ[1] أَفضلُ من سائر الرُّسل، وكذلك فضَّل السَّابقين الأوَّلين من المهاجرين والأنصار على غيرهم، وكلُّهم أولياء اللَّه، وكلُّهم في الجَنَّة، وقد رفع اللَّه درجات بعضهم على بعض.

أمَّهات الفضائل: العِلم، والدِّين، والشَّجاعة، والكرم، ورأس الفضائل: العِلْم؛ قال اللَّه تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩] ،وكلُّ مَنْ كان أفضل مِن غيره - من الأنبياء والصَّحابة وغيرهم - فإنَّه أعلم.

والأحاديث الصَّحيحة - مع الدَّلائل الكثيرة المُتعدِّدة - تُوجِب عِلماً ضروريّاً لمَنْ عَلِمَهَا: أنَّ أبا بَكرٍ كان أَحبَّ الصَّحابة إلى النَّبيِّ ﷺ، وأفضلَ عنده مِنْ عُمرَ وعُثمانَ وعَلِيٍّ وغَيرِهم، وكلُّ مَنْ كان بسُنَّة رسول اللَّه ﷺ وأحواله أَعلَم؛ كان بهذا أَعْرَف، وإنَّما يَستريب فيه مَنْ لا يَعرِف الأحاديث الصَّحيحة من الضَّعيفة؛ فإمَّا أن يُصَدِّق الكلَّ، أو يتوقَّف في الكلِّ.

---

(١) أُولُو العَزْمِ من الرُّسُل هم: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومُحمَّد عليهم الصَّلاة والسَّلام. مجموع فتاوى شيخ الإسلام (١/ ١٢).

فمِن الأحاديث الصَّحيحة: ما أخرج البخاريُّ[١] ومُسلمٌ[٢] عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: «كُنَّا نَقُولُ - وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَيٌّ -: أَفْضَلُ أُمَّةِ النَّبِيِّ ﷺ بَعْدَهُ: أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرُ، ثُمَّ عُثْمَانُ».

وروى التِّرمذيُّ[٣] وغَيرُه[٤] مرفوعاً عن عَلِيٍّ رضي الله عنه، عن النَّبِيِّ ﷺ أنَّه قال: «هَذَانِ سَيِّدَا كُهُولِ أَهْلِ الجَنَّةِ[٥] مِنَ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ، لَا تُخْبِرْهُمَا يَا عَلِيُّ».

وفي الصَّحيح[٦]: أنَّ جنازة عمر لَمَّا وُضِعتْ جَاءَ عَلِيُّ بن أبي

---

(١) كتاب أصحاب النَّبيِّ ﷺ، باب فضل أبي بَكرٍ بعد النَّبيِّ ﷺ، رقم (٣٦٥٥)، ولفظه: «كُنَّا نُخَيِّرُ بَيْنَ النَّاسِ فِي زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ، فَنُخَيِّرُ أَبَا بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ، ثُمَّ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ رضي الله عنهم».

وأمَّا اللَّفظ الذي ذكره المصنِّف فقد: رواه أبو داود، كتاب السُّنَّة، باب في التَّفضيل، رقم (٤٦٢٨).

(٢) انفرد البخاري بروايته، ولم أقف عليه في مُسلم. وقد رَمَزَ المِزِّيُّ للحديث بأنَّه في البخاريِّ، ولم يرمز له بأنَّه في مُسلمٍ. تحفة الأشراف (٦/ ٢٥١).

(٣) أبواب المناقب، رقم (٣٦٦٥).

قال الوالد رحمه الله: «وخيثمة في (الصَّحابة)، قال التِّرمذيُّ: (غَريبٌ من هذا الوجه، وقد رُوِيَ هذا الحديث عن عَلِيٍّ من غير هذا الوجه)، ورواه خَيْثَمَةُ وابن شاهين في السُّنَّة من طريق الحارث عن عَلِيٍّ، ورواه ابن أبي عاصم في السُّنَّة من طريق خطَّابٍ أو أبي خطَّابٍ. اهـ. كنز العمال (١٣/ ٦)».

(٤) كأحمد في المسند، رقم (٦٠٢)، وابن ماجه، فضل أبي بَكرٍ الصِّدِّيق رضي الله عنه، رقم (٩٥).

(٥) قال الوالد رحمه الله: «اعتبرَ ما كانوا عليه في الدُّنيا؛ وإلَّا فليس في الجنَّة كهلٌ. شرح الطِّيبي على مشكاة المصابيح (١٢/ ٣٨٦٩)».

(٦) رواه البخاري، كتاب أصحاب النَّبيِّ ﷺ، باب مناقب عمر بن الخطَّاب أبي حفص القُرَشيِّ العَدَويِّ رضي الله عنه، رقم (٣٦٨٥)، ومسلم، كتاب فضائل الصَّحابة رضي الله عنهم، باب مِنْ فضائل عمر رضي الله عنه، رقم (٢٣٨٩)، من حديث ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما.

طالبٍ يَتخلَّل الصُّفوف، ثمَّ قال: «إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَجْعَلَكَ اللَّهُ مَعَ صَاحِبَيْكَ، فَإِنِّي كَثِيراً مَا كُنْتُ أَسْمَعُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: دَخَلْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، وَذَهَبْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ».

فهذا يُبيِّنُ ملازمتهما للنَّبيِّ ﷺ في مدخله ومخرجه وذهابه، ولهذا قال مالكٌ للرَّشيد[١] - لَمَّا قال له: «يا أبا عبد اللَّه، أخبرني عن منزلة أبي بكر وعمر من النَّبيِّ ﷺ»، فقال -: «يا أمير المؤمنين، مَنْزِلَتُهُما منه في حياته كمَنْزِلَتِهِما منه بعد وفاته، قال: شَفَيْتَنِي يا مالكُ، شَفَيْتَنِي يا مالكُ»[٢].

وتواتر عن أمير المؤمنين عَلِيِّ بن أبي طالبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّه قال: «خَيْرُ هَذِهِ الأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا: أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرُ»[٣]، وقد رُوِيَ هذا عنه مِنْ طُرُق كثيرة، قيل: إنَّها تبلغ ثمانين طريقاً[٤].

وقد روى البُخاريُّ عنه في صَحيحِه مِنْ طريق الهَمْدانيِّين الذين هم أَخصُّ النَّاس بعليٍّ، حتى كان يقول[٥]:

---

(١) هو: أبو جعفر هارون الرَّشيد بن مُحمَّد المهدي بن أبي جعفر المنصور الهاشميُّ، الخليفة العبَّاسيُّ، ولد سنة (١٤٨هـ)، كان من أنبل الخلفاء، وأحشم الملوك، توفي رَحِمَهُ اللَّهُ سنة (١٩٣هـ). تاريخ بغداد (١٦/ ٩)، سير أعلام النبلاء (٩/ ٢٨٦).

(٢) رواه اللَّالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة (٧/ ١٣٧٨)، رقم (٢٤٦١).

(٣) رواه أحمد في المسند، رقم (٨٣٤).

(٤) تاريخ الإسلام (٢/ ٦٠)، محض الصَّواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطَّاب (١/ ٢٤٤).

(٥) أي: عليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

لَـوْ كُـنْـتُ بَـوَّابـاً عَـلَـى بَـابِ جَـنَّـةٍ   لَقُلْتُ لِهَمْدَانَ[١]: ادْخُلِي بِسَلَامِ[٢]

رواه البخاريُّ[٣] من طريق سفيان الثَّوريِّ[٤] - وهو همْدانيٌّ -، عن منذرٍ[٥] - وهو همْدانيٌّ -، عن مُحمَّد بن الحَنفيَّة[٦]، قال: «قُلْتُ لِأَبِي: أَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَ: أَبُو بَكْرٍ، قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: ثُمَّ عُمَرُ»، وهذا يقوله لابنه بَينَه وبَينَه، وليس هو ممَّا يَجوزُ أنْ يَقولَه تَقيَّةً، ويَروِيه عن أَبيه خاصَّة، وقاله عَلَى المنبر[٧]، ورُوِي عنه أنَّه سمع ذلك من النَّبيِّ ﷺ[٨].

---

(١) هَمْدان: بَطْنٌ من كهلان من القحطانيَّة، وهم: بنو هَمْدان بن مالك بن زيد بن أوسلة بن ربيعة بن الجبار بن زيد بن كهلان. نهاية الأَرَب في معرفة أنساب العرب (ص٤٣٨).

(٢) التَّاريخ الكبير لابن أبي خيثمة (٣/ ١٧٢).

(٣) كتاب أصحاب النَّبيِّ ﷺ، باب قول النَّبيِّ ﷺ: «لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذاً خَلِيلاً»، رقم (٣٦٧١).
قال الوالد رحمه الله: «وفيه - بعد قوله: (ثُمَّ عُمَرُ) -: (وَخَشِيتُ أَنْ يَقُولَ: عُثْمَانُ، قُلْتُ: ثُمَّ أَنْتَ؟ قَالَ: مَا أَنَا إِلَّا رَجُلٌ مِنَ المُسْلِمِينَ)، وأخرجه ابن عساكر عن عَلِيٍّ، وقال: (المحفوظ أنَّه مَوقوفٌ) كنز العمال (١٣/ ٢٠)، رقم (٣٦١٣٩)».

(٤) هو: أبو عبد اللَّه سفيان بن سعيد بن مسروق الثَّوريُّ، ولد سنة (٩٧هـ)، إمام الحُفَّاظ، وسيِّد العلماء العاملين في زمانه، توفي رحمه الله سنة (١٦١هـ). وفيات الأعيان (٢/ ٣٨٦)، سير أعلام النبلاء (٧/ ٢٢٩).

(٥) هو: أبو يعلى المنذر بن يعلى الثَّوريُّ الكوفيُّ، ثقةٌ قليل الحديث. تهذيب الكمال (٢٨/ ٥١٦)، تقريب التهذيب (ص٥٤٦).

(٦) هو: أبو القاسم مُحمَّد بن عليِّ بن أبي طالبٍ القُرشيُّ، ولد في العام الذي مات فيه أبو بكرٍ رضي الله عنه، سيِّدٌ إمامٌ، يُنسَب لأُمِّه: خولة بنت جعفر الحَنَفِيَّة، توفي رحمه الله سنة (٨٠هـ). تهذيب الكمال (٢٦/ ١٤٧)، سير أعلام النبلاء (٤/ ١١٠).

(٧) رواه أحمد في المسند، رقم (٨٣٤)، من حديث وهب بن عبد اللَّه السُّوَائِيِّ رضي الله عنه.

(٨) السُّنَّة لابن أبي عاصم (٢/ ٥٦٩)،الطيوريات (١/ ٩٩).

ولا ريب أنَّ عَلِيّاً لا يقطع بذلك إلَّا عن عِلْمٍ، وهو الذي يليق بعَلِيٍّ رضي الله عنه؛ فإنَّه من أعلمِ الصَّحابة بحقِّ أبي بَكرٍ وعُمرَ، وأَعْرَف بمكانهما من الإسلام، وحُسْن تأثيرهما في الدِّين، حتى إنَّه تمنَّى أن يلقى اللَّه بمثل عمل عَمرَ رضي اللَّه عنهم أجمعين، وقد سَمَّى عَلِيٌّ رضي الله عنه ابنَيْه: أبا بَكرٍ، وعُمرَ.

وكان عليٌّ رضي الله عنه يقول: «لَا أُوتَى بِأَحَدٍ يُفَضِّلُنِي عَلَى أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ إِلَّا جَلَدْتُهُ جَلْدَ المُفْتَرِي»(١)، وليس هذا من باب التَّواضع؛ فالمتواضع لا يجوز أنْ يَتقدَّم بعقوبة مَنْ يُفَضِّله بقول الحقِّ، ولا يُسمِّيه مفترياً.

والمتواتر عن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما: أنَّه كان يفضِّل أبا بَكرٍ وعُمرَ على عَلِيٍّ(٢).

وروى ابن بَطَّة بسنده(٣) قال: «سَمِعْتُ لَيْثَ بْنَ أَبِي سُلَيْمٍ(٤) يَقُولُ: أَدْرَكْتُ الشِّيعَةَ الأُولَى وَمَا يُفَضِّلُونَ عَلَى أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ أَحَداً».

---

(١) رواه أحمد في فضائل الصَّحابة (١/ ٨٣)، رقم (٤٩)، وعبد اللَّه بن الإمام أحمد في السُّنَّة (٢/ ٥٦٢)، رقم (١٣١٢).

(٢) كما ثبت عنه رضي الله عنه أنَّه كان يُفتِي بقَولَيْهِما مُقدِّماً لهما على عَلِيٍّ وغَيرِه، حيث روى الدَّارميُّ، باب الفُتْيَا وما فيه من الشِّدَّة، رقم (١٦٨)، عن عبيد اللَّه بن أبي يزيد قال: «كَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما إِذَا سُئِلَ عَنِ الأَمْرِ فَكَانَ فِي القُرْآنِ أَخْبَرَ بِهِ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِي القُرْآنِ وَكَانَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَخْبَرَ بِهِ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ، فَعَنْ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ رضي الله عنهما، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ، قَالَ فِيهِ بِرَأْيِهِ».

(٣) لم أقف عليه، وقد رواه اللَّالكائيُّ في شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة (٧/ ١٣٨١)، رقم (٢٤٧١).

(٤) هو: أبو بكر ليث بن أبي سليم بن زُنَيم الأمويُّ مولاهم، ولد بعد (٦٠هـ)، مُحَدِّثُ الكوفة، على لينٍ في حديثه؛ لِنَقْصِ حِفظِه، توفي رحمه الله سنة (١٣٨هـ). سير أعلام النبلاء (٦/ ١٧٩)، تهذيب التهذيب (٨/ ٤٦٥).

وقال شريك بن أبي نمر(١) وقال له قائل: «أَيُّهُمَا أَفْضَلُ أَبُو بَكْرٍ، أَوْ عَلِيٌّ؟ قَالَ لَهُ: أَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ لَهُ السَّائِلُ: تَقُولُ هَذَا وَأَنْتَ مِنَ الشِّيعَةِ؟!

فَقَالَ: نَعَمْ، إِنَّمَا الشِّيعِيُّ مَنْ يَقُولُ هَذَا، وَاللَّهِ لَقَدْ رَقِيَ عَلِيٌّ هَذِهِ الأَعْوَادَ، فَقَالَ: (أَلَا إِنَّ خَيْرَ هَذِهِ الأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا: أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ)، أَفَكُنَّا نَرُدُّ عَلَيْهِ قَوْلَهُ؟! أَفَكُنَّا نُكَذِّبُهُ؟! وَاللَّهِ، مَا كَانَ كَذَّاباً»، وذكر هذا القاضي عبد الجبَّار(٢)، وعزاه إلى كتاب أبي القاسم البلخيِّ(٣).

وقال الشَّيخ رحمه الله(٤) - بعد أنْ ذكر آية ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة:٤٠] -: «ولكن ليس في هذا ما يدلُّ على أنَّ عليّاً، أو

(١) هو: أبو عبد اللَّه شريك بن عبد اللَّه بن أبي نَمِرٍ المَدَنيُّ، مُحَدِّثٌ، قال ابن حجر: «صدوق يُخطِئ»، توفي رحمه الله قبل (١٤٠هـ). سير أعلام النبلاء (٦/ ١٥٩)، تقريب التهذيب (ص٢٦٦).

(٢) تثبيت دلائل النُّبوَّة (١/ ٦٣).

والقاضي عبد الجبَّار هو: أبو الحسين عبد الجبَّار بن أحمد بن عبد الجبَّار، القاضي الأسداباذيُّ - ويقال: الهمذانيُّ أيضاً -، الشَّافعيُّ، شيخ المعتزلة، وصاحب التَّصانيف، توفي سنة (٤١٥هـ). طبقات الفقهاء الشَّافعيَّة (١/ ٥٢٣)، تاريخ الإسلام (٩/ ٢٥٤).

(٣) هو: أبو القاسم عبد اللَّه بن أحمد بن محمود البلخيُّ، المعروف بالكعبيِّ، شيخ المعتزلة، من نظراء أبي عليٍّ الجُبَّائيِّ، وله مقالات واختيارات، توفي سنة (٣٢٩هـ). وفيات الأعيان (٣/ ٤٥)، سير أعلام النبلاء (١٤/ ٣١٣).

قال الوالد رحمه الله: «وحكى أبو منصور البغداديُّ إجماع أهل السُّنَّة على أنَّ أفضل النَّاس بعد رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم أبو بَكرٍ، ثمَّ عمرُ، ثمَّ عُثمانُ، ثمَّ عَلِيٌّ، ثمَّ سَائرُ العشرة، ثمَّ باقي أهل بَدرٍ، ثمَّ باقي أهل أُحُدٍ، ثمَّ باقي أهل البَيْعَة - بيعة الرِّضوان - ثمَّ باقي الصَّحابة. تاريخ الخلفاء للسُّيوطيِّ (ص٣٨، ٣٩)».

(٤) أي: شيخ الإسلام ابن تيميَّة رحمه الله.

عُثمانَ، أو عُمرَ، أو غَيرَهم؛ أَفضلُ من أبي بَكرٍ؛ لأنَّهم لم يكونوا مع النَّبيِّ ﷺ في هذه الحال، ولو كانوا معه لم يُعْلَم أنَّ حالهم سيكون أكمل من حال الصِّدِّيق.

بل المعروف مِنْ حالهم دائماً وحاله أنَّهم وقت المخاوف يكون الصِّدِّيق أكمل منهم كلِّهم يقيناً وصبراً، وعند وجود أسباب الرَّيب يكون الصِّدِّيق أعظم يقيناً وطمأنينة، وعند ما يتأذَّى منه النَّبيُّ ﷺ يكون الصِّدِّيق أتبعهم لمرضاته، وأبعدهم عمَّا يؤذيه، هذا هو المعلوم لكلِّ مَن استقرأ أحوالهم في مَحْيا رسول اللَّه ﷺ وبعد وفاته»(١).



(١) منهاج السُّنَّة النَّبويَّة (٤/ ٢٩٧، ٢٧٦، ٢٦١، ٢٤٦، ١٤٠، ١٣٨، ٢٠٢، ١٣٥، ١٣٧، ١٠٢، ٦٣)، (٣/ ١٦١، ١٦٢، ١٦٥، ٢٤٦)، (٢/ ١٨٢)، مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٤/ ٤٢١-٤٢٦)، (١/ ٢٢٤).

كُلُّ مَدْحٍ وَثَنَاءٍ فِي القُرْآنِ فَهُوَ أَوَّلُ دَاخِلٍ فِيهِ

وفي الجملة: كلُّ ما في القرآن من خطاب «المؤمنين»، و«المُتَّقين»، و«المُحسنِين» ومَدحِهم؛ فهو أوَّل مَنْ دخل في ذلك من هذه الأمَّة، وأَفضلُ مَنْ دخل في ذلك من هذه الأمَّة، فعُلِم أنَّه أَفضلُ الأمَّة، كما استفاض عن النَّبيِّ ﷺ مِنْ غير وجهٍ أنَّه قال: «خَيْرُ القُرُونِ: القَرْنُ الَّذِي جِئْتُ فِيهِ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ»[1].

﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [الزمر: ٣٣]، الأشهر عند أهل التَّفسير: أنَّ الذي جاء بالصِّدْق: مُحمَّد ﷺ، والذي صدَّق به: أبو بَكرٍ رضي الله عنه، وقال بهذا طائفة، وذكره الطَّبريُّ بإسناده إلى عَلِيٍّ رضي الله عنه[2].

وفي هذا حكاية ذكَرَها بعضهم عن أبي بَكرٍ عبد العزيز بن جعفر[3] - غلام أبي بَكرٍ الخلَّال[4] -: أنَّ سائلاً سأله عن هذه الآية،

(١) سبق تخريجه (ص١٠٧).

(٢) قال الوالد رحمه الله: «قال: حَدَّثني أحمد بن منصور، قال: ثنا أحمد بن مصعد المَروزيُّ، قال: ثنا عمر بن إبراهيم بن خالد، عن عبد الملك بن عمير، عن أسيد بن صفوان، عن عَلِيٍّ رضي الله عنه في قوله: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ﴾ قال: (مُحَمَّدٌ ﷺ)، ﴿وَصَدَّقَ بِهِۦٓ﴾ [الزمر: ٣٣] قال: (أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه) اهـ. تفسير الطَّبري (٢٠/ ٢٠٤)».

(٣) هو: أبو بكر عبد العزيز بن جعفر بن أحمد البغداديُّ، الحنبليُّ، المعروف بـ«غلام الخَلَّال»، ولد سنة (٢٨٥هـ)، كان أحد أهل الفهم، موثوقاً به في العِلم، توفي رحمه الله سنة (٣٦٣هـ). طبقات الحنابلة (٢/ ١١٩)، سير أعلام النبلاء (١٦/ ١٤٣).

(٤) هو: أبو بكر أحمد بن مُحمَّد بن هارون البغداديُّ، الحنبليُّ، المعروف بـ«الخَلَّال»، =

فقال له - أو بعضُ الحاضرين -: «نَزَلَتْ فِي أَبِي بَكْرٍ، فَقَالَ السَّائِلُ: بَلْ فِي عَلِيٍّ، فَقَالَ أَبُو بَكْرِ بْنُ جَعْفَرٍ: اقْرَأْ مَا بَعْدَهَا: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ * لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ * لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟﴾ الآيَةَ [الزمر: ٣٣-٣٥]؛ فَبُهِتَ السَّائِلُ»[١].

ولفظ الآية مُطلَقٌ لا يَختصُّ بأبي بَكرٍ ولا بعَلِيٍّ؛ بل كلُّ مَنْ دخل في عمومها دخل في حُكمِها، ولا رَيْبَ أنَّ أبا بَكرٍ، وعُمرَ، وعُثمانَ، وعَلِيّاً أحقُّ هذه الأمَّة بالدُّخول فيها؛ لكنَّها لا تَختصُّ بهم؛ فما فيها من مدح فهو يشتمل على الصَّحابة؛ فإنَّهم جاؤوا بالصِّدق وصدَّقوا به، وهم من أعظم أهل الأرض دخولاً في ذلك.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩]، وأبو بكرٍ رضي الله عنه قد ثَبَتَ أنَّه صِدِّيقٌ بالأدلَّة الكثيرة[٢]، فيجب أنْ تتناوله الآية قطعاً، وأنْ تكون معه؛ بل تناولُها له أَوْلَى مِنْ تناولِها لغيرِه من الصَّحابة، وهذه الآية نزلت في كعبِ بن مالكٍ رضي الله عنه لَمَّا تَخلَّف عن غزوة تبوك[٣]، وصَدَق النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم في أنَّه لم يكن له عذر، وتاب اللَّه

= ولد سنة (٢٣٤هـ)، حافظ فقيه، شيخُ الحنابلة وعالمُهم، وصاحب التَّصانيف النَّافعة؛ منها: «الجامع»، توفي رحمه الله سنة (٣١١هـ). طبقات الحنابلة (٢/ ١٢)، سير أعلام النبلاء (١٤/ ٢٩٧).

(١) قال الوالد رحمه الله: «لأنَّ السَّائل يَرَى أنَّ علياً نَشَأ في الإسلام، لم يُدرِك الجاهليَّة».
قلتُ: «ولم أقف على القِصَّة في غير منهاج السُّنَّة النَّبويَّة - ط جامعة الإمام - (٧/ ١٨٩)».

(٢) التي سبق ذكرها (ص١١٧).

(٣) وهي: آخر غزوة غزاها النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم سنة تسع من الهجرة (٩هـ)، وسُمِّيت بذلك؛ نسبة إلى =

عليه ببَرَكة الصِّدق[١][٢].



= المكان الذي عَسْكَر فيه النَّبيُّ ﷺ عشرة أيَّام. السِّيرة النَّبويَّة لابن هشام (٢/ ٥١٥).
وتبوك: مدينةٌ شمالَ غربِ المدينة المنوَّرة، تَبعدُ عنها ستَّ مئة وعشرين (٦٢٠) كيلومتراً. معجم ما استعجم (١/ ٣٠٣)، معجم البلدان (٢/ ١٤)، معجم المعالم الجغرافية (ص٥٩).

(١) تفسير الطَّبري (١٢/ ٦٥).

(٢) منهاج السُّنَّة النَّبويَّة (١/ ٢١٤)، (٤/ ٢٧٦، ٥١-٥٣، ٧٢).

خِصَالٌ اجْتَمَعَتْ فِيهِ فِي يَوْمٍ

ثَبَتَ في الصَّحيح[(١)] أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال لأَصحابِه: «مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمُ اليَوْمَ صَائِماً؟ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا.

قَالَ: فَمَنْ تبعَ مِنْكُمُ اليَوْمَ جَنَازَةً؟ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا.

قَالَ: هَلْ فِيكُمْ مَنْ عَادَ مَرِيضاً؟ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا.

قَالَ: هَلْ فِيكُمْ مَنْ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ؟ فقَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا.

قَالَ: مَا اجْتَمَعْنَ فِي امْرِئٍ إِلَّا دَخَلَ الجَنَّةَ»[(٢)]، وهذه الأربعة لم يُنقَل مثلها لعَلِيٍّ ولا غَيرِه في يوم[(٣)].



(١) رواه مسلم، كتاب فضائل الصَّحابة رضي الله عنهم، باب مِنْ فضائل أبي بَكرٍ الصِّدِّيق رضي الله عنه، رقم (١٠٢٨)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) قال الوالد رحمه الله: «وعبارة المنهاج: (مَا اجْتَمَعَ لِعَبْدٍ هَذِهِ الخِصَالُ إِلَّا وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ)».

(٣) منهاج السُّنَّة النَّبويَّة (٤/ ٤٤).

وَأَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الجَنَّةَ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ

روى أبو داود في سننه[(١)]: أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال لأبي بَكرٍ: «أَمَا إِنَّكَ يَا أَبَا بَكْرٍ أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي».

وأهل السُّنَّة عندهم: أنَّ أهلَ بَدرٍ كلَّهم في الجَنَّة، وكذلك أُمَّهات المؤمنين - عَائشةُ وغَيرُها -، وأبو بَكرٍ، وعُمرُ، وعُثمانُ، وعَلِيٌّ، وطَلحةُ، والزُّبَيْرُ هم سادات أهل الجَنَّة بعد الأنبياء[(٢)].



(١) كتاب السُّنَّة، باب الخلفاء، رقم (٤٦٥٢)، من حديث أبي هريرة ﷺ.
(٢) منهاج السُّنَّة النَّبويَّة (٤/ ٤٥).

وَيُدْعَى مِنْ أَبْوَابِهَا كُلِّهَا

في الصَّحيحين[١]: أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ[٢] فِي سَبِيلِ اللَّهِ دُعِيَ مِنْ أَبْوَابِ الجَنَّةِ: يَا عَبْدَ اللَّهِ، هَذَا خَيْرٌ، فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّلَاةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّلَاةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الجِهَادِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الجِهَادِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّدَقَةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّدَقَةِ، [وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصِّيَامِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصِّيَامِ وَبَابِ الرَّيَّانِ][٣].

فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: مَا عَلَى هَذَا الَّذِي يُدْعَى مِنْ تِلْكَ الأَبْوَابِ كُلِّهَا مِنْ ضَرُورَةٍ[٤]، فَهَلْ يُدْعَى أَحَدٌ مِنْ تِلْكَ الأَبْوَابِ كُلِّهَا؟![٥]

قَالَ: نَعَمْ، وَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ يَا أَبَا بَكْرٍ»، ولم يُذكَر هذا لغير أبي بَكرٍ رضي الله عنه[٦].



---

(١) رواه البخاري، كتاب الصَّوم، باب الرَّيَّان للصَّائمين، رقم (١٨٩٧)، ومسلم، كتاب الزَّكاة، باب مَنْ جمع الصَّدقة، وأعمال البرِّ، رقم (١٠٢٧)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) قال الوالد رحمه الله: «زوجين: شيئين» النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/ ٣١٧).

(٣) قال الوالد رحمه الله: «ما بين المعقوفتين ليس في المنهاج، ولكنَّه في الصَّحيح».

(٤) أي: ليس على أحد يُدْعَى من بابٍ من تلك الأبواب ضرورةٌ واحتياجٌ إن لم يُدْعَ من سائرِها؛ لحصول مراده وهو دخول الجَنَّة. شرح المصابيح (٢/ ٤٦٣)، عمدة القاري (١٦/ ١٨٣).
قال الوالد رحمه الله: «قال في الفتح: وفيه إشارة إلى أنَّ المراد: ما يُتَطَوَّع به من الأمور المذكورة» فتح الباري لابن حجر (٧/ ٢٨).

(٥) قال الوالد رحمه الله: «وفيه إشعار بقِلَّة مَن يُدْعَى من تلك الأبواب كلِّها. فتح الباري لابن حجر (٧/ ٢٨)».

(٦) منهاج السُّنَّة النَّبويَّة (٤/ ٤٤).

ثَنَاءُ عَائِشَةَ عَلَى أَبِيهَا

كانت عائشةُ رضي الله عنها مِنْ أَخطبِ النَّاس، حتى قال الأحنف بن قيس[(١)]: «سَمِعْتُ خُطْبَةَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ، فَمَا سَمِعْتُ الكَلَامَ مِنْ مَخْلُوقٍ أَفْحَمَ[(٢)] وَلَا أَحْسَنَ مِنْ عَائِشَةَ»[(٣)].

قالت عائشة رضي الله عنها في خُطبَتِها[(٤)]: «أَبِي، وَمَا أَبِيهِ! وَاللَّهِ لَا تَعْطُوهُ الأَيْدِي[(٥)]، ذَاكَ طَوْدٌ مُنِيفٌ[(٦)]، وَفَرْعٌ[(٧)] مَدِيدٌ، هَيْهَاتَ! كَذَبَتِ الظُّنُونُ، أَنْجَحَ إِذْ أَكْدَيْتُمْ[(٨)]، وَسَبَقَ إِذْ وَنَيْتُمْ[(٩)] سَبْقَ الجَوَادِ إِذَا اسْتَوْلَى عَلَى

---

(١) هو: أبو بحر الضَّحَّاك بن قيس بن معاوية السَّعديُّ التَّميميُّ، والأحنف لقبٌ له، أَسلَم في حياة النَّبيِّ ﷺ، ووَفَدَ على عُمرَ رضي الله عنه، توفي رحمه الله سنة (٦٧هـ). الاستيعاب في معرفة الأصحاب (١/ ١٤٤)، سير أعلام النبلاء (٤/ ٨٦).

(٢) أي: مُسكِتاً في الخصومة. الصحاح (٥/ ٢٠٠٠).

(٣) رواه الحاكم في المستدرك (٤/ ١٢)، رقم (٦٧٣٢)، واللَّالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة (٨/ ١٥٢٢)، رقم (٢٧٦٧)، ولفظه عندهما: «أفخم» بدل: «أفحم».

(٤) قال الوالد رحمه الله: «لَمَّا بلغها أنَّ قوماً يَنالُون مِنْ أَبِيها رضي الله عنه؛ أرسلَتْ إلى أَزْفَلةٍ من النَّاس - جَمَاعة من النَّاس -، فلَمَّا حَضَرُوا أَسْدَلَتْ سِتارَها، وعَلَت وسادها، ثمَّ قالت: أَبِي، وَمَا أَبِيهِ! وَاللَّهِ لَا تَعْطُوهُ الأَيْدِي... إلخ».

(٥) قال الوالد رحمه الله: «أي: لا تناله الأيدي» غريب الحديث لابن قتيبة (٢/ ٤٧٦).

(٦) قال الوالد رحمه الله: «الطَّود: الجبل، والمُنِيف: المُشرِف» غريب الحديث لابن قتيبة (٢/ ٤٧٦).

(٧) الفَرْعُ: أعلى الشيء، وفَرْعُ القوم: شريفُهم. الصحاح (٣/ ١٢٥٦).

(٨) قال الوالد رحمه الله: «أي: ظَفِر إذ خبتم ولم تَظفَروا، وأصله: من حافر البئر ينتهي إلى كُدْيَة، فلا يُمكِنه الحفر فيتركه. النهاية في غريب الحديث والأثر (٤/ ١٥٦)».

(٩) قال الوالد رحمه الله: «فترتم وضعفتم» النهاية في غريب الحديث والأثر (٥/ ٢٣١).

الأَمَدِ[١]، فَتَى قُرَيْشٍ نَاشِئاً، وَكَهْفُهَا[٢] كَهْلاً، يَفُكُّ عَانِيَهَا[٣]، وَيَرِيشُ مُمْلِقَهَا[٤]، وَيَرْأَبُ شَعْبَهَا[٥]، وَيَلُمُّ شَعَثَهَا[٦]، حَتَّى حَلِيَتْهُ قُلُوبُهَا.

ثُمَّ اسْتَشْرَى فِي اللَّهِ[٧]، فَمَا بَرِحَتْ شَكِيمَتُهُ[٨] فِي ذَاتِ اللَّهِ تَعَالَى تَشْتَدُّ، حَتَّى اتَّخَذَ بِفِنَائِهِ مَسْجِداً يُحْيِي فِيهِ مَا أَمَاتَ المُبْطِلُونَ.

وَكَانَ رحمه الله غَزِيرَ الدَّمْعَةِ، وَقِيذَ الجَوَانِحِ[٩]، شَجِيَّ النَّشِيجِ[١٠]، فَتَتَقَصَّفُ عَلَيْهِ نِسْوَانُ مَكَّةَ وَوِلْدَانُهَا[١١]، يَسْخَرُونَ مِنْهُ وَيَسْتَهْزِئُونَ بِهِ، ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [البقرة: ١٥].

---

(١) قال الوالد رحمه الله: «الأمد: الغاية التي تُنْصَب للمتسابقين» لسان العرب (٣/ ٧٤).

(٢) أي: ملجؤها. الصحاح (٤/ ١٤٢٥).

(٣) يعني: أَسِيرها. غريب الحديث لابن قتيبة (٢/ ٤٧٧).

(٤) قال الوالد رحمه الله: «(يَرِيشُ): يُعطِي ويفضل، (المُمْلِقُ): الفقير» النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/ ٢٨٨).

(٥) قال الوالد رحمه الله: «الرَّأب: الجَمْع والشَّدُّ، يقال: رَأَبَ الصَّدْع: إذا شَعَبه، ورَأَبَ الشَّيء: إذا جَمَعَه وشَدَّه برِفْق» النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/ ١٧٦).

(٦) قال الوالد رحمه الله: «يَضُمُّ مُتَفرِّق أمر هذه الأمَّة وكَلِمتها» النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/ ٤٧٨).

(٧) قال الوالد رحمه الله: «(ثُمَّ اسْتَشْرَى) أي: جَدَّ وقَوِي واهتمَّ به، وقيل: هو مِنْ شَرِيَ البَرْقُ واسْتَشْرَى: إذا تتابع لَمَعَانُه. النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/ ٤٦٩)».

(٨) قال الوالد رحمه الله: «(فَمَا بَرِحَتْ شَكِيمَتُهُ) أي: شِدَّة نفسه، يقال: شديد الشَّكِيمة إذا كان عزيز النَّفْس أبيّاً قويّاً، وأَصلُه: مِنْ شكيمة اللِّجام، فإنَّ قوَّتها تدلُّ على قوَّة الفرس. النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/ ٤٩٧)».

(٩) قال الوالد رحمه الله: «أي: محزون القلب، كأنَّ الحزن قد كَسَره وضعفه، والجوانح تُجِنُّ القلب وتحويه، فأضافت الوقوذ إليها. النهاية في غريب الحديث والأثر (٥/ ٢١٣)».

(١٠) قال الوالد رحمه الله: «(شَجِيَّ النَّشِيجِ): الشَّجو: الحزن، وقد شَجِيَ يشجي فهو شَجٍ، والنَّشيج: الصَّوت يتردَّد في الحلق. النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/ ٤٤٧)».

(١١) قال الوالد رحمه الله: «كان رضي الله عنه يُصَلِّي ويَقرَأُ القرآن، فيتقصَّف عليه نساء المشركين وأبناؤُهم؛ أي: يَزْدَحِمُون» النهاية في غريب الحديث والأثر (٤/ ٧٣).

فَأَكْبَرَتْ ذَلِكَ رِجَالَاتُ قُرَيْشٍ فَحَنَتْ لَهُ قِسِيَّهَا(١)، وَفَوَّقَتْ لَهُ سِهَامَهَا(٢)، وَانْتَثَلُوهُ غَرَضاً(٣)، فَمَا فَلُّوا لَهُ صَفَاةً(٤)، وَلَا قَصَفُوا لَهُ قَنَاةً(٥)، وَمَرَّ عَلَى سِيسَائِهِ(٦)، حَتَّى إِذَا ضَرَبَ الدِّينُ بِجِرَانِهِ وَأَلْقَى بَرْكَهُ(٧)، وَرَسَتْ أَوْتَادُهُ، وَدَخَلَ النَّاسُ فِيهِ أَفْوَاجاً، وَمِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ أَرْسَالاً وَأَشْتَاتاً، اخْتَارَ اللَّهُ لِنَبِيِّهِ مَا عِنْدَهُ.

فَلَمَّا قَبَضَ اللَّهُ نَبِيَّهُ نَصَبَ الشَّيْطَانُ رُوَاقَهُ(٨)، وَمَدَّ طُنُبَهُ(٩)، وَنَصَبَ

---

(١) القِسِيُّ: جَمْع قوس، وحَنَا القوس يحنيها: إذا عطفها. تهذيب اللغة (٩/ ١٧٧)، منال الطَّالب (ص٥٦٧).

(٢) أي: جعلت لها أفواقاً، والفوق: موضع الوَتَر من السَّهم، وتريد بها: جَعْلَها في الأوتار عند الرَّمي. الصحاح (٤/ ١٥٤٥)، منال الطَّالب (ص٥٦٧).

(٣) قال الوالد رحمه الله: «نثلتُه ونصبتُه غَرَضاً، الغَرَض: ما يُقْصَد بالرَّمي» الصحاح (٣/ ١٠٩٣).

(٤) قال الوالد رحمه الله: «أي: كَسَروا له حجراً، كنَّت به عن قوَّته في الدِّين. النهاية في غريب الحديث والأثر (٣/ ٤٧٣)».

(٥) قال الوالد رحمه الله: «(وَلَا قَصَفُوا لَهُ قَنَاةً) أي: كسروا. النهاية في غريب الحديث والأثر (٤/ ٧٤)». والقناة: الرُّمح. الصحاح (٦/ ٢٤٦٨).
والمقصود: أنَّ أمره لم يَزَل قائماً. مجمع بحار الأنوار (٥/ ٥٨٨).

(٦) قال الوالد رحمه الله: «(عَلَى سِيسَائِهِ): على شدَّته وقوَّته، والسِّيسَاءُ: عظم الظَّهر وحده، تضربه العرب مثلاً في شدَّة الأمر» النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/ ٤٣٤).

(٧) قال الوالد رحمه الله: «(حَتَّى إِذَا ضَرَبَ الدِّينُ بِجِرَانِهِ) أي: قَرَّ قراره واستقام، كما أنَّ البعير إذا بَرَك واستراح مَدَّ عُنُقَه على الأرض. النهاية في غريب الحديث والأثر (١/ ٢٦٣)».

(٨) قال الوالد رحمه الله: «(ضَرَبَ الشَّيْطَانُ رُوَاقَهُ) الرُّواق: الرَّوْق، وهو: ما بين يدي البيت، وقيل: رُواق البيت: سماوته، وهي: الشُّقَّة تكون دون العليا، ومنه حديث الدَّجَّال: (فَيَضْرِبُ رُوَاقَهُ فَيَخْرُجُ إِلَيْهِ كُلُّ مُنَافِقٍ) أي: فسطاطه وقُبَّته وموضع جلوسه. النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/ ٢٧٨)».
قلتُ: «وحديث الدَّجَّال رواه مسلم، كتاب الفتن وأشراط السَّاعة، باب في خروج الدَّجَّال ومُكْثه في الأرض ونزول عيسى وقَتْله إيَّاه، رقم (٢٩٤٣)، من حديث أنس رضي الله عنه».

(٩) الطُّنُب: حبال يُشَدُّ بها. غريب الحديث لابن قتيبة (٢/ ١٢٨).

حَبَائِلَهُ؛ فَظَنَّ رِجَالٌ أَنْ قَدْ تَحَقَّقَتْ أَطْمَاعُهُمْ، وَلَاتَ حِينَ الَّذِي يَرْجُونَ، وَأَنَّى وَالصِّدِّيقُ بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ؟! فَقَامَ حَاسِراً مُشَمِّراً، فَجَمَعَ حَاشِيَتَهُ(١)، وَرَفَعَ قُطْرَيْهِ(٢)، فَرَدَّ نَشْرَ الإِسْلَامِ عَلَى غَرِّهِ(٣)، وَلَمَّ شَعَثَهُ بِطِبِّهِ، وَأَقَامَ أَوَدَهُ بِثِقَافِهِ(٤)، فَوَقَذَ النِّفَاقَ(٥) بِوَطْأَتِهِ، فَانْتَاشَ الدِّينَ بِنَعْشِهِ(٦).

فَلَمَّا أَرَاحَ الحَقَّ عَلَى أَهْلِهِ(٧)، وَقَرَّرَ الرُّؤُوسَ عَلَى كَوَاهِلِهَا(٨)،

---

(١) قال الوالد ﷺ: «حاشية كلِّ شيءٍ: جَانِبُه وطَرَفُه» النهاية في غريب الحديث والأثر (٤/ ٨٠).

(٢) قلتُ: «في المطبوع: (وَرَفَعَ فِطْرَتَهُ)، والمثبتُ هو الصَّواب، قال مجدُ الدِّين ابن الأثير: (أي: جمع جانبَيْه عن الانتشار والتَّبدُّد والتَّفَرُّق) النهاية في غريب الحديث والأثر (٤/ ٨٠)، وقال شهاب الدِّين النُّوَيريُّ: (معناه: تَحَزَّمَ للأمر وتأهَّبَ له) نهاية الأَرَب في فنون الأدب (٧/ ٢٣٢)».

(٣) قال الوالد ﷺ: «(فَرَدَّ نَشْرَ الإِسْلَامِ عَلَى غَرِّهِ) أي: على طَيِّه وكَسْرِه، يقال: اطو الثَّوب على غرِّه الأوَّل كما كان مطويّاً، أرادت: تدبيره أمور الرِّدَّة، ومقابلة دائها بدوائها. النهاية في غريب الحديث والأثر (٣/ ٣٥٧)».

(٤) قال الوالد ﷺ: «(وَأَقَامَ أَوَدَهُ بِثِقَافِهِ)، الأَوَدُ: العِوَج، والثِّقْف: تقويم المعوجِّ» النهاية في غريب الحديث والأثر (١/ ٧٩).

(٥) قال الوالد ﷺ: «(فَوَقَذَ النِّفَاقَ)، وفي رواية: (الشَّيطانَ)؛ أي: كسره ودمغه. النهاية في غريب الحديث والأثر (٥/ ٢١٣)».

(٦) قال الوالد ﷺ: «(فَانْتَاشَ الدِّينَ بِنَعْشِهِ) أي: استدركه بإقامته من مصرعه، ويُرْوَى: (انْتَاشَ الدِّينَ فَنَعَشَهُ) - بالفاء - على أنَّه فعل. النهاية في غريب الحديث والأثر (٥/ ٨١، ٨٢)».

(٧) قال الوالد ﷺ: «(فَلَمَّا أَرَاحَ الحَقَّ عَلَى أَهْلِهِ) أي: أعاد الزَّكاة التي منعتها العرب إلى مُستحقِّيها. أفاده بعض الشُّرَّاح» نهاية الأَرَب في فنون الأدب (٧/ ٢٣٣).

(٨) قال الوالد ﷺ: «(وَقَرَّرَ الرُّؤُوسَ عَلَى كَوَاهِلِهَا) أي: أثبتها في أماكنها، كأنَّها كانت مُشفية على الذَّهاب والهلاك، والكواهل: جَمْع كاهل، وهو مقدَّم أعلى الظَّهر. النهاية في غريب الحديث والأثر (٤/ ٢١٤)».

وَحَقَنَ الدِّمَاءَ فِي أُهُبِهَا[١]، أَتَتْهُ مَنِيَّتُهُ؛ فَسُدَّ ثَلْمُهُ[٢] بِنَظِيرِهِ فِي المَرْحَمَةِ، وَشَقِيقِهِ فِي السِّيرَةِ وَالمَعْدَلَةِ، ذَاكَ ابْنُ الخَطَّابِ، لِلَّهِ أُمٌّ حَفَلَتْ لَهُ وَدَرَّتْ عَلَيْهِ[٣]، لَقَدْ أَوْحَدَتْ بِهِ[٤]، فَفَنَّخَ الكَفَرَةَ وَدَيَّخَهَا[٥]، وَشَرَّدَ الشِّرْكَ شَذَرَ مَذَرَ[٦]، وَبَعَجَ الأَرْضَ وَبَخَعَهَا[٧]، فَقَاءَتْ أُكْلَهَا، وَلَفَظَتْ خَبِيئَهَا، تَرْأَمُهُ[٨] وَيَصُدُّ عَنْهَا، وَتَصَدَّى لَهُ فَيَأْبَاهَا، ثُمَّ وَرِعَ فِيهَا وَوَدَّعَهَا كَمَا صَحِبَهَا.

---

(١) قال الوالد ﵀: «(وَحَقَنَ الدِّمَاءَ فِي أُهُبِهَا) أي: في أجسادها. النهاية في غريب الحديث والأثر (١/ ٨٣)».

(٢) الثُّلْمَة: فُرْجَة المكسور والمهدوم. تاج العروس (٣١/ ٣٥٧).
والمراد: أنَّ موت أبي بَكرٍ ثُلْمَةٌ في الإسلام سَدَّها عمرُ بن الخطاب ﵄.

(٣) قال الوالد ﵀: «(حَفَلَتْ لَهُ وَدَرَّتْ عَلَيْهِ) أي: جَمَعَت اللَّبَن في ثَدْيِها له. النهاية في غريب الحديث والأثر (١/ ٤٠٩)».

(٤) قال الوالد ﵀: «(أَوْحَدَتْ بِهِ) أي: ولدته وحيداً فريداً لا نظير له. النهاية في غريب الحديث والأثر (٥/ ١٦٠)».

(٥) قال الوالد ﵀: «في حديث عائشة تَصِف عمر: (فَفَنَّخَ الكَفَرَةَ وَدَيَّخَهَا) أي: أَذلَّها وقَهَرَها، يقال: دَيَّخ ودَوَّخ بمعنىً وَاحدٍ. النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/ ١٤٧)».

(٦) قال الوالد ﵀: «(وَشَرَّدَ الشِّرْكَ شَذَرَ مَذَرَ) أي: فَرَّقه وبَدَّده في كلِّ وَجهٍ، ويُرْوَى بكسر الشِّين والميم وفتحها. النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/ ٤٥٣)».

(٧) قال الوالد ﵀: «(وَبَعَجَ الأَرْضَ وَبَخَعَهَا) أي: شقَّها وأذلَّها؛ كنَّت به عن فتوحاته، ومنه: حديث عمرو بن العاص في صفة عمر: (إِنَّ ابْنَ حَنْتَمَةَ بَعَجَتْ لَهُ الدُّنْيَا مِعَاهَا) أي معناها: كَشَفتْ له كنوزها بالفَيْءِ والغنائم، وحنتمة: أمُّه. النهاية في غريب الحديث والأثر (١/ ١٣٩)».
قلتُ: «وحديث عمرو بن العاص ﵁ رواه الزُّبَيْر بن بكار في الأخبار الموفقيات (ص١٩٠)، رقم (٣٢٢)».

(٨) قال الوالد ﵀: «(تَرْأَمُهُ) تريد الدُّنيا؛ أي: تعطف عليه، كما ترأم الأمُّ ولدها والنَّاقة حُوارَها فتشمُّه وتترشَّفه، وكلُّ مَنْ أَحبَّ شيئاً وأَلِفه فقد رأَمَه يرأمه. النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/ ١٧٦)».

فَأَرُونِي مَا تَرِيبُونَ، وَأَيَّ يَوْمَيْ أَبِي تَنْقِمُونَ، أَيَوْمَ إِقَامَتِهِ إِذْ عَدَلَ فِيكُمْ؟! أَمْ يَوْمَ ظَعْنِهِ إِذْ نَظَرَ لَكُمْ؟! أَقُولُ قَوْلِي هَذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ».

وقد روى هذه الخُطْبَة جعفر بن عون[(١)]، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة[(٢)]، وهؤلاء رواة الصَّحيحَيْن.

وقد رواها أبو أسامة[(٣)]، عن هشام بن عروة، عن أبيه، وبعضهم رواها عن هشام، ولم يذكر فيه عن عروة[(٤)(٥)].



(١) هو: أبو عون جعفر بن عون بن جعفر المَخزوميُّ العمريُّ، ولد سنة بضع عشرة ومئة، إمامٌ حافظٌ، مُحَدِّثُ الكوفة، توفي رحمه الله سنة (٢٠٧هـ). تهذيب الكمال (٥/ ٧٠)، سير أعلام النبلاء (٩/ ٤٣٩).

(٢) رواه أبو الحجَّاج الدِّمشقيُّ في عوالي هشام بن عروة وغيره (ص٣٩٢)، رقم (٣٢).

(٣) هو: أبو أسامة حمَّاد بن أسامة بن زيد الكوفيُّ، ولد في حدود سنة (١٢٠هـ)، حافظٌ ثَبْتٌ، كان من أئمَّة العِلم، توفي رحمه الله سنة (٢٠١هـ). تهذيب الكمال (٧/ ٢١٧)، سير أعلام النبلاء (٩/ ٢٧٧).

(٤) رواها الخطيب في تاريخ بغداد (١٦/ ٥٨٩)، وفيه: «حَدَّثنا أبو أسامة، عن هشام بن عروة، لا أدري ذَكَره عن أبيه أم لا، الشَّكُّ من أبي يعقوب - أحد الرُّواة في السَّنَد -».
وروى القصَّة أيضاً: الطَّبراني في المعجم الكبير (٢٣/ ١٨٤)، رقم (٣٠٠)، وإسناده: «حَدَّثنا عبد اللَّه بن مُحمَّد بن عمران الأصبهانيُّ، ثَنَا موسى بن عبد الرَّحمن بن مهديٍّ، ثَنَا عليُّ بن أحمد السَّدُوسيُّ، عن أبيه».

(٥) منهاج السُّنَّة النَّبويَّة (٣/ ١٦٣، ١٦٤).
قال الوالد رحمه الله: «وقد نَشَرَتْ هذه الخطبةَ دارُ الكتاب الجديد عام (١٤٠٠هـ)، وفي آخرها: (ثُمَّ أَقْبَلَتْ عَلَى النَّاسِ بِوَجْهِهَا، فَقَالَتْ: أَنْشُدُكُمُ اللَّهَ هَلْ أَنْكَرْتُمْ مِمَّا قُلْتُ شَيْئاً؟ قَالُوا: اللَّهُمَّ لَا)».

قَوْلُ عُمَرَ: «لَيْلَةٌ وَيَوْمٌ مِنْ أَبِي بَكْرٍ، خَيْرٌ مِنْ عُمَرَ وَآلِ عُمَرَ»

روى الطَّلَمَنْكيُّ[١] من حديث ميمون بن مهران[٢]، قال: «كَانَ أَبُو مُوسَى الأَشْعَرِيُّ[٣] إِذَا خَطَبَ بِالبَصْرَةِ[٤] يَوْمَ الجُمُعَةِ - وَكَانَ وَالِيَهَا - صَلَّى عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، ثُمَّ ثَنَّى بِعُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ يَدْعُو لَهُ.

فَقَامَ ضَبَّةُ بْنُ مِحْصَنٍ العَنَزِيُّ[٥] فَقَالَ: فَأَيْنَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرِ صَاحِبِهِ قَبْلَهُ، تُفَضِّلُهُ عَلَيْهِ - يَعْنِي: أَبَا بَكْرٍ رضي الله عنهما -؟! ثُمَّ قَعَدَ، فَلَمَّا فَعَلَ ذَلِكَ مِرَاراً أَمْحَكَهُ أَبُو مُوسَى[٦].

---

(١) هو: أبو عمر أحمد بن مُحمَّد بن عبد اللَّه المَعافِريُّ الطَّلَمَنكيُّ، المالكيُّ، ولد سنة (٣٤٠هـ)، إمام حافظ مُقرِئ مُحدِّث، توفي رحمه الله سنة (٤٢٩هـ). ترتيب المدارك (٨/ ٣٢)، طبقات علماء الحديث (٣/ ٢٩٣).

(٢) هو: أبو أيُّوب ميمون بن مهران الجزريُّ، ولد سنة (٤٠هـ)، إمامٌ حُجَّةٌ، توفي رحمه الله سنة (١١٧هـ). تهذيب الكمال (٢٩/ ٢١٠)، سير أعلام النبلاء (٥/ ٧١).

(٣) هو: أبو موسى عبد اللَّه بن قيس بن سليم الأشعريُّ رضي الله عنه، أَسلَم قديماً بمكَّة، واسْتَعْمَلَه النَّبيُّ ﷺ على بعض اليمن، توفي بالكوفة سنة (٤٢هـ). الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٤/ ١٧٦٢)، أُسْد الغابة في معرفة الصَّحابة (٣/ ٢٦٣).

(٤) البصرة: مدينةٌ جَنوبَ العراق، جنوبَ شرقِ بغداد، تَبعدُ عنها خمس مئة وثلاثين (٥٣٠) كيلومتراً. أحسن التَّقاسيم في معرفة الأقاليم (ص١١٤)، الرَّوض المعطار (ص١٠٥).

(٥) هو: أبو الشُّموس ضَبَّةُ بن مِحْصَن العَنَزيُّ البصريُّ، تابعيٌّ ثقة. إكمال تهذيب الكمال (٤/ ١٥١)، تقريب التهذيب (ص٢٧٩).

(٦) قال الوالد رحمه الله: «المَحْك: اللَّجاج، وقد مَحَكَ يَمحَك، وأَمْحَكه غيرُه. النهاية في غريب الحديث والأثر (٤/ ٣٠٣)».

فَكَتَبَ أَبُو مُوسَى إِلَى عُمَرَ رضي الله عنهما: أَنَّ ضَبَّةَ يَطْعَنُ عَلَيْنَا وَيَفْعَلُ، فَكَتَبَ عُمَرُ إِلَى ضَبَّةَ أَنْ يَخْرُجَ إِلَيْهِ، فَبَعَثَ بِهِ أَبُو مُوسَى.

فَلَمَّا قَدِمَ ضَبَّةُ المَدِينَةَ عَلَى عُمَرَ رضي الله عنه، فَقَالَ الحَاجِبُ: ضَبَّةُ العَنَزِيُّ بِالبَابِ.

فَأَذِنَ لَهُ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ قَالَ: لَا مَرْحَباً بِضَبَّةَ، وَلَا أَهْلاً.

قَالَ ضَبَّةُ: أَمَّا المَرْحَبُ فَمِنَ اللَّهِ تَعَالَى، وَأَمَّا الأَهْلُ فَلَا أَهْلَ وَلَا مَالَ، فَبِمَ اسْتَحْلَلْتَ إِشْخَاصِي(١) مِنْ مِصْرِي بِلَا ذَنْبٍ أَذْنَبْتُ، وَلَا شَيْءٍ أَتَيْتُ؟!

قَالَ: مَا الَّذِي شَجَرَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ عَامِلِكَ؟

قُلْتُ: الآنَ أُخْبِرُكَ يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ، إِنَّهُ كَانَ إِذَا خَطَبَ حَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَصَلَّى عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، ثُمَّ ثَنَّى يَدْعُو لَكَ، فَغَاضَبَنِي ذَلِكَ مِنْهُ، وَقُلْتُ: أَيْنَ أَنْتَ مِنْ صَاحِبِهِ، تُفَضِّلُهُ عَلَيْهِ؟! فَكَتَبَ إِلَيْكَ يَشْكُونِي.

قَالَ: فَانْدَفَعَ عُمَرُ رضي الله عنه بَاكِياً، وَهُوَ يَقُولُ: أَنْتَ وَاللَّهِ أَوْفَقُ مِنْهُ، وَأَرْشَدُ مِنْهُ؛ فَهَلْ أَنْتَ غَافِرٌ لِي ذَنْبِي، يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ؟

قُلْتُ: غَفَرَ اللَّهُ لَكَ يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ، ثُمَّ انْدَفَعَ بَاكِياً يَقُولُ: وَاللَّهِ لَلَيْلَةٌ مِنْ أَبِي بَكْرٍ وَيَوْمٌ، خَيْرٌ مِنْ عُمَرَ وَآلِ عُمَرَ، فَهَلْ لَكَ أَنْ أُحَدِّثَكَ بِلَيْلَتِهِ وَيَوْمِهِ؟

---

(١) أي: إذهابي. الصحاح (٣/ ١٠٤٣).

قُلْتُ: نَعَمْ يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ.

قَالَ: أَمَّا لَيْلَتُهُ: فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمَّا خَرَجَ مِنْ مَكَّةَ هَارِباً مِنَ المُشْرِكِينَ خَرَجَ لَيْلاً، فَتَبِعَهُ أَبُو بَكْرٍ، فَجَعَلَ يَمْشِي مَرَّةً أَمَامَهُ، وَمَرَّةً خَلْفَهُ، وَمَرَّةً عَنْ يَمِينِهِ، وَمَرَّةً عَنْ يَسَارِهِ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَا هَذَا يَا أَبَا بَكْرٍ؟! مَا أَعْرِفُ هَذَا مِنْ فِعْلِكَ.

فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَذْكُرُ الرَّصْدَ فَأَكُونُ أَمَامَكَ، وَأَذْكُرُ الطَّلَبَ فَأَكُونُ خَلْفَكَ، وَمَرَّةً عَنْ يَمِينِكَ، وَمَرَّةً عَنْ يَسَارِكَ، لَا آمَنُ عَلَيْكَ.

فَمَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى أَطْرَافِ أَصَابِعِهِ حَتَّى حَفِيَتْ.

فَلَمَّا رَأَى أَبُو بَكْرٍ أَنَّهَا حَفِيَتْ حَمَلَهُ عَلَى عَاتِقِهِ، حَتَّى أَتَى بِهِ فَمَ الغَارِ، فَأَنْزَلَهُ، ثُمَّ قَالَ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالحَقِّ، لَا تَدْخُلُهُ حَتَّى أَدْخُلَهُ، فَلَمَّا دَخَلَ وَجَدَ الصِّدِّيقُ أَجْحَارَ الأَفَاعِي، فَلَمَّا رَأَى أَبُو بَكْرٍ ذَلِكَ أَلْقَمَهُ عَقِبَهُ، فَجَعَلْنَ يَلْسَعْنَهُ أَوْ يَضْرِبْنَهُ، وَجَعَلَتْ دُمُوعُهُ تَتَحَادَرُ عَلَى خَدِّهِ مِنْ أَلَمِ مَا يَجِدُ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠]، فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ وَطُمَأْنِينَتَهُ عَلَى أَبِي بَكْرٍ.

فَهَذِهِ لَيْلَتُهُ.

وَأَمَّا يَوْمُهُ: فَلَمَّا تُوُفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ارْتَدَّتِ العَرَبُ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: نُصَلِّي وَلَا نُزَكِّي، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: نُزَكِّي وَلَا نُصَلِّي، فَأَتَيْتُهُ وَلَا آلُوهُ نُصْحاً[١]، فَقُلْتُ: يَا خَلِيفَةَ رَسُولِ اللَّهِ، تَأَلَّفِ النَّاسَ وَارْفُقْ بِهِمْ،

---

(١) أي: لم أُقَصِّر في نُصْحِه. لسان العرب (١٤/ ٤١).

فَقَالَ لِي: أَجَبَّارٌ[(١)] فِي الجَاهِلِيَّةِ وَخَوَّارٌ[(٢)] فِي الإِسْلَامِ؟! قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَارْتَفَعَ الوَحْيُ، وَاللَّهِ لَوْ مَنَعُونِي عِقَالاً كَانُوا يُعْطُونَهُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَقَاتَلْتُهُمْ عَلَيْهِ، فَكَانَ وَاللَّهِ رَشِيدَ الأَمْرِ، ثُمَّ كَتَبَ إِلَى أَبِي مُوسَى يَلُومُهُ».

وحديث ضَبَّة هذا مِنْ أشهر الأحاديث[(٣)(٤)].



(١) أي: عظيم. لسان العرب (٤/ ١١٤).

(٢) أي: ضعيف. لسان العرب (١/ ٤٩٣).

(٣) قال الوالد ﵀: «رواه الدِّينَوَرِيُّ في المجالسة (٥/ ٣٨٠)، رقم (٢٢٣٨)، وأبو الحسن ابن بشران في فوائده، والبيهقيُّ في الدَّلائل (٢/ ٤٧٦)، واللَّالكائيُّ في السُّنَّة (٧/ ١٣٥٤)، رقم (٢٤٢٦)، ورواه الحاكم في المستدرك (٣/ ٧)، رقم (٤٢٦٨)، وقال: صحيحٌ، وأقرَّه الذَّهبيُّ، وقال: صحيحٌ مرسلٌ، ولفظه: (ذُكِرَ رِجَالٌ عَلَى عَهْدِ عُمَرَ ﵁، فَكَأَنَّهُمْ فَضَّلُوا عُمَرَ عَلَى أَبِي بَكْرٍ ﵄...) الحديث، وهو بمعنى حديث ضَبَّة. كنز العمال (١٢/ ٤٩١ - ٤٩٤)».

(٤) منهاج السُّنَّة النَّبويَّة (٢/ ١٨٥، ١٨٦).

قال الوالد ﵀: «أمَّا ما قد يَستدِلُّ به أهل البدع من أحاديث - كحديث الغدير، وحديث المُباهَلَة، وقوله: (أَنْتَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى)، ونحو ذلك - على أفضليَّة عَلِيٍّ وأنَّه أَحقُّ بالخِلَافَة، فسأوردها في آخر الكتاب عند ذكر تَخلُّف عَلِيٍّ وبعض بني هَاشمٍ عن بيعة الصِّدِّيق في أوَّل الأمر إن شاء اللَّه تعالى» (ص٢٨٧) وما بعدها.

خِلَافَةُ الصِّدِّيقِ رضي الله عنه

الصِّدِّيقُ رضي الله عنه خَلَفُ الرَّسُولِ ﷺ وَهُوَ أَحَقُّ بِخِلافَتِهِ[(١)]

الخليفة هو: الذي يَخلُف غيرَه، وإن لم يَسْتَخْلِفْه - هذا هو المعروف في اللُّغة وقول الجمهور[(٢)] -، وقد يكون بمعنى: مَنِ اسْتَخْلَفَه غَيرُه[(٣)].

والخليفة لا يَصيرُ خَليفةً إلَّا مع مغيب المُسْتَخْلِف أو مَوْتِه؛ ولهذا لا يَصلُح أنْ يقال: إنَّ اللَّهَ يَسْتَخْلِف أحداً عنه؛ فإنَّه حيٌّ قيُّوم، مدبِّرٌ لعباده، منزَّه عن الموت والنَّوم والغَيبة.

واللَّهُ يُوصَف بأنَّه يَخلُف العبدَ؛ كما قال النَّبيُّ ﷺ: «اللَّهُمَّ أَنْتَ الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ، وَالخَلِيفَةُ فِي الأَهْلِ»[(٤)]، وقال في حديث الدَّجَّال: «وَاللَّهُ خَلِيفَتِي عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ»[(٥)].

وكلُّ مَنْ وصفه اللَّه بالخِلَافَة في القرآن فهو خليفة عن مخلوق كان قَبْلَه؛ كقوله: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ [يونس: ١٤]،

---

(١) قال الوالد رحمه الله: «الأدلَّة الكثيرة الآتي ذكرها تُبيِّن ذلك».

(٢) المحيط في اللغة (٤/ ٣٤٦)، الصحاح (٤/ ١٣٥٦).

(٣) الفصل في المِلَل والأهواء والنِّحَل (٤/ ٨٨).

(٤) رواه مسلم، كتاب الحجِّ، باب ما يقول إذا رَكب إلى سفر الحجِّ وغيره، رقم (١٣٤٢)، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٥) رواه مسلم، كتاب الفتن وأشراط السَّاعة، باب ذِكْر الدَّجَّال وصفته وما معه، رقم (٢٩٣٧)، من حديث النَّوَّاس بن سمعان رضي الله عنه.

﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ﴾ [الأعراف: ٦٩]، ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [النور: ٥٥]، وكذلك قوله: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠]؛ أي: عن خَلْق كان في الأرض قبل ذلك؛ كما ذكره المُفسِّرون(١) وغَيرُهم(٢).

وأمَّا ما يَظُنُّه طائفة من الاتِّحاديَّة(٣) وغَيرِهم: أنَّ الإنسانَ خَليفةُ اللَّه؛ فهذا جهل وضلال؛ ولهذا لَمَّا قيل لأبي بَكرٍ: «يا خليفة اللَّه»؛ قال: «لَسْتُ خَلِيفَةَ اللَّهِ؛ بَلْ خَلِيفَةُ رَسُولِ اللَّهِ، وَحَسْبِي ذَلِكَ»(٤)(٥).



(١) تفسير الطَّبري (١/ ٤٧٧)، تفسير الثَّعلبي (١/ ١٧٥).
(٢) العين (٤/ ٢٦٧)، البداية والنهاية (١/ ١٢٨).
(٣) الاتِّحاديَّة: طائفة تَدَّعِي أنَّ الوُجُود بأسْرِه - على اختلاف أنواعه وتَقَابُل أضداده - هو المعبود في زعمهم، فجعلوا اللَّه سبحانه هو عين هذا الوجود، وأصل هذا المذهب: إنكار مسألة المباينة والعُلُوِّ. مختصر الصواعق المرسلة (ص٤٩٥)، معارج القبول (١/ ٣٧٠)، موسوعة الفِرَق المنتسبة للإسلام (٨/ ٢٢٠).
(٤) رواه أحمد في المسند، رقم (٥٩)، عن ابن أبي مُلَيْكَة رحمه الله.
(٥) منهاج السُّنَّة النَّبويَّة (٤/ ٩٤)، (٢/ ٢٢٢).

خِلَافَةُ الصِّدِّيقِ حَقٌّ وَصَوَابٌ بِالنُّصُوصِ وَالإِجْمَاعِ

خلافة الصِّدِّيق دلَّت النُّصوص الكثيرة على أنَّها حقٌّ وصوابٌ، وهذا ممَّا لم يختلف العلماء فيه.

واختلفوا: هل انعقدت بالنَّصِّ الذي هو العهد - كخلافة عمر -، أو بالإجماع والاختيار[(١)]؟

والتَّحقيق في خلافة أبي بكر - وهو الذي يدلُّ عليه كلام أحمد[(٢)] -: أنَّها انعقدت باختيار الصَّحابة ومبايعتهم له، وأنَّ النَّبيَّ ﷺ أخبر بوقوعها على سبيل الحَمْد لها، والرِّضا بها، وأنَّه أمر بطاعته، وتفويض الأمر إليه، وأنَّه دلَّ الأمَّة وأرشدهم إلى بَيْعَته، فهذه الوجوه الثَّلاثة - الخبر، والأمر، والإرشاد - ثابتةٌ عن النَّبيِّ ﷺ.

---

(١) على قولين؛ **القول الأوَّل**: أنَّها ثَبَتَت بالنَّصِّ الخفي والإشارة، وهو رواية عن الإمام أحمد، ومذهب الحسن البصريِّ وجماعة من أصحاب الحديث، **والقول الثَّاني**: أنَّها ثَبَتَت بالإجماع والاختيار، وهو رواية عن الإمام أحمد، وعليه جمهور العلماء. منازل الأئمَّة الأربعة (ص١٣٧)، الغُنْيَة لطالبي طريق الحَقِّ (١/ ١٥٨-١٥٩)، شرح النووي على مسلم (١٥/ ١٥٤)، مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٣٥/ ٤٧).

قال الوالد رحمه الله: «وأمَّا قول الإماميَّة: إنَّها ثَبَتَت بالنَّصِّ الجَلِيِّ على عَلِيٍّ، وقول الزَّيديَّة والجاروديَّة: إنَّها بالنَّصِّ الخَفيِّ عليه، وقول الرَّاونديَّة: إنَّها بالنَّصِّ على العبَّاس؛ فهذه أقوال ظاهرةُ الفساد عند أهل العِلْم والدِّين، وإنَّما يدين بها إمَّا جاهل، وإمَّا ظالم، وكثير ممَّنْ يدين بها زنديق» مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٣٥/ ٤٧).

(٢) في فضائل الصَّحابة (١/ ١٣٢).

وهذه الوجوه الثَّلاثة الثَّابتةُ بالسُّنَّة دلَّ عليها القرآن[١].



(١) منهاج السُّنَّة النَّبويَّة (٤/ ٢٣٤)، مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٣٥/ ٤٧).
قال الوالد رحمه الله: «ويأتي (ص٢٦٨) ذِكْر الآيات الدَّالَّة على هذه الوجوه الثَّلاثة بعد ذِكْر الأحاديث الدَّالَّة عليها».

الوَجْهُ الأَوَّلُ: الخَبَرُ بِوُقُوعِهَا عَلَى سَبِيلِ الحَمْدِ لَهَا، وَالرِّضَا بِهَا

١ - قوله في الحديث الصَّحيح: «رَأَيْتُ كَأَنِّي أَنْزِعُ عَلَى قَلِيبٍ[(١)] فَأَخَذَهَا ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ فَنَزَعَ ذَنُوباً[(٢)] أَوْ ذَنُوبَيْنِ، وَفِي نَزْعِهِ ضَعْفٌ[(٣)] - وَاللَّهُ يَغْفِرُ لَهُ -، ثُمَّ أَخَذَهَا ابْنُ الخَطَّابِ فَاسْتَحَالَتْ غَرْباً[(٤)]، فَلَمْ أَرَ عَبْقَرِيّاً[(٥)] مِنَ النَّاس يَفْرِي فَرْيَهُ[(٦)] حَتَّى ضَرَبَ النَّاسُ بِعَطَنٍ[(٧)]»[(٨)].

فأخبر بأمور تستلزم صلاح الوُلَاة، وهذه وقعت في خلافة أبي بكرٍ وعمر[(٩)].

---

(١) أي: أستقي منه الماء باليد، والقليب: البئر التي لم تُطْوَ. النهاية في غريب الحديث والأثر (٤/ ٩٨)، (٥/ ٤١).

(٢) الذَّنوب: الدَّلو المليء من الماء. الزاهر في معاني كلمات الناس (٢/ ٣٩٤).

(٣) قال الوالد ﷺ: «هذا إشارة إلى قِلَّة سِنِيِّ خلافته» إكمال المُعْلِم بفوائد مسلم (٧/ ٣٩٦).

(٤) أي: رجعت وصارَت دلواً عظيمة، وتحوَّلت عن حالها من الصِّغر إلى الكبر. مشارق الأنوار (١/ ٢١٦).

(٥) أي: سيِّداً وقويّاً وكبيراً. النهاية في غريب الحديث والأثر (٣/ ١٧٣).

(٦) أي: يعمل عمله، ويقطع قطعه. النهاية في غريب الحديث والأثر (٣/ ٤٤٢).

(٧) قال الوالد ﷺ: «العَطَن: مبرك الإبل، يقول: حتى رويت الإبل، فأناخت؛ قاله وهب» عمدة القاري شرح صحيح البخاري (١٦/ ١٩١).

(٨) رواه البخاري، كتاب أصحاب النَّبيِّ ﷺ، باب مناقب عمر بن الخطَّاب أبي حفص القُرشيِّ العَدويِّ ﷺ، رقم (٣٦٨٢)، ومسلم، كتاب فضائل الصَّحابة ﷺ، باب من فضائل عمر ﷺ، رقم (٢٣٩٣)، من حديث ابن عمر ﷺ.

(٩) منهاج السُّنَّة النَّبويَّة (١/ ١٨٤)، (٣/ ٣٦٧).

٢ - وفي سنن أبي داود وغيره[١] من حديث الأشعثِ[٢]، عن الحسن، عن أبي بَكْرَة رضي الله عنه أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ رُؤْيَا؟ فَقَالَ رَجُلٌ: أَنَا؛ رَأَيْتُ كَأَنَّ مِيزَاناً نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ فَوُزِنْتَ أَنْتَ وَأَبُو بَكْرٍ؛ فَرَجَحْتَ أَنْتَ بِأَبِي بَكْرٍ، وَوُزِنَ عُمَرُ وَأَبُو بَكْرٍ؛ فَرَجَحَ أَبُو بَكْرٍ، وَوُزِنَ عُمَرُ وَعُثْمَانُ؛ فَرَجَحَ عُمَرُ، ثُمَّ رُفِعَ المِيزَانُ، فَرَأَيْنَا الكَرَاهِيَةَ فِي وَجْهِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ».

ورواه أيضاً من حديث حمَّاد بن سَلَمَة[٣]، عن عليِّ بن زيد ابن جُدْعَان[٤]، عن عبد الرَّحْمَن بن أبي بَكْرَة[٥]، عن أبيه مثله، ولم يَذْكُر الكراهية: «فَاسْتَاءَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - يَعْنِي: فَسَاءَهُ ذَلِكَ -، فَقَالَ: خِلَافَةُ نُبُوَّةٍ، ثُمَّ يُؤْتِي اللَّهُ المُلْكَ مَنْ يَشَاءُ»[٦].

---

(١) سبق تخريجه (ص١٦٢).

(٢) هو: أبو هانئ أشعث بن عبد الملك الحمرانيُّ البصريُّ، إمامٌ فقيهٌ ثقةٌ، توفي رحمه الله سنة (١٤٢هـ). تهذيب الكمال (٣/ ٢٧٧)، سير أعلام النبلاء (٦/ ٢٧٨).

(٣) هو: أبو سلمة حمَّاد بن سَلَمَة بن دينار الرَّبعيُّ البصريُّ، إمامٌ قدوةٌ، شيخُ الإسلام، توفي رحمه الله سنة (١٦٧هـ). تهذيب الكمال (٧/ ٢٥٣)، سير أعلام النبلاء (٧/ ٤٤٤).

(٤) هو: أبو الحسن عليُّ بن زيد بن عبد اللَّه التَّيميُّ البصريُّ، عالم البصرة، قال ابن حجر: «ضعيف»، توفي رحمه الله سنة (١٣١هـ). تذكرة الحُفَّاظ للذهبي (١/ ١٠٦)، تقريب التهذيب (ص٤٠١).

(٥) هو: أبو بحر عبد الرَّحْمَن بن أبي بَكْرَة نُفَيع بن الحارث الثَّقفيُّ البصريُّ، ولد سنة (١٤هـ)، تابعيٌّ ثقة، وهو أوَّل مولود ولد في الإسلام بالبصرة، توفي رحمه الله سنة (٩٦هـ). سير أعلام النبلاء (٤/ ٤١١)، تهذيب التهذيب (٦/ ١٤٨).

(٦) سبق تخريجه (ص١٦٢).

فبيَّن النَّبيُّ ﷺ أنَّ ولاية هؤلاء خلافةُ نُبُوَّة، ثمَّ بعد ذلك مُلك، وليس فيه ذكر عليٍّ؛ لأنَّه لم يجتمع النَّاس في زمانه؛ بل كانوا مختلفين، لم ينتظم فيه خلافة النُّبوَّة، ولا المُلك[1].

٣ - ما في الصَّحيحَيْن[2]: عن عائشة رضي الله عنها قالت: «قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي مَرَضِهِ: ادْعِي لِي أَبَا بَكْرٍ - أَبَاكِ -، وَأَخَاكِ، حَتَّى أَكْتُبَ كِتَاباً؛ فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ يَتَمَنَّى مُتَمَنٍّ، وَيَقُولَ قَائِلٌ: أَنَا أَوْلَى، وَيَأْبَى اللَّهُ وَالمُؤْمِنُونَ إِلَّا أَبَا بَكْرٍ»، فبيَّن ﷺ أنه يريد أن يكتب كتاباً خوفاً، ثمَّ عَلم أنَّ الأمر واضح ظاهر ليس ممَّا يقبل النِّزاع فيه، فترك ذلك؛ لعِلمه بأنَّ ظهور فضيلة أبي بكر واستحقاقه لهذا الأمر يُغنِي عن العهد.

٤ - وفي صحيح البخاريِّ[3]: أنَّ عائشة رضي الله عنها لَمَّا قالت: «وَا رَأْسَاهُ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: بَلْ أَنَا وَا رَأْسَاهُ، لَقَدْ هَمَمْتُ - أَوْ أَرَدْتُ - أَنْ أُرْسِلَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ وَابْنِهِ وَأَعْهَدَ؛ أَنْ يَقُولَ القَائِلُونَ أَوْ يَتَمَنَّى المُتَمَنُّونَ، ثُمَّ قُلْتُ: يَأْبَى اللَّهُ وَيَدْفَعُ المُؤْمِنُونَ، أَوْ يَدْفَعُ اللَّهُ وَيَأْبَى المُؤْمِنُونَ».

---

(١) منهاج السُّنَّة النَّبويَّة (١/ ١٨٥).

(٢) رواه البخاري، كتاب المرضى، باب قول المريض: «إنِّي وَجِع» أو «وا رأساه»، رقم (٥٦٦٦)، ومسلم، كتاب فضائل الصَّحابة رضي الله عنهم، باب من فضائل أبي بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه، رقم (٢٣٨٧).

(٣) كتاب الأحكام، باب الاستخلاف، رقم (٧٢١٧).

وهذا الحديث الصَّحيح فيه همُّه بأنْ يَكتُب لأبي بَكرٍ كتاباً بالخلافة؛ لئلَّا يقول قائل: أنا أَوْلَى، ثمَّ قال: «يَأْبَى اللَّهُ ذَلِكَ وَالمُؤْمِنُونَ».

فلَمَّا عَلِم الرَّسول ﷺ أنَّ اللَّه تعالى لا يختار إلَّا أبا بَكرٍ، والمؤمنون لا يختارون إلَّا إيَّاه؛ اكتفى بذلك عن الكتاب، ولم تكن كتابة الكتاب ممَّا أوجبه اللَّه عليه أن يكتبه أو يُبَلِّغه في ذلك الوقت؛ لأنَّ أمَّته إذا ولَّته طوعاً بغير إلزام - وكان هو الذي يرضاه اللَّه ورسوله - كان أفضل للأمَّة، ودلَّ على عِلمها ودِينها؛ فإنَّها لو أُلزِمتْ به لربَّما قيل: إنَّها أُكرِهت على الحقِّ، وهي لا تختاره، كما كان يجري ذلك لبني إسرائيل، ويظنُّ الظَّانُّ أنَّه كان في الأمَّة بقايا جاهليَّة من التَّقديم بالأنساب، فكان ما اختاره اللَّه لنبيِّه أفضل، ولهم أفضل.

فالحمد للَّه الذي هدى هذه الأمَّة، وعلى أنْ جعلَنا مِنْ أتباعهم، وأبعد اللَّه مَنْ لا يختار ما اختاره اللَّهُ ورسولُه والمؤمنون(١).

٥ - روى أبو داود(٢) أيضاً من حديث ابن شهاب، عن عمرو بن أبان(٣)، عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّه كان يُحَدِّث أنَّ رَسولَ اللَّه ﷺ قال: «أُرِيَ

---

(١) منهاج السُّنَّة النَّبويَّة (١/ ١٨٨)، (٤/ ٢٩٤)، (٣/ ٢٦٨، ٢١٢، ٢٦٩، ٢٧٠).

قال الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقول ابن عبَّاسٍ: (إنَّ الرَّزِيَّةَ كُلَّ الرَّزِيَّةِ مَا حَالَ بَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَبَيْنَ أَنْ يَكْتُبَ الكِتَابَ) يقتضي: أنَّ هذا الحائل كان رَزِيَّةً، وهو رَزِيَّةٌ في حقِّ مَن شَكَّ في خلافة الصِّدِّيق، أو اشتبه عليه الأمر؛ فإنَّه لو كان هناك كتاب لزال هذا الشَّكُّ، فأمَّا مَن عَلِم أَنَّ خلافته حقٌّ فلا رَزِيَّةَ في حقِّه، وللَّه الحمد. منهاج السُّنَّة النَّبويَّة (٣/ ١٣٥)».

(٢) كتاب السُّنَّة، باب في الخلفاء، رقم (٤٦٣٦).

(٣) هو: عمرو بن أبان بن عثمان بن عفَّان الأمويُّ المدنيُّ، مقبول. تهذيب الكمال (٢١/ ٥٣٧)، =

اللَّيْلَةَ رَجُلٌ صَالِحٌ كَأَنَّ أَبَا بَكْرٍ نِيطَ[(١)] بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَنِيطَ عُمَرُ بِأَبِي بَكْرٍ، وَنِيطَ عُثْمَانُ بِعُمَرَ.

قَالَ جَابِرٌ: فَلَمَّا قُمْنَا مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قُلْنَا: أَمَّا الرَّجُلُ الصَّالِحُ فَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَأَمَّا تَنَوُّطُ بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ فَهُمْ وُلَاةُ هَذَا الأَمْرِ الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ بِهِ نَبِيَّهُ ﷺ».

٦ - وروى أيضاً[(٢)] من حديث حمَّاد بن سَلَمَة، عن أشعث بن عبد الرَّحْمَن[(٣)]، عن أبيه[(٤)]، عن سَمُرَة بن جندب رضي الله عنه[(٥)]: «أَنَّ رَجُلاً قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي رَأَيْتُ كَأَنَّ دَلْواً دُلِّيَ مِنَ السَّمَاءِ فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ، فَأَخَذَ بِعَرَاقِيهَا[(٦)] فَشَرِبَ شُرْباً ضَعِيفاً، ثُمَّ جَاءَ عُمَرُ فَأَخَذَ بِعَرَاقِيهَا فَشَرِبَ حَتَّى تَضَلَّعَ[(٧)]، ثُمَّ جَاءَ عُثْمَانُ فَأَخَذَ بِعَرَاقِيهَا فَشَرِبَ حَتَّى تَضَلَّعَ،

= تقريب التهذيب (ص٤١٨).

(١) أي: عُلِّق. النهاية في غريب الحديث والأثر (٥/ ١٢٩).

(٢) كتاب السُّنَّة، باب في الخلفاء، رقم (٤٦٣٧).

(٣) هو: أشعث بن عبد الرَّحْمَن الأزديُّ، وقيل: الجرميُّ، البصريُّ، صدوق. تهذيب الكمال (٣/ ٢٧٦)، تقريب التهذيب (ص١١٣).

(٤) هو: عبد الرَّحْمَن الأزديُّ، وقيل: الجرميُّ، البصريُّ، مقبول. تهذيب الكمال (١٨/ ٢٧)، تقريب التهذيب (ص٣٥٣).

(٥) هو: أبو سليمان سَمُرَة بن جندب بن هلال الفزاريُّ رضي الله عنه، من الحُفَّاظ المُكثِرين عن رسول اللَّه ﷺ، توفي سنة (٥٨هـ). الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٢/ ٦٥٣)، الإصابة في تمييز الصَّحابة (٣/ ١٥٠).

(٦) العَرَاقي: جَمْع عَرْقُوة، وعَرْقُوة الدَّلو: الخشبة المعروضة على فم الدَّلْو، وهما عَرْقُوتان كالصَّليب. النهاية في غريب الحديث والأثر (٣/ ٢٢١).

(٧) أي: أكثر من الشُّرب حتى تمدَّد جنبه وأضلاعه. النهاية في غريب الحديث والأثر (٣/ ٩٧).

ثُمَّ جَاءَ عَلِيٌّ فَأَخَذَ بِعَرَاقِيهَا فَانْتَشَطَتْ[١]، وَانْتَضَحَ[٢] عَلَيْهِ مِنْهَا شَيْءٌ».

٧- وعن سعيد بن جُهْمان[٣]، عن سَفِينة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[٤] قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «خِلَافَةُ النُّبُوَّةِ ثَلَاثُونَ سَنَةً، ثُمَّ يُؤْتِي اللَّهُ المُلْكَ مَنْ يَشَاءُ - أَوْ مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ -»[٥].

قال سعيد: «ثُمَّ قَالَ لِي سَفِينَةُ: أَمْسِكْ؛ خِلَافَةُ أَبِي بَكْرٍ سَنَتَيْنِ، وَخِلَافَةُ عُمَرَ عَشْراً، وَخِلَافَةُ عُثْمَانَ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ، وَخِلَافَةُ عَلِيٍّ سِتَّ سِنِينَ.

قَالَ سَعِيدٌ: قُلْتُ لِسَفِينَةَ: إِنَّ هَؤُلَاءِ يَزْعُمُونَ أَنَّ عَلِيّاً لَمْ يَكُنْ بِخَلِيفَةٍ، فَقَالَ: كَذَبَتْ أَسْتَاهُ بَنِي الزَّرْقَاءِ - يَعْنِي: بَنِي مَرْوَانَ[٦] -»[٧].



(١) أي: انحلَّت. الصحاح (٣/ ١١٦٤). (٢) أي: تَرَشَّشَ. الصحاح (١/ ٤١١).

(٣) هو: أبو حفص سعيد بن جُهْمان الأسلميُّ البصريُّ، قال ابن أبي حاتم: «شيخ يكتب حديثه ولا يُحتَجُّ به»، توفي رَحِمَهُ اللَّهُ سنة (١٣٦هـ). الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (٤/ ١٠)، تهذيب التهذيب (٤/ ١٤).

(٤) هو: أبو عبد الرحمن سَفِينة مولى رسول اللَّه ﷺ، قيل: كان اسمه مهران، وقيل غير ذلك، أصله من فارس، اشترته أمُّ سلمة، ثمَّ أعتقته، واشترطت عليه أنْ يخدم النَّبيَّ ﷺ. أُسْد الغابة في معرفة الصَّحابة (٢/ ٢٥٩)، الإصابة في تمييز الصَّحابة (٣/ ١١١).

(٥) رواه أبو داود، كتاب السُّنَّة، باب في الخلفاء، رقم (٤٦٤٦).

(٦) بنو مروان: بَطْنٌ من بني أُمَيَّة من قريش، وهم: بنو مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أُمَيَّة. جمهرة النَّسَب (ص٣٩)، نهاية الأَرَب في معرفة أنساب العرب (ص١٥٨).

(٧) قال الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ: «قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في البداية والنهاية (٩/ ١٥٤): (وهذا الحديث فيه رَدٌّ صريح على الرَّوافض المنكرين لخلافة الثَّلاثة، وعلى النَّوَاصِب - من بني أميَّة وَمَنْ تبعهم من أهل الشَّام - في إنكار خلافة عَلِيٍّ). اهـ.

ومعنى: (كَذَبَتْ أَسْتَاهُ بَنِي الزَّرْقَاءِ) الأَسْتَاه: جَمْع إست، وهي: العجيزة، وتُطلَق على حلقة الدُّبُر، والمراد: أنَّها كلمة كاذبة خرجت من أدبارهم كالضَّرطة؛ فلا قيمة لها، والزَّرقاء: امرأة من أمَّهات بني أميَّة» الصحاح (٦/ ٢٢٣٣).

الوَجْهُ الثَّانِي: الأَمْرُ بِطَاعَتِهِ وَتَفْوِيضِ الأَمْرِ إِلَيْهِ

١ - في السُّنن[١]: عنه ﷺ أنَّه قال: «اقْتَدُوا بِاللَّذَيْنِ مِنْ بَعْدِي: أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ».

فأَمْرُه بالاقتداء بعده بأبي بَكرٍ وعمر دليلٌ على خلافتهما بعده، ولهذا كان أحد قولي العلماء - وهو إحدى الرِّوايتين عن أحمد -: أنَّ قولَهما إذا اتَّفقا حجَّةٌ لا يجوز العدول عنها[٢].

ولو كانا ظالِمَيْن لم يأمر بالاقتداء بهما؛ فإنَّه لا يأمر بالاقتداء بالظَّالم، فإنَّ الظَّالم لا يكون قدوة يُؤتَمُّ به؛ بدليل قوله تعالى: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ١٢٤].

فلَمَّا أَمَر بالاقتداء بمَنْ بعده - والاقتداء هو: الائتمام[٣] - مع إخباره أنَّهما يكونان بعده؛ دلَّ على أنَّهما إمامان بعده، وهذا هو المطلوب، ومرتبة المقتدى به في أفعاله وفي سُنَّته للمسلمين فوق مرتبة المتَّبَع فيما سنَّه فقط.

---

(١) رواه التِّرمذي، أبواب المناقب، رقم (٣٦٦٢)، وابن ماجه، باب في فضائل أصحاب رسول اللَّه ﷺ، فضل أبي بَكرٍ الصِّدِّيق رضي الله عنه، رقم (٩٧)، من حديث حذيفة رضي الله عنه.

(٢) روضة الناظر وجنة المناظر (١/ ٤٦٧)، شرح مختصر الرَّوضة (٣/ ٩٩).

(٣) الصحاح (٥/ ١٨٦٥).

والفَرْق بينه وبين «أَصْحَابِي كَالنُّجُومِ»(١) - مع أنَّه لا يَصحُّ(٢) -: ليس فيه لفظُ: «بعدي»، وليس فيه الأمر بالاقتداء بهم(٣).

٢ - «عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ المَهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي»(٤)، فأمر باتِّباع سُنَّة الخلفاء الرَّاشدين المَهديِّين، وجَعَل خِلَافتَهم إلى مدَّةٍ معيَّنة.

فدَلَّ ذلك على أنَّ المتولِّي في تلك المدَّة هم الخلفاء الرَّاشدون؛ فإنَّهم خلفوه في ذلك، فانتفى عنهم بالهدى الضَّلالُ، وبالرُّشد الغيُّ، وهذا هو الكمال في العِلم والعمل، فإنَّ الضَّلالَ: عَدمُ العِلْم(٥)، والغيَّ: اتِّباعُ الهوى(٦).

ولهذا: الأظهر أنَّ اتِّفاق الخلفاء الأربعة حجَّةٌ لا يُجوز خِلافُه؛ لأمر النَّبيِّ ﷺ باتِّباع سنَّتهم(٧).

---

(١) رواه ابن عبد البرِّ في جامع بيان العِلم وفضله (٢/ ٨٩٨)، رقم (١٦٨٤).

(٢) قال ابن عبد البَرِّ رحمه الله: «هذا الكلام لا يَصِحُّ عن النَّبيِّ ﷺ...، وإنَّما أتى ضعف هذا الحديث من قِبَل عبد الرَّحيم بن زيد؛ لأنَّ أهل العِلم قد سكتوا عن الرِّواية لحديثه، والكلام أيضاً مُنكَرٌ عن النَّبيِّ ﷺ» جامع بيان العِلم وفضله (٢/ ٩٢٣).

(٣) منهاج السُّنَّة النَّبويَّة (١/ ١٨٤، ١٨٥)، (٣/ ١٦٢)، (٤/ ٢٣٨)، مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٢٤/ ٤٠٠).

(٤) رواه أحمد في المسند، رقم (١٧١٤٤)، من حديث العِرباض بن سارية رضي الله عنه.
قال الوالد رحمه الله: «وذكره ابنُ رجب، واستقصى مَنْ رواه، وشَرَحه شَرْحاً وافياً في كتابه جامع العلوم والحِكَم» (٢/ ١٠٩).

(٥) الغريبين في القرآن والحديث (٤/ ١١٣٧).

(٦) الذَّريعة إلى مكارم الشَّريعة (ص١٦٧).

(٧) منهاج السُّنَّة النَّبويَّة (٣/ ٢٦٧، ٢٦٨).

٣ - في الصَّحيحين(١): عن مُحمَّد بن جُبَيْر بن مُطْعِم(٢)، عن أبيه رضي الله عنه(٣): «أَنَّ امْرَأَةً سَأَلَتْ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم شَيْئاً، فَأَمَرَهَا أَنْ تَرْجِعَ إِلَيْهِ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ إِنْ جِئْتُ فَلَمْ أَجِدْكَ؟ - قَالَ أَبِي: كَأَنَّهَا تَعْنِي المَوْتَ - قَالَ: فَإِنْ لَمْ تَجِدِينِي فَأْتِي أَبَا بَكْرٍ».

٤ - وحديث: «إِذَا لَمْ تَجِدُونِي أَعْطُوهَا أَبَا بَكْرٍ»(٤)، فأَمْرُه مَنْ يأتيه أنْ يَأتيَ بعد موته شَخصاً يَقومُ مقامه يدلُّ على أنَّه خليفة بعده، وهذا وقع لأبي بَكرٍ(٥).



---

(١) رواه البخاري، كتاب أصحاب النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم، باب قول النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم: «لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذاً خَلِيلاً»، رقم (٣٦٥٩)، ومسلم، كتاب فضائل الصَّحابة رضي الله عنهم، باب مِنْ فضائل أبي بَكرٍ الصِّدِّيق رضي الله عنه، رقم (٢٣٨٦).

(٢) هو: أبو سعيد مُحمَّد بن جُبَيْر بن مُطْعِمٍ القُرشيُّ المدنيُّ، تَابعيٌّ ثقة قليل الحديث، توفي رحمه الله في خلافة عمر بن عبد العزيز. تهذيب الكمال (٢٤/ ٥٧٣)، سير أعلام النبلاء (٤/ ٥٤٣).

(٣) هو: أبو مُحمَّد جُبَيْر بن مُطْعِم بن عَدِيٍّ القرشيُّ النَّوْفليُّ رضي الله عنه، كان من حلماء قريش وساداتهم، ومن علماء النَّسَب، أسلم يوم الفتح، وتوفي بالمدينة سنة (٥٧هـ). الاستيعاب في معرفة الأصحاب (١/ ٢٣٢)، الإصابة في تمييز الصَّحابة (١/ ٥٧٠).

(٤) رواه الحاكم في المستدرك (٣/ ٨٢)، رقم (٤٤٦٠)، من حديث أنس رضي الله عنه، ولفظه: «بَعَثَنِي بَنُو المُصْطَلِقِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فَقَالُوا: سَلْ لَنَا رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: إِلَى مَنْ نَدْفَعُ صَدَقَاتِنَا بَعْدَكَ؟ قَالَ: فَأَتَيْتُهُ فَسَأَلْتُهُ، فَقَالَ: إِلَى أَبِي بَكْرٍ».

قال الوالد رحمه الله: «وأورده الطَّبرانيُّ أيضاً عن عصمة بن مالك. فتح الباري لابن حجر (٧/ ٢٤)». المعجم الكبير للطَّبراني (١٧/ ١٨٠)، رقم (٤٧٧).

(٥) منهاج السُّنَّة النَّبويَّة (٤/ ٢٩٥)، (١/ ١٨٤)، (٣/ ٢٦٧).

الوَجْهُ الثَّالِثُ: دَلَالَتُهُ الأُمَّةَ وَإِرْشَادُهَا إِلَى بَيْعَتِهِ

١ - في صحيح مُسلمٍ(١): أنَّ أَصحابَ مُحمَّدٍ ﷺ كَانُوا معه في سَفرٍ - فذكر الحديث - وفيه: «إِنْ يُطِعِ القَوْمُ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ؛ يَرْشُدُوا».

٢ - استخلافه في الصَّلاة، وهو مُتواترٌ ثابتٌ في الصِّحاح والسُّنن والمسانيد من غير وَجهٍ - كما أخرج البخاريُّ(٢)، ومُسلمٌ(٣)، وابن خزيمة(٤)، وابن حِبَّان(٥) وغَيرُهُم من أهل الصَّحيح -، عن أبي موسى

(١) كتاب المساجد ومواضع الصَّلاة، باب قضاء الصَّلاة الفائتة، واستحباب تعجيل قضائها، رقم (٦٨١)، من حديث أبي قتادة رضي الله عنه.

(٢) كتاب الأذان، باب أهل العِلم والفَضْلِ أحقُّ بالإمامة، رقم (٦٧٨).

(٣) كتاب الصَّلاة، باب استخلاف الإمام إذا عَرَض له عذرٌ من مرضٍ وسفرٍ وغيرهما مَن يُصلِّي بالنَّاس، رقم (٤٢٠).

(٤) كتاب الإمامة في الصَّلاة، وما فيها من السُّنَن، باب ذكر أخبارٍ تأوَّلها بعض العلماء ناسخة لأمر رسول اللَّه ﷺ المأموم بالصَّلاة جالساً إذا صلَّى إمامه جالساً، رقم (٦١٦١)، من حديث عائشة رضي الله عنها.

وابن خزيمة هو: أبو بكر مُحمَّد بن إسحاق بن خزيمة السُّلَميُّ النَّيسابوريُّ، الشَّافعيُّ، ولد سنة (٢٢٣هـ)، الحافظ الحُجَّة، شيخ الإسلام، توفي رحمه الله سنة (٣١١هـ). طبقات علماء الحديث (٢/ ٤٤١)، سير أعلام النُّبلاء (١٦/ ٤٩٠).

(٥) كتاب الصَّلاة، باب فَرْض متابعة الإمام، ذِكْر الصَّلاة التي رُوِيَتْ فيها الأخبار المختصرة المُجمَلة الذي تقدَّم ذكرنا لها، رقم (٢١٢٠)، من حديث عائشة رضي الله عنها.

وابن حِبَّان هو: أبو حاتم مُحمَّد بن حبَّان بن أحمد التَّميميُّ، البُستيُّ، ولد سنة مئتين وبضع وسبعين، علَّامة حافظ، صاحب الكتب المشهورة، توفي رحمه الله سنة (٣٥٤هـ). تذكرة الحُفَّاظ للذهبي (٣/ ٨٩)، سير أعلام النبلاء (١٦/ ٩٢).

الأشعريِّ ﵁ قال: «مَرِضَ النَّبِيُّ ﷺ فَاشْتَدَّ مَرَضُهُ، فَقَالَ: مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ ﵂: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ أَبَا بَكْرٍ رَجُلٌ رَقِيقٌ، مَتَى يَقُمْ مَقَامَكَ لَا يَسْتَطِعْ أَنْ يُصَلِّيَ بِالنَّاسِ، قَالَ: مُرِي أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ؛ فَإِنَّكُنَّ صَوَاحِبُ يُوسُفَ[1]، فَأَتَاهُ الرَّسُولُ، فَصَلَّى بِالنَّاسِ فِي حَيَاةِ النَّبِيِّ ﷺ».

وفي الصَّحيحَيْن[2]: عن عائشة ﵂ قالت: «لَمَّا ثَقُلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، جَاءَ بِلَالٌ يُؤْذِنُهُ بِالصَّلَاةِ، فَقَالَ: مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ أَبَا بَكْرٍ رَجُلٌ أَسِيفٌ[3]، وَإِنَّهُ مَتَى يَقُمْ مَقَامَكَ لَا يُسْمِعِ النَّاسَ، فَلَوْ أَمَرْتَ عُمَرَ، فَقَالَ: مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ.

قَالَتْ: فَقُلْتُ لِحَفْصَةَ: قُولِي لَهُ: إِنَّ أَبَا بَكْرٍ رَجُلٌ أَسِيفٌ، وَإِنَّهُ مَتَى يَقُمْ مَقَامَكَ لَا يُسْمِعِ النَّاسَ، فَلَوْ أَمَرْتَ عُمَرَ، فَقَالَتْ لَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنَّكُنَّ لَأَنْتُنَّ صَوَاحِبُ يُوسُفَ، مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ، قَالَتْ: فَأَمَرُوا أَبَا بَكْرٍ يُصَلِّي بِالنَّاسِ».

فصلَّى بهم مدَّةَ مَرَضِه ﷺ من يوم الخميس إلى يوم الخميس إلى

---

(١) أي: في التَّظاهرِ على ما تُرِدْنَ، وكثرة إلحاحِكُنَّ في طلب ما تُرِدْنَه وتملن إليه. شرح النووي على مسلم (٤/ ١٤٠).

(٢) رواه البخاري، كتاب الأذان، باب الرَّجل يأتمُّ بالإمام ويأتمُّ النَّاس بالمأموم، رقم (٧١٣)، ومسلم، كتاب الصَّلاة، باب استخلاف الإمام إذا عَرَض له عذرٌ من مرضٍ وسفرٍ وغيرهما مَن يُصلِّي بالنَّاس، رقم (٤١٨).

(٣) قال الوالد ﵀: «أي: سريع الحزن والبكاء» النهاية في غريب الحديث والأثر (١/ ٤٨).

يوم الاثنين، فكان مدَّة مرضه - فيما قيل - اثني عشر يوماً[(١)]، وكانت حجرته ﷺ إلى جانب المسجد.

ففي هذا: أنَّها راجعَتْه، وأَمَرَتْ حفصة بمراجعَتِه، وأنَّ النَّبيَّ ﷺ لامَهُنَّ على هذه المُراودة، وجعلَها من المُراودة على الباطل، كمُراودة صواحب يوسف ليوسف.

فدلَّ هذا على أنَّ تقديم غير أبي بَكرٍ في الصَّلاة من الباطل الذي يُذمُّ مَن يُراوِد عليه، هذا مع أنَّ أبا بَكرٍ قد قال لعمر يُصَلِّي؛ فلم يتقدَّم عمر، وقال: «أَنْتَ أَحَقُّ بِذَلِكَ»[(٢)]، فكان في هذا اعتراف عمرَ له أنَّه أحقُّ بذلك منه، كما اعترف له أنَّه أحقُّ بالخلافة منه ومن سائر الصَّحابة، وأنَّه أَفضلهم[(٣)].

وفي الصَّحيحَيْن[(٤)]: عن عائشة رضي الله عنها قالت: «لَقَدْ رَاجَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي ذَلِكَ، وَمَا حَمَلَنِي عَلَى كَثْرَةِ مُرَاجَعَتِهِ إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَقَعْ فِي قَلْبِي أَنْ يُحِبَّ النَّاسُ بَعْدَهُ رَجُلاً قَامَ مَقَامَهُ أَبداً...، فَأَرَدْتُ أَنْ يَعْدِلَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ أَبِي بَكْرٍ».

---

(١) جوامع السِّيرة (ص٢٦٦).

(٢) رواه البخاري، كتاب الأذان، باب «إِنَّمَا جُعِلَ الإِمَامُ لِيُؤْتَمَّ بِهِ»، رقم (٦٨٧)، ومسلم، كتاب الصَّلاة، باب استخلاف الإمام إذا عَرَض له عذرٌ من مرضٍ وسفرٍ وغيرهما مَن يُصلِّي بالنَّاس، رقم (٤١٨)، من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٣) قال الوالد رحمه الله: «كما يأتي (ص٢٦٤، ٣٠٨)».

(٤) رواه البخاري، كتاب المغازي، باب مرض النَّبيِّ ﷺ ووفاته، رقم (٤٤٤٥)، ومسلم، كتاب الصَّلاة، باب استخلاف الإمام إذا عَرَض له عذرٌ من مرضٍ وسفرٍ وغيرهما مَن يُصلِّي بالنَّاس، رقم (٤١٨).

وكَشَف السِّتارة يوم مات - وهم يُصَلُّون خلف أبي بَكرٍ - فسُرَّ بذلك؛ ففي الصَّحيحَيْن(١): عن أنس بن مالك رضي الله عنه: «أَنَّ أَبَا بَكْرٍ كَانَ يُصَلِّي لَهُمْ فِي وَجَعِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - فِي وَجَعِهِ الَّذِي تُوُفِّيَ فِيهِ - حَتَّى إِذَا كَانَ يَوْمُ الِاثْنَيْنِ وَهُمْ صُفُوفٌ فِي الصَّلَاةِ، كَشَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سِتْرَ الحُجْرَةِ، فَنَظَرَ إِلَيْنَا وَهُوَ قَائِمٌ، كَأَنَّ وَجْهَهُ وَرَقَةُ مُصْحَفٍ(٢)، ثُمَّ تَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ضَاحِكاً.

قَالَ: فَبُهِتْنَا(٣) وَنَحْنُ فِي الصَّلَاةِ مِنْ فَرَحٍ بِخُرُوجِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَنَكَصَ أَبُو بَكْرٍ عَلَى عَقِبَيْهِ(٤) لِيَصِلَ الصَّفَّ، وَظَنَّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَارِجٌ لِلصَّلَاةِ، فَأَشَارَ إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِيَدِهِ أَنْ أَتِمُّوا صَلَاتَكُمْ.

قَالَ: ثُمَّ دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَأَرْخَى السِّتْرَ، قَالَ: فَتُوُفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ يَوْمِهِ ذَلِكَ»(٥).

---

(١) رواه البخاري، كتاب الأذان، باب أهل العِلم والفَضْلِ أحقُّ بالإمامة، رقم (٦٨٠)، ومسلم، كتاب الصَّلاة، باب استخلاف الإمام إذا عَرَض له عذرٌ من مرضٍ وسفرٍ وغيرهما مَنْ يُصلِّي بالنَّاس، رقم (٤١٩).

(٢) قال الوالد رحمه الله: «عبارة عن الجمال البارع، وحُسْن البشرة، وصفاء الوجه واستنارته» شرح النووي على مسلم (٤/ ١٤٢).

(٣) أي: دُهشنا. الصحاح (١/ ٢٤٤).

(٤) أي: رجع. الصحاح (٣/ ١٠٦٠).

(٥) قال الوالد رحمه الله: «قال ابن كثير رحمه الله: (لَمَّا مات النَّبيُّ ﷺ كان الصِّدِّيق رضي الله عنه قد صَلَّى بالمسلمين صلاة الصُّبْح، وكان إذ ذاك قد أفاق رسول اللَّه ﷺ إفاقةً مِنْ غَمْرَةٍ ما كان فيه من الوجع، وكَشَف سِتْر الحُجْرَة، ونظر إلى المسلمين وهم صفوف في الصَّلاة خلف أبي بَكرٍ، فأعجبه ذلك وتبسَّم صلوات اللَّه وسلامه عليه، حتى هَمَّ المسلمون أنْ يتركوا ما هم فيه من الصَّلاة؛ لفرحهم به، وحتى أراد أبو بَكرٍ أنْ يتأخَّر؛ لِيَصِلَ الصَّف، فأشار إليهم أنْ يمكثوا كما هم، وأرخى السِّتارة، وكان آخر العهد به عليه الصلاة والسلام. =

وخرج النَّبيُّ ﷺ مرَّةً فصَلَّى بهم جالساً، وبقي أبو بكر يُصَلِّي بأمره سائر الصَّلوات:

ففي الصَّحيح عن عبيد اللَّه بن عبد اللَّه بن عتبة[1] قال: «دَخَلْتُ عَلَى عَائِشَةَ فَقُلْتُ لَهَا: أَلَا تُحَدِّثِينِي عَنْ مَرَضِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَتْ: بَلَى، ثَقُلَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: أَصَلَّى النَّاسُ؟ قُلْنَا: لَا، وَهُمْ يَنْتَظِرُونَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ.

قَالَ: ضَعُوا لِي مَاءً فِي المِخْضَبِ[2]، فَفَعَلْنَا فَاغْتَسَلَ، ثُمَّ ذَهَبَ لِيَنُوءَ[3] فَأُغْمِيَ عَلَيْهِ، ثُمَّ أَفَاقَ، فَقَالَ: أَصَلَّى النَّاسُ؟ قُلْنَا: لَا، وَهُمْ يَنْتَظِرُونَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ.

قَالَ: ضَعُوا لِي مَاءً فِي المِخْضَبِ، فَفَعَلْنَا فَاغْتَسَلَ، ثُمَّ ذَهَبَ لِيَنُوءَ فَأُغْمِيَ عَلَيْهِ، ثُمَّ أَفَاقَ، فَقَالَ: أَصَلَّى النَّاسُ؟ قُلْنَا: لَا، وَهُمْ يَنْتَظِرُونَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ.

= فلَمَّا انصرف أبو بَكرٍ رضي الله عنه من الصَّلاة دخل عليه، وقال لعائشة: ما أُرَى رسول اللَّه ﷺ إلَّا قد أقلع عنه من الوجع، وهذا يومُ بنتِ خارجة - يعني: إحدى زوجتيه، وكانت ساكنة بالسُّنح شرقي المدينة -.

فلَمَّا مات واختلف الصَّحابة فيما بينهم، فمِنْ قَائلٍ يَقولُ: مات رسول اللَّه ﷺ.

ومِنْ قَائلٍ: لم يَمُتْ، فذهب سالم بن عُبَيْد وراء الصِّدِّيق...) البداية والنهاية (٨/ ٧٩)».

(١) هو: أبو عبد اللَّه عبيد اللَّه بن عبد اللَّه بن عتبة الهُذليُّ المدنيُّ، ولد في خلافة عمر رضي الله عنه، إمامٌ فقيهٌ، مُفتِي المدينة، وأحد الفقهاء السَّبعة، توفي رحمه الله سنة (٩٨هـ). تهذيب الكمال (١٩/ ٧٣)، سير أعلام النبلاء (٤/ ٤٧٥).

(٢) قال الوالد رحمه الله: «المِخْضَب: إناء نحو المركن الذي يُغتسَل فيه» النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/ ٣٩).

(٣) أي: لينهض. مشارق الأنوار (٢/ ٣١).

قَالَتْ: وَالنَّاسُ عُكُوفٌ فِي المَسْجِدِ يَنْتَظِرُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لِصَلَاةِ العِشَاءِ الآخِرَةِ، قَالَتْ: فَأَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى أَبِي بَكْرٍ أَنْ يُصَلِّيَ بِالنَّاسِ، فَأَتَاهُ الرَّسُولُ، فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَأْمُرُكَ أَنْ تُصَلِّيَ بِالنَّاسِ.

فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ - وَكَانَ رَجُلاً رَقِيقاً -: يَا عُمَرُ، صَلِّ بِالنَّاسِ، قَالَ: فَقَالَ عُمَرُ: أَنْتَ أَحَقُّ بِذَلِكَ، قَالَتْ: فَصَلَّى بِهِمْ أَبُو بَكْرٍ تِلْكَ الأَيَّامَ.

ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَجَدَ مِنْ نَفْسِهِ خِفَّةً، فَخَرَجَ بَيْنَ رَجُلَيْنِ - أَحَدُهُمَا العَبَّاسُ - لِصَلَاةِ الظُّهْرِ، وَأَبُو بَكْرٍ يُصَلِّي بِالنَّاسِ، فَلَمَّا رَآهُ أَبُو بَكْرٍ ذَهَبَ لِيَتَأَخَّرَ، فَأَوْمَأَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ لَا يَتَأَخَّرَ، وَقَالَ لَهُمَا: أَجْلِسَانِي إِلَى جَنْبِهِ، فَأَجْلَسَاهُ إِلَى جَنْبِ أَبِي بَكْرٍ.

وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ يُصَلِّي وَهُوَ قَائِمٌ بِصَلَاةِ النَّبِيِّ ﷺ، وَالنَّاسُ يُصَلُّونَ بِصَلَاةِ أَبِي بَكْرٍ، وَالنَّبِيُّ ﷺ قَاعِدٌ.

قَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ: فَدَخَلْتُ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ، فَقُلْتُ لَهُ: أَلَا أَعْرِضُ عَلَيْكَ مَا حَدَّثَتْنِي عَائِشَةُ عَنْ مَرَضِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ فَقَالَ: هَاتِ، فَعَرَضْتُ حَدِيثَهَا عَلَيْهِ، فَمَا أَنْكَرَ مِنْهُ شَيْئاً، غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ: أَسَمَّتْ لَكَ الرَّجُلَ الَّذِي كَانَ مَعَ العَبَّاسِ؟ قُلْتُ: لَا، قَالَ: هُوَ عَلِيٌّ»[1].

---

(١) سبق تخريجه (ص٢٦١).

=

فهذا حديث اتَّفقت فيه عائشة وابن عبَّاس رضي الله عنهم، كلاهما يُخبِران بمرض النَّبيِّ ﷺ، واستخلاف أبي بكر في الصَّلاة، وأنَّه صلَّى بالنَّاس قبل خروج النَّبيِّ ﷺ أيَّاماً، وأنَّه لَمَّا خرج لصلاة الظُّهر أمره أن لا يتأخَّر؛ بل يُقيم مكانه، وجلس النَّبيُّ ﷺ إلى جنبه، والنَّاس يصلُّون بصلاة أبي بكر، وأبو بكر يصلِّي بصلاة النَّبيِّ ﷺ.

والعلماء كلُّهُم متَّفِقون على تصديق هذا الحديث، وتَلَقِّيه بالقَبُول، وتفقَّهوا في مسائل فيه.

وكان قد اسْتَخْلَفَه في الصَّلاة قبل ذلك لَمَّا ذهب إلى بني عمرو بن عوف[1] ليُصلِح بينهم[2]، ولم يُنقَل أنَّ النَّبيَّ ﷺ اسْتَخْلَفَ في غيبته على الصَّلاة في حال سفره، وفي حال غيبته في مَرَضِه إلَّا أبا بَكرٍ؛ ولكن عبد الرَّحْمَن بن عوف صلَّى بالمسلمين مرَّة صلاة الفجر في السَّفر عام تبوك؛ لأنَّ النَّبيَّ ﷺ قد ذهب ليقضي حاجته فتأخَّر[3][4].

= قال الوالد رحمه الله: «وممَّن أخرج أحاديث استخلاف النَّبيِّ ﷺ لأبي بكر في الصَّلاة: مالك في الموطأ، كتاب السَّهْو، جامع الصَّلاة، رقم (٥٩١).
والتِّرمذي، أبواب المناقب، باب مناقب أبي بَكرٍ الصِّدِّيق رضي الله عنه، رقم (٣٦٧٢).
والنَّسائي، كتاب الإمامة، الائتمام بالإمام يُصَلِّي قاعداً، رقم (٨٣٣)».

(١) بَطْنٌ من الخزرج، وهم: بنو عمرو بن عوف بن الخزرج. نهاية الأَرَب في معرفة أنساب العرب (ص٣٧١).

(٢) رواه البخاري، كتاب العمل في الصَّلاة، باب رَفْع الأيدي في الصَّلاة لأَمْرٍ يَنزِلُ به، رقم (١٢١٨)، ومسلم، كتاب الصَّلاة، باب تقديم الجماعة مَنْ يُصَلِّي بهم إذا تأخَّر الإمام، ولم يخافوا مفسدة بالتَّقديم، رقم (٤٢١)، من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه.

(٣) رواه مسلم، كتاب الصَّلاة، باب تقديم الجماعة مَنْ يُصَلِّي بهم إذا تأخَّر الإمام، ولم يخافوا مفسدة بالتَّقديم، رقم (٢٧٤)، من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه.

(٤) منهاج السُّنَّة النَّبويَّة (٤/ ٢٩٠-٢٩٦)، (١/ ١٨٤).

٣ - وفي التِّرمذيِّ[١] مرفوعاً: «لَا يَنْبَغِي لِقَوْمٍ فِيهِمْ أَبُو بَكْرٍ أَنْ يَؤُمَّهُمْ غَيْرُهُ»[٢].

٤ - ومثل: قوله في الحديث الصَّحيحِ على مِنْبَره: «لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذاً مِنْ أَهْلِ الأَرْضِ خَلِيلاً لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلاً، لَا يَبْقَى فِي المَسْجِدِ خَوْخَةٌ إِلَّا سُدَّتْ، إِلَّا خَوْخَةُ أَبِي بَكْرٍ»[٣].

والقائلون بالنَّصِّ الجَليِّ استدلُّوا على ذلك باتِّفاق الصَّحابة على تسميته: «خليفةَ رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم»[٤]؛ قالوا: والخليفة إنَّما يُقالُ لمَنِ اسْتَخْلَفَه غيره، واعتقدوا بأنَّ الفعيل بمعنى المفعول[٥]؛ فدلَّ ذلك على أنَّ رَسولَ اللَّه صلى الله عليه وسلم اسْتَخْلَفَه على أُمَّته.

وقالت طائفة: الخليفة يُقالُ لمَنِ اسْتَخْلَفَه غيره، ولمَنْ خَلَف

---

(١) أبواب المناقب، رقم (٣٦٧٣)، من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) منهاج السُّنَّة النَّبويَّة (٤/ ٤٥).

(٣) سبق تخريجه (ص١٨٦).

قال الوالد رحمه الله: «قال بعضهم: إنَّما استثنى باب أبي بَكرٍ؛ لعِلْمِه بأنَّه يَصيرُ خليفة يحتاج إلى ملازمة المسجد» فتح الباري لابن حجر (٧/ ١٤).

(٤) قال الوالد رحمه الله: «قال الحاكم في المستدرك (٣/ ٨٤-٨٦): (ذِكْر الرِّوايات الصَّحيحة عن الصَّحابة رضي الله عنهم بإجماعهم في مُخَاطَبَتِهم إيَّاه بـ: يَا خَلِيفَةَ رَسُولِ اللَّهِ)، وساقها.

أمَّا حديث عمرو بن ميمون: (وَسُدُّوا الأَبْوَابَ كُلَّهَا إِلَّا بَابَ عَلِيٍّ) فإنَّ هذا ممَّا وَضَعه الشِّيعة على طريق المقابلة. منهاج السُّنَّة النَّبويَّة (٣/ ٨، ٩)، وقد ذكره ابن الجوزي في الموضوعات (١/ ٣٦٥)».

(٥) الفصل في المِلَل والأهواء والنِّحَل (٤/ ٨٨).

غيره، فهي فعيل بمعنى فاعل[١]، وهذان الوصفان لم يثبتا إلَّا لأبي بَكرٍ؛ فكان هو الخليفة.

قال الشَّيخ رحمه الله: «وأهل السُّنَّة يقولون: خَلَفَه، وكان هو أحقَّ بخلافته»[٢].



(١) مآثر الإنافة في معالم الخلافة (١/ ٨-١٠).

(٢) منهاج السُّنَّة النَّبويَّة (١/ ١٨٣، ١٨٤) (٢/ ٢٢٣).

دَلالَةُ القُرْآنِ عَلَى خِلافَةِ الصِّدِّيقِ رضي الله عنه

وهذه الوجوه الثَّلاثة - الثَّابتة بالسُّنَّة[1] - دلَّ عليها القرآن:

فالأوَّل: في قوله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ الآية [النور: ٥٥]، وقوله: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤]، وقوله: ﴿وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤].

والثَّاني: قوله: ﴿سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَـٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ﴾ الآية [الفتح: ١٦].

والثَّالث: كقوله: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى﴾ [الليل: ١٧]، وقوله: ﴿ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ﴾ [النساء: ٦٩]، وقوله: ﴿وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ﴾ [التوبة: ١٠٠].

ونحو ذلك كقوله: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَـٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ الآية [البقرة: ١٤٣]؛ فلو كانت ولاية أبي بَكرٍ حراماً مُنكَراً، لَوَجَبَ أنْ يَنهَوْا عن ذلك، ولو كانت ولاية عَلِيٍّ واجبةً لكان ذلك مِنْ أَعظم المعروف الذي يجب أن يَأمُروا به، وإذا شَهِدوا أنَّ أبا بَكرٍ أَحقُّ بالإمامة؛ وجب أنْ يكونوا صادقين في هذه الشَّهادة.

---

(١) قال الوالد رحمه الله: «وهي الخبر من النَّبيِّ ﷺ بوقوعها على سبيل الحمد لها والرِّضا بها، وأنَّه أمر بطاعته وتفويض الأمر إليه، وأنَّه دَلَّ الأمَّة وأرشدهم إلى بيعته، هذه الأوجه الثَّلاثة: الخبر، والأمر، والإرشاد».

فثَبَتَت صحَّة خلافته ووجوب طاعته بالكِتاب والسُّنَّة والإجماع[١].



(١) منهاج السُّنَّة النَّبويَّة (٤/ ٢٣٤، ٢٣٥)، مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٣٥/ ٤٨، ٤٩).
قال الوالد رَحِمَهُ اللهُ: «وأخرج ابن أبي حاتم في تفسيره (٨/ ٢٦٢٧)، رقم (١٤٧٦٤)، عن عبد الرَّحْمَن بن عبد الحميد المهديِّ قال: (إنَّ وِلاية أبي بَكرٍ وعُمرَ في كتاب اللَّه؛ يقول اللَّه تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ الآية [النور: ٥٥]).
وأخرج الخطيب في تاريخه (١٦/ ٥٤٢)، عن أبي بَكرِ بن عيَّاشٍ قال: (أبو بَكرٍ الصِّدِّيق خليفة رسول اللَّه ﷺ في القرآن؛ لأنَّ اللَّه تعالى يقول: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ﴾ إلى قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ [الحشر: ٨] فمَنْ سَمَّاهُ: (صِدِّيقاً)، فليس يكذب، وهم قالوا: يا خليفة رسول اللَّه) قال ابن كثير: (اسْتِنْبَاطٌ حَسَنٌ). تاريخ الخلفاء للسُّيوطيِّ (ص٥٤-٥٥)».

آثَارٌ اسْتُدِلَّ بِهَا عَلَى خِلَافَتِهِ

١ - في صحيح مُسلم[(١)]: عن ابن أبي مُلَيْكَة قال: «سَمِعْتُ عَائِشَةَ رضي الله عنها وَقَدْ سُئِلَتْ: مَنْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم مُسْتَخْلِفاً لَو اسْتَخْلَفَ؟ قَالَتْ: أَبُو بَكْرٍ، فَقِيلَ لَهَا: ثُمَّ مَنْ بَعْدَ أَبِي بَكْرٍ؟ قَالَتْ: عُمَرُ، ثُمَّ قِيلَ لَهَا: مَنْ بَعْدَ عُمَرَ؟ قَالَتْ: أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الجَرَّاحِ، ثُمَّ انْتَهَتْ إِلَى هَذَا»[(٢)].

٢ - روى ابنُ بَطَّة بإسناده[(٣)] قال: «حَدَّثنا أبو الحسن بن سَلَمٍ الكاتبُ[(٤)]، حَدَّثنا الزَّعْفَرَانيُّ[(٥)]، حَدَّثنا يزيدُ بن هارون[(٦)]، حَدَّثنا

(١) كتاب فضائل الصَّحابة رضي الله عنهم، باب من فضائل أبي بكرٍ الصِّدِّيق رضي الله عنه، رقم (٢٣٨٥).

(٢) منهاج السُّنَّة النَّبويَّة (٣/ ١٣٥)، (٤/ ٢٩٣).

(٣) لم أقف عليه في المطبوع من كتب ابن بطَّة، وقد ذكره أبو الحسين مُحمَّد بن القاضي أبي يعلى في المسائل التي حلف عليها أحمد بن حنبل (ص١١٢)، وقال: «رواه ابن بَطَّة».

(٤) هو: أبو الحسن أحمد بن مُحمَّد بن سَلَم المَخرميُّ الكاتب، مولى العبَّاس بن مُحمَّد الهاشميِّ، من الثِّقات، توفي رحمه الله سنة (٣٢٧هـ). تاريخ بغداد (٥/ ١٢٤)، تاريخ الإسلام (٧/ ٥٢٩).

(٥) هو: أبو عليٍّ الحسن بن مُحمَّد بن الصَّبَّاح البغداديُّ، الزَّعفرانيُّ، ولد سنة بضع وسبعين ومئة، علَّامةٌ، شيخُ الفقهاء والمُحَدِّثين، توفي رحمه الله سنة (٢٦٠هـ). تهذيب الكمال (٦/ ٣١٠)، سير أعلام النبلاء (١٢/ ٢٦٢).

(٦) هو: أبو خالد يزيد بن هارون بن زاذي السُّلميُّ مولاهم، الواسطيُّ، ولد سنة (١١٨هـ)، حافظٌ، شيخُ الإسلام، توفي رحمه الله سنة (٢٠٦هـ). تاريخ بغداد (١٦/ ٤٩٣)، سير أعلام النبلاء (٩/ ٣٥٨).

المباركُ بن فَضَالَةَ(١): (أَنَّ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ العَزِيزِ(٢) بَعَثَ مُحَمَّدَ بْنَ الزُّبَيْرِ الحَنْظَلِيَّ(٣) إِلَى الحَسَنِ البَصْرِيِّ فَقَالَ: هَلْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ اسْتَخْلَفَ أَبَا بَكْرٍ؟ فقَالَ: أَفِي شَكٍّ صَاحِبُكَ؟! نَعَمْ، وَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ اسْتَخْلَفَهُ، لَهُوَ أَتْقى مِنْ أَنْ يَتَوَثَّبَ عَلَيْهَا(٤))».

قال ابنُ المُبارَك(٥): «اسْتِخْلَافُهُ هو: أَمْرُه أن يُصَلِّي بالنَّاس، وكان هذا عند الحَسَنِ اسْتِخْلَافاً»(٦).

٣ - قال(٧): «وأَنْبَأنا أبو القاسم عبد اللَّه بن مُحمَّد(٨)، حَدَّثنا

---

(١) هو: أبو فَضَالة مُبارَك بن فَضَالة بن أبي أميَّة القُرشيُّ، العَدويُّ، مولى عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه، ولد في أيام الصَّحابة، من كبار علماء البصرة، توفي رحمه الله سنة (١٦٤هـ). تهذيب الكمال (٢٧/ ١٨٠)، سير أعلام النبلاء (٧/ ٢٨١).

(٢) هو: أبو حفص عمر بن عبد العزيز بن مروان الأمويُّ، ولد سنة (٦٣هـ)، إمامٌ حافظٌ مجتهدٌ، الخليفة الرَّاشد، توفي رحمه الله سنة (١٠١هـ). تهذيب الكمال (٢١/ ٤٣٢)، سير أعلام النبلاء (٥/ ١١٤).

(٣) هو: مُحمَّد بن الزُّبَيْر الحنظليُّ البصريُّ، قال البُخاريُّ: «مُنكَر الحديث»، وهو قليل الحديث. الكامل في ضعفاء الرجال (٧/ ٤٢٢)، تقريب التهذيب (ص٤٧٨).

(٤) أي: يستولي عليها. المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث (٣/ ٣٨٢).

(٥) هو: أبو عبد الرَّحمَن عبد اللَّه بن المبارك بن واضح الحَنظَليُّ مولاهم، المَروزيُّ، ولد سنة (١١٨هـ)، أحد الأئمَّة الأعلام، فخر المجاهدين وقدوة الزَّاهدين، توفي رحمه الله سنة (١٨١هـ). تهذيب الكمال (١٦/ ٦)، تذكرة الحُفَّاظ للذهبي (١/ ٢٠١).

(٦) المسائل التي حلف عليها أحمد بن حنبل (ص١١٢)، منهاج السُّنَّة النَّبويَّة (١/ ١٨٣).

(٧) أي: ابن بطَّة، ولم أقف عليه في المطبوع من كتبه.

(٨) هو: أبو القاسم عبد اللَّه بن مُحمَّد بن عبد العزيز البَغويُّ الأصل البغداديُّ، ولد سنة (٢١٤هـ)، حافظٌ ثقةٌ كبيرٌ، مُسنِدُ العالَم، توفي رحمه الله سنة (٣١٧هـ). تاريخ بغداد (١١/ ٣٢٥)، تذكرة الحُفَّاظ للذهبي (٢/ ٢١٧).

أبو خَيْثَمَةَ زُهَيرُ بن حَرْبٍ[(١)]، حَدَّثنا يحيى بن سُلَيْم[(٢)]، حَدَّثنا جعفر بن مُحمَّد[(٣)]، عن أبيه[(٤)]، عن عبد اللَّه بن جعفر رضي الله عنه[(٥)] قال: (وَلِيَنَا أَبُو بَكْرٍ، فَخَيْرُ خَلِيفَةٍ، أَرْحَمُهُ بِنَا وَأَحْنَاهُ عَلَيْنَا)»[(٦)][(٧)].

٤ - قال[(٨)]: «وسَمِعْتُ مُعاويةَ بن قُرَّة[(٩)] يقول: (إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ اسْتَخْلَفَ أَبَا بَكْرٍ)»[(١٠)][(١١)].

---

(١) هو: أبو خيثمة زهير بن حرب بن شدَّاد الحرشيُّ، ولد سنة (١٦٠هـ)، الحافظ الحُجَّة، وأحد أعلام الحديث، توفي رحمه الله سنة (٢٣٤هـ). تهذيب الكمال (٩/ ٤٠٢)، سير أعلام النبلاء (١١/ ٤٨٩).

(٢) هو: أبو زكريَّا يحيى بن سليم القُرشيُّ الطَّائفيُّ، حافظٌ إمامٌ، توفي رحمه الله سنة (١٩٥هـ). تهذيب الكمال (٣١/ ٣٦٥)، تذكرة الحُفَّاظ للذهبي (١/ ٢٣٨).

(٣) هو: أبو عبد اللَّه جعفر الصَّادق بن مُحمَّد البَاقِر بن عليٍّ القُرشيُّ الهاشميُّ، ولد سنة (٨٠هـ)، كان من سادات أهل البيت فقهاً وعلماً وفضلاً، توفي رحمه الله سنة (١٤٨هـ). الثقات لابن حِبَّان (٦/ ١٣١)، تذكرة الحُفَّاظ للذهبي (١/ ١٢٥).

(٤) هو: أبو جعفر مُحمَّد البَاقر بن عليٍّ زين العابدين بن الحسين القُرشيُّ الهاشميُّ، ولد سنة (٥٦هـ)، كان عالماً سيِّداً كبيراً، اشتُهِر بـ«الباقر»؛ لأنَّه تبَقَّر في العِلم - أي: توسَّع فيه -، توفي رحمه الله سنة (١١٤هـ). وفيات الأعيان (٤/ ١٧٤)، تذكرة الحُفَّاظ للذهبي (١/ ٩٣).

(٥) هو: أبو جعفر عبد اللَّه بن جعفر بن أبي طالبٍ القُرشيُّ الهاشميُّ رضي الله عنه، أوَّل مولود ولد في الإسلام بأرض الحبشة، حَفِظ عن رسول اللَّه ﷺ ورَوَى عنه، توفي سنة (٨٠هـ). الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٣/ ٨٨٠)، الإصابة في تمييز الصَّحابة (٤/ ٣٥).

(٦) رواه بالإسناد المذكور الآجريُّ في الشَّريعة (٤/ ١٧١٧)، رقم (١١٨٧)، والدَّارقطنيُّ في فضائل الصَّحابة (ص٤٩)، رقم (٢١).

(٧) منهاج السُّنَّة النَّبويَّة (١/ ١٨٣).

(٨) أي: المباركُ بن فَضَالَةَ.

(٩) هو: أبو إياس معاوية بن قُرَّة بن إياس المزنيُّ البصريُّ، إمامٌ عالمٌ ثَبْتٌ، توفي رحمه الله سنة (١١٣هـ). سير أعلام النبلاء (٥/ ١٥٣)، تقريب التهذيب (ص٥٣٨).

(١٠) رواه اللَّالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة (٧/ ١٣٦٩)، رقم (٢٤٤٦).

(١١) منهاج السُّنَّة النَّبويَّة (١/ ١٨٣).

٥ - وفي كُتُب الأنبياء التي أخرج النَّاس ما فيها من ذِكْر النَّبيِّ ﷺ، ذكروا: أنَّ في التَّابوت الذي كان عند المقوقس[١] - فيه صُوَرُ الأنبياء - صورة أبي بكر وعمر مع صورة النَّبيِّ ﷺ، وأنَّه بهما يقوم أمره[٢].



(١) هو: جُرَيج بن مينا بن قرقب، والمقوقس لقبه، بَعَثَ إليه النَّبيُّ ﷺ حاطب بن أبي بَلْتَعَة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بكتاب يدعوه فيه إلى الإسلام، فلم يُسلِم، وأَهْدَى إلى النَّبيِّ ﷺ، فقَبِل هَدِيَّته، وبَقِيَ على النَّصرانيَّة إلى أنْ مات. تاريخ الإسلام (١/ ٣٤٤)، الإصابة في تمييز الصَّحابة (٦/ ٢٩٥).

(٢) منهاج السُّنَّة النَّبويَّة (٤/ ٤٦).

طُرُقٌ أُخْرَى لِمَنْ لَا يَعْرِفُ الأَسَانِيدَ

١ - التَّواتر بأنَّه لم يطلب الخِلَافَة لا برغبة ولا برهبة.

كثيرٌ من الخاصَّة فضلاً عن العامَّة يتعذَّر عليه معرفة التَّمييز في هذا الباب وغيره؛ وإنَّما يعرف ذلك علماء الحديث.

ولكن نذكر طريقاً آخر فنقول: نُقدِّر أنَّ الأخبارَ المُتنازَع فيها[1] لم توجد، أو لم يُعلَم أيُّها الصَّحيح؟ ونترك الاستدلال بها في الطَّرفين، ونرجِع إلى ما هو معلومٌ من التَّواتر، وما يُعلَم من المعقول والعادات، وما دلَّت عليه النُّصوص المتَّفق عليها.

فنقول: من المعلوم والمتواتر - عند الخاصَّة والعامَّة - الذي لم يختلف فيه أهل العِلم بالمنقولات والسِّيَر: أنَّ أبا بَكرٍ ﵁ لم يطلب الخِلَافَة لا برغبة ولا برهبة؛ لا بَذَلَ فيها ما يُرَغِّبُ النَّاس به، ولا شَهَر سيفاً يُرهِبهم به، ولا كانت له قبيلةٌ ولا أموالٌ تنصره وتُقِيمه في ذلك، كما جَرَى من عادة الملوك أنَّ أقاربهم ومواليهم يعاونونهم، ولا طَلَبَها أيضاً بلسانه، ولا قال: بَايِعُوني؛ بل أمر بمبايعة عُمرَ أو أبي عُبَيْدَة[2]، ومَنْ

---

(١) قال الوالد ﵀: «بين أهل السُّنَّة والشِّيعة».

(٢) كما في حديث عمر ﵁، وفيه: «فَتَكَلَّمَ أَبُو بَكْرٍ فَكَانَ هُوَ أَحْلَمَ مِنِّي وَأَوْقَرَ، وَاللَّهِ مَا تَرَكَ مِنْ كَلِمَةٍ أَعْجَبَتْنِي فِي تَزْوِيرِي، إِلَّا قَالَ فِي بَدِيهَتِهِ مِثْلَهَا أَوْ أَفْضَلَ مِنْهَا حَتَّى سَكَتَ، فَقَالَ: مَا ذَكَرْتُمْ فِيكُمْ مِنْ خَيْرٍ فَأَنْتُمْ لَهُ أَهْلٌ، وَلَنْ يُعْرَفَ هَذَا الأَمْرُ إِلَّا لِهَذَا الحَيِّ مِنْ قُرَيْشٍ، هُمْ أَوْسَطُ العَرَبِ نَسَباً وَدَاراً، وَقَدْ رَضِيتُ لَكُمْ أَحَدَ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ، فَبَايِعُوا أَيَّهُمَا شِئْتُمْ، فَأَخَذَ =

تخلَّف عن بَيْعَتِه - كسَعْد بن عُبَادَة[١] - لم يُؤذِه[٢]، ولا أَكْرَهَه على المُبَايَعَة، ولا مَنَعه حقّاً له، ولا حرَّك عليه ساكناً، وهذا غاية في عدم إكراه النَّاس على المُبَايَعَة.

والذين بايعوه هم الذين بايعوا النَّبيَّ ﷺ تحت الشَّجرة، وهم السَّابقون الأوَّلون من المهاجرين والأنصار والذين اتَّبعوهم بإحسانٍ رضي اللَّه عنهم ورضوا عنه، وهم أهل الإيمان والهجرة والجهاد.

ثمَّ إنَّه في مدَّة ولايته قاتل بهم المرتدِّين والمشركين، ولم يقاتل مسلمين؛ بل أعاد الأمر إلى ما كان عليه قبل الرِّدَّة، وأخذ يزيد الإسلامَ فتوحاً، وشرع في قتال فارس والرُّوم، ومات والمسلمون محاصرو دمشق، وخرج منها أزهد ممَّا دخل فيها، ولم يستأثر عنهم بشيء، ولا أَمَّر له قرابةً.

ثمَّ وليَ عُمرُ بن الخطَّاب؛ ففتح الأمصار، وقهر الكفَّار، وأعزَّ أهل الإيمان، وأذلَّ أهل النِّفاق والعدوان، ونشر الإسلام والدِّين، وبسط العدل في العالَمِين، ووضع ديوان الخراج والعطاء لأهل الدِّين، ومصَّر الأمصار للمسلمين، وخرج منها أزهد ممَّا دخل فيها، لم يتلوَّث

= بِيَدِي وَبِيَدِ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ الجَرَّاحِ، وَهُوَ جَالِسٌ بَيْنَنَا...» الحديث، رواه البخاري، رقم (٦٨٣٠).

(١) هو: أبو ثابت سعد بن عبادة بن دليم السَّاعديُّ الأنصاريُّ رضي الله عنه، أحد النُّقباء ممَّنْ شَهِد العَقَبَة، كان سَيِّداً في الأنصار مُقَدَّماً وَجِيهاً، توفي سنة (١٥هـ). الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٢/ ٥٩٤)، الإصابة في تمييز الصَّحابة (٣/ ٥٥).

(٢) قال الوالد رحمه الله: «ويأتي ذِكْر سبب تخلُّفه، وذِكْر تَنَازُلِه عن طلب الإمارة رضي الله عنه» (ص٣١٦).

لهم بمال، ولا ولَّى أحداً من أقاربه ولاية، فهذا أمر يَعرفه كلُّ أحد.

٢ - أنَّ المسلمين اتَّبعوا الحقَّ في بَيْعَتِه لا الهوى - وهذا مِنْ كمالهم- فيقال: دواعي المسلمين بعد موت النَّبيِّ ﷺ كانت متوجِّهةً إلى اتِّباع الحقِّ، وليس لهم ما يصرفهم عنه، وهم قادرون على ذلك، وإذا حصل الدَّاعي إلى الحقِّ، وانتفى الصَّارف، مع القدرةِ؛ وجب الفعل.

فعُلِم أنَّ المسلمين اتَّبعوا فيما فعلوه الحقَّ؛ وذلك أنَّهم خير الأُمَم، وقد أكمل اللَّهُ لهم الدِّين وأتمَّ عليهم النِّعمة، ولم يكن عند الصِّدِّيق رضي الله عنه غَرَضٌ دنيويٌّ يُقَدِّمونه لأجله؛ بل لو فعلوا بموجِب الطَّبع لقدَّموا عليّاً، وكانت الأنصار لو اتَّبعت الهوى: أنْ تَتبع رجلاً من بني هاشم أحبَّ إليها مِنْ أنْ تَتبع رجلاً من بني تيم[(١)]، وكذلك عامَّة قبائل قريش لا سيَّما بنو عبد مناف[(٢)] وبنو مخزوم[(٣)]؛ فإنَّ طاعتهم لمَنَافِيٍّ كانت أحبَّ إليهم من طاعة تيميٍّ، لو اتَّبعوا الهوى.

ولهذا لَمَّا مات رسول اللَّه ﷺ، وتولَّى أبو بَكرٍ؛ قيل لأبي قُحَافَة رضي الله عنه: مات رسول اللَّه ﷺ، فقال: «حَدَثٌ عَظِيمٌ، فَمَنْ وَلِيَ

---

(١) بنو تيم: بَطْنٌ من قريش، ومنهم: أبو بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه، وهم: بنو تَيْم بن مُرَّة بن كعب بن لؤيِّ بن غالب بن فِهْر بن مالك بن النَّضر - وهو قريش -. نهاية الأَرَب في معرفة أنساب العرب (ص١٩٠).

(٢) بنو عبد مناف: بَطْنٌ من قريش، وهم: بنو عبد مناف بن قصيٍّ، وكان لعبد مناف: هاشم، والمُطَّلب، وعبد شمس، ونوفل. نهاية الأَرَب في معرفة أنساب العرب (ص٣٤٢، ٤٣٤).

(٣) بنو مخزوم: بَطْنٌ من لؤيِّ بن غالب، وكان لمخزوم من الولد: عمرو، وعامر، وعمران. نهاية الأَرَب في معرفة أنساب العرب (ص٤١٦).

بَعْدَهُ؟ قَالُوا: أَبُو بَكْرٍ، قَالَ: أَوَرَضِيَتْ بَنُو عَبْدِ مَنَافٍ وَبَنُو مَخْزُومٍ؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ - أو كَمَا قَالَ -»(١).

ولهذا جاء أبو سفيان(٢) إلى عَلِيٍّ رضي الله عنه؛ فقال: «أَرَضِيتُمْ أَنْ يَكُونَ هَذَا الأَمْرُ فِي بَنِي تَيْمٍ؟ فَقَالَ: يَا أَبَا سُفْيَانَ، إِنَّ أَمْرَ الإِسْلَامِ لَيْسَ كَأَمْرِ الجَاهِلِيَّةِ - أو كَمَا قَالَ -»(٣).

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك (٣/ ٢٧٤)، رقم (٥٠٧١)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، ولفظه: «لَمَّا قُبِضَ النَّبِيُّ ﷺ بَلَغَ أَهْلَ مَكَّةَ الخَبَرُ، قَالَ: فَسَمِعَ أَبُو قُحَافَةَ الهَائِعَةَ، فَقَالَ: مَا هَذَا؟ قَالُوا: تُوُفِّيَ النَّبِيُّ ﷺ، قَالَ: أَمْرٌ جَلِيلٌ، فَمَنْ قَامَ بِالأَمْرِ مِنْ بَعْدِهِ؟ قَالُوا: ابْنُكَ، قَالَ: وَرَضِيَتْ بَنُو مَخْزُومٍ، وَبَنُو المُغِيرَةِ؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: اللَّهُمَّ لَا وَاضِعَ لِمَا رَفَعْتَ، وَلَا رَافِعَ لِمَا وَضَعْتَ».

ورواه أيضاً اللَّالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة (٧/ ١٣٧١)، رقم (٢٤٥١). وابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٠/ ٤٦٠)، ولفظه: «لَمَّا قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ارْتَجَّتْ مَكَّةُ بِصَوْتٍ وَاحِدٍ، فَسَمِعَ ذَلِكَ أَبُو قُحَافَةَ، فَقَالَ: مَا هَذَا؟ قَالُوا: قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: مَا صَنَعَ النَّاسُ بَعْدَهُ؟ قَالُوا: وَلَّوْا ابْنَكَ، قَالَ: أَفَرَضِيَتْ بِذَلِكَ بَنُو عَبْدِ شَمْسٍ وَبَنُو المُغِيرَةِ؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: فَلَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَى اللَّهُ، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعَ».

(٢) هو: أبو سفيان صَخْرُ بن حرب بن أُمَيَّة القُرشيُّ الأمويُّ رضي الله عنه، ولد قبل عام الفيل بعشر سنين، أَسلَم يوم الفتح، وشَهِد مع رسول اللَّه ﷺ حُنَيْناً، توفي سنة (٣٣هـ). معرفة الصَّحابة لأبي نُعَيْم (٣/ ١٥٠٩)، الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٤/ ١٦٧٧).

(٣) هكذا أورده شيخ الإسلام في منهاج السُّنَّة النَّبويَّة - ط جامعة الإمام - (٤/ ٣٦٠).

وقد رواه الحاكم في المستدرك (٢/ ٨٣)، رقم (٤٤٦٢)، عن مُرَّة الطَّيِّب رحمه الله، ولفظه: «جَاءَ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ إِلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنهما، فَقَالَ: مَا بَالُ هَذَا الأَمْرِ فِي أَقَلِّ قُرَيْشٍ قِلَّةً وَأَذَلِّهَا ذِلَّةً - يَعْنِي: أَبَا بَكْرٍ -؟ وَاللَّهِ لَئِنْ شِئْتُ لَأَمْلَأَنَّهَا عَلَيْهِ خَيْلاً وَرِجَالاً، فَقَالَ عَلِيٌّ: لَطَالَمَا عَادَيْتَ الإِسْلَامَ وَأَهْلَهُ يَا أَبَا سُفْيَانَ، فَلَمْ يَضُرَّهُ شَيْئاً، إِنَّا وَجَدْنَا أَبَا بَكْرٍ لَهَا أَهْلاً».

فعُدُولُهم عن العبَّاس وعَلِيٍّ وغَيرِهما إلى أبي بَكرٍ دليلٌ على أنَّ القومَ وضعوا الحقَّ في نصابه، وأقرُّوه في إهابه، وأَتَوا الأمر الأرشد من بابه، وأنَّهم عَلموا أنَّ اللَّه ورسوله كانا يرضَيَان تقديم أبي بَكرٍ رضي الله عنه.

فاللَّه هو ولَّاه شرعاً وقَدَراً، وأمَر المؤمنين بولايته، وهداهم إلى أن ولَّوه، من غير أن يكون طلب ذلك لنفسه(١).

٣ - اسْتِخْلَافُه من كمال نبوَّة محمَّد صلى الله عليه وسلم ورِسالتِه، وممَّا يُظهِر أنَّه رسول اللَّه حقّاً، ليس مَلِكاً من الملوك؛ فإنَّ عادةَ الملوك إيثارُ أقاربهم والموالاة بالولايات أكثر من غيرهم، وكان ذلك ممَّا يقيمون به مُلْكَهم(٢).

فتولِيَةُ أبي بَكرٍ وعُمرَ بعد النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم دون عمِّه العبَّاس، وبني عمِّه عَلِيٍّ وعقيل، وربيعة بن الحارث(٣)، وأبي سفيان، وغيرهم، ودون سائر بني عبد مناف؛ كعثمان بن عفَّان، وخالد بن سعيد بن العاص،

---

(١) منهاج السُّنَّة النَّبويَّة (٣/ ١٢٢)، (٢/ ٢٥٢-٢٥٤)، (٤/ ٢٣١، ٢٥٤)، (١/ ٢١٥، ١٨٦، ٢١٤).

(٢) قال الوالد رحمه الله: «قال ابن القيِّم رحمه الله: (السِّرُّ - واللَّه أعلم - في خروج الخلافة عن أهل بيت النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم إلى أبي بَكرٍ وعُمرَ وعُثمانَ: أنَّ عَلِيّاً لو تَوَلَّى الخِلَافَة بعد موته لأَوْشَك أنْ يَقولَ المُبْطِلون: إنَّه مَلِكٌ وَرِث مُلْكَه أَهلُ بَيتِه، فَصَانَ اللَّهُ مَنْصِبَ رِسالَتِه ونُبُوَّتِه عن هذه الشُّبْهَة...) بدائع الفوائد (٣/ ٢٠٧، ٢٠٨)».

(٣) هو: أبو أَرْوَى ربيعة بن الحارث بن عبد المُطَّلب بن هاشم بن عبد مناف رضي الله عنه، كان أَسنَّ من العبَّاس بسنتين، توفي سنة (٢٣هـ). الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٢/ ٤٩٠)، الإصابة في تمييز الصَّحابة (٢/ ٣٨٤).

وأبان بن سعيد[١]، وغيرهم من بني عبد مناف، الذين كانوا أجلَّ قريش قَدْراً، وأقرب نسباً إلى النَّبيِّ ﷺ: مِنْ أَعظمِ الأدلَّة على أنَّ مُحمَّداً عبدُ اللَّه ورسوله، وأنَّه ليس مَلِكاً؛ حيث لم يُقَدِّم في خِلَافَتِه أحداً بقُرْبِ نَسَبٍ منه، ولا بشَرَفِ بيته؛ بل إنَّما قدَّم بالإيمان والتَّقوى.

ودلَّ ذلك على أنَّ محمَّداً وأمَّته من بعده إنَّما يَعبدون اللَّه، ويُطِيعون أمره؛ لا يريدون ما يريدُ غيرُهم من العُلُوِّ في الأرض، ولا يريدون - أيضاً - ما أُبيح لبعض الأنبياء من المُلْكِ؛ فإنَّ اللَّه خَيَّر مُحمَّداً بين أن يكون عبداً رسولاً، وبين أنْ يكون مَلِكاً نبيّاً؛ فاختار أنْ يكون عبداً رسولاً[٢].

وتولية أبي بَكرٍ وعُمرَ بعده من تمام ذلك، فإنَّه لو قدَّم أحداً من أهل بيته لكانت شبهة لمَنْ يَظنُّ أنَّه كان مَلِكاً، كما أنَّه لو ورَّث مالاً لورثته لكانت شبهة لمَنْ يَظنُّ أنَّه جمع المال لورثته، فلمَّا لم يَسْتَخْلِفْ أحداً من أهل بيته، ولا خَلَّف لهم مالاً؛ كان هذا ممَّا يُبَيِّن أنَّه كان أبعد النَّاس عن طَلَب الرِّياسَة والمالِ - وإن كان ذلك مباحاً - وأنَّه لم يكن من الملوك الأنبياء؛ بل كان عبد اللَّه ورسوله[٣].

---

(١) هو: أبان بن سعيد بن العاص القُرشيُّ الأمويُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَسلَم بين الحُدَيْبِيَة وخَيْبَر، أَمَّرَه رسول اللَّه ﷺ على بعضِ سراياه، واسْتَعْمَلَه على البحرين بَرِّها وبحرها، توفي سنة (١٣هـ). الاستيعاب في معرفة الأصحاب (١/ ٦٢)، الإصابة في تمييز الصَّحابة (١/ ١٦٨).

(٢) رواه أحمد في المسند، رقم (٧١٦٠)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) منهاج السُّنَّة النَّبويَّة (٤/ ١٢٥).

٤ - تفضيل أئمَّة الإسلام لأبي بَكرٍ وعُمرَ، وتَقديمُهم لهما:

وقد جاء بعد أولئك في قرون الأمَّة مَنْ يَعرف كلُّ أَحدٍ زكاءهم وذكاءهم - ممَّنْ ليس لهم غَرَضٌ في تقديم غير الفاضلِ، لا لأجل رياسة ولا مال، وممَّن هم أعظم النَّاس نظراً في العِلم وكشفاً لحقائقه -، وهم كلُّهم متَّفقون على تفضيل أبي بَكرٍ وعُمرَ، فكلُّ مَنْ له لسانُ صِدْقٍ في الأمَّة مِنْ علمائها وعبَّادها متَّفقون على تقديم أبي بَكرٍ وعُمرَ.

كما قال الشَّافعيُّ رضي الله عنه - فيما نقله عنه البَيْهقيُّ(١) بإِسنَادِه - قال: «لم يَخْتَلِفْ أَحدٌ من الصَّحابة والتَّابعين في تفضيل أبي بَكرٍ وعُمرَ رضي الله عنهما على جميع الصَّحابة»(٢).

وكذلك لم يَخْتَلِفْ علماء الإسلام في ذلك؛ كما هو قول مالكٍ(٣) وأصحابه، وأبي حنيفة(٤) وأصحابه، وأحمد(٥) وأصحابه، وداود(٦)

---

(١) هو: أبو بكر أحمد بن الحُسَيْن بن عليِّ بن موسى البيهقيُّ، ولد سنة (٣٨٤هـ)، قام بنصرة مذهب الشَّافعيِّ وتقريره، مُكْثِر من التَّصنيف، قَويُّ التَّحقيق، جيِّد التَّأليف، ظاهر الإنصاف، توفي رحمه الله سنة (٤٥٨هـ). طبقات الفقهاء الشَّافعيَّة لابن الصلاح (١/ ٣٣٢)، العقد المُذْهَب في طبقات حملة المذهب (ص٩٣).

(٢) مناقب الشَّافعي (١/ ٤٣٤).

(٣) الاستذكار (٥/ ١١٠).

(٤) الاعتقاد للبيهقيِّ (ص١٦٢).

وأبو حنيفة هو: النُّعمان بن ثابت بن زُوطَى التَّيميُّ مولاهم، الكوفيُّ، ولد سنة (٨٠هـ)، إمامُ أهل العراق، وأحدُ أئمَّة المذاهب الأربعة، قويُّ الحجَّة، إليه المنتهى في الفقه والتَّدقيق، توفي رحمه الله سنة (١٥٠هـ). سير أعلام النبلاء (٦/ ٣٩٠)، الجواهر المضيَّة في طبقات الحنفيَّة (١/ ٥١).

(٥) مناقب الإمام أحمد (ص٢٣٩).

(٦) هو: أبو سليمان داود بن عليِّ بن خلف البغداديُّ الظَّاهريُّ، ولد سنة (٢٠٠هـ)، إمامٌ حافظٌ، عالمُ الوقت، ورئيس أهل الظَّاهر، توفي رحمه الله سنة (٢٧٠هـ). وفيات الأعيان =

وأصحابه، والثَّوريِّ(١) وأصحابه، واللَّيث(٢) وأصحابه، والأوزاعيِّ(٣) وأصحابه، وإسحاق(٤) وأصحابه، وابن جرير(٥) وأصحابه، وأبي ثَوْرٍ(٦) وأصحابه، وكما هو قول سائر العلماء المشهورين؛ إلَّا مَنْ لَا يُؤْبَه له، ولا يُلْتَفتُ إليه.

ومالكٌ يحكي الإجماعَ عمَّنْ لَقيَه أنَّهم لم يختلفوا في تقديم أبي بَكرٍ وعُمرَ(٧)، حتى كان الثَّوْرِيُّ يَقولُ: «مَنْ قَدَّم عَلِيّاً على أبي بَكرٍ

= (٢/ ٢٥٥)، سير أعلام النبلاء (١٣/ ٩٧).

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة (١/ ١٧٠)، رقم (٣١٤).

(٢) هو: أبو الحارث اللَّيث بن سعد بن عبد الرَّحْمَن الفهميُّ، ولد سنة (٩٤هـ)، حافظٌ، شيخُ الإسلام، وإمامُ أهل مصر في الفقه والحديث، توفي رحمه الله سنة (١٧٥هـ). وفيات الأعيان (٤/ ١٢٧)، سير أعلام النبلاء (٨/ ١٣٦).

(٣) القضاء والقَدَر للبيهقيِّ (ص٣٢٩).
والأوزاعيُّ هو: أبو عمرو عبد الرَّحْمَن بن عمرو بن يحمد الأوزاعيُّ، ولد سنة (٨٨هـ)، شيخُ الإسلام، وعالمُ أهل الشَّام، توفي رحمه الله سنة (١٥٧هـ). وفيات الأعيان (٣/ ١٢٧)، سير أعلام النبلاء (٧/ ١٠٧).

(٤) كتاب السُّنَّة لحرب الكرماني (ص٢٥٦).
وإسحاق هو: أبو يعقوب إسحاقُ بن إبراهيم بن مخلد الحَنظَليُّ المَروزيُّ، المعروف بـ«ابن رَاهَوَيْه»، ولد سنة (١٦٦هـ)، عالمُ نَيْسابور، وأحدُ أئمَّة الدِّين، جَمَعَ بين الحديث والفقه والوَرَع، توفي رحمه الله سنة (٢٤٣هـ). طبقات الحنابلة (١/ ١٠٩)، سير أعلام النبلاء (١١/ ٣٥٨).

(٥) صريح السُّنَّة للطَّبري (ص٢٤).

(٦) كتاب السُّنَّة لحرب الكرماني (ص٢٥٦).
وأبو ثَوْر هو: إبراهيمُ بن خالد الكلبيُّ البغداديُّ، ولد سنة (١٧٠هـ)، الفقيهُ، صاحبُ الشَّافعيِّ، وأحدُ الفقهاءِ الأعلامِ، والثِّقاتِ المأمونين في الدِّين، توفي رحمه الله سنة (٢٤٠هـ). وفيات الأعيان (١/ ٢٦)، سير أعلام النبلاء (١٢/ ٧٢).

(٧) المُدَوَّنة (٤/ ٦٧٠).

ما أُرَى أنْ يصعد له إلى اللَّه عمل» رواه أبو داود في سننه[١].

وحَمَّاد بن زيد[٢]، وحَمَّاد بن سَلمة[٣]، وسعيد بن أبي عروبة[٤]، وأَمثالُهم مِنْ علماء البصرة، وسعيد بن عبد العزيز[٥] وغَيرُه مِنْ علماء الشَّام، وعمرو بن الحارث[٦]، وابن وهب[٧] وغَيرُهم من علماء مصر.

ومثل: عبد اللَّه بن المبارك[٨]، ووكيع بن الجرَّاح[٩]، وعبد الرَّحْمَن بن

---

(١) كتاب السُّنَّة، باب في التَّفضيل، رقم (٤٦٣٠).

(٢) كتاب السُّنَّة لحرب الكرماني (ص٢٦٤).

وحمَّاد بن زيد هو: أبو إسماعيل حَمَّاد بن زيد بن درهم الأزديُّ مولاهم البصريُّ، ولد سنة (٩٨هـ)، إمامٌ حافظٌ مُجَوِّدٌ، شيخُ العراق، توفي ﷺ سنة (١٧٩هـ). تهذيب الكمال (٧/ ٢٣٩)، تذكرة الحُفَّاظ للذهبي (١/ ١٦٧).

(٣) كتاب السُّنَّة لحرب الكرماني (ص٢٦٤).

(٤) كتاب السُّنَّة لحرب الكرماني (ص٢٦٢).

وسعيد بن أبي عروبة هو: أبو النَّضر سعيد بن أبي عَرُوبة مهران العدويُّ، إمامٌ حافظٌ، عالمُ أهل البصرة، وأوَّلُ مَن صنَّف السُّنن النَّبويَّة، توفي ﷺ سنة (١٥٦هـ). سير أعلام النبلاء (٦/ ٤١٣)، إكمال تهذيب الكمال (٥/ ٣٢٨).

(٥) هو: أبو محمَّد سعيد بن عبد العزيز بن أبي يحيى التَّنُوخيُّ، ولد سنة (٩٠هـ)، فقيهُ أهل الشَّام، ومفتيهم بدمشق بعد الأوزاعيِّ، توفي ﷺ سنة (١٦٧هـ). تهذيب الكمال (١٠/ ٥٣٩)، سير أعلام النبلاء (٨/ ٣٢).

(٦) هو: أبو أميَّة عمرو بن الحارث بن يعقوب الأنصاريُّ، ولد بعد سنة (٩٠هـ)، عالمُ الدِّيار المصرية، ومفتيها، توفي ﷺ سنة (١٤٨هـ). تهذيب الكمال (٢١/ ٥٧٠)، سير أعلام النبلاء (٦/ ٣٤٩).

(٧) السُّنَّة لأبي بكر بن الخلَّال (٢/ ٤٠١).

وابن وهب هو: أبو مُحمَّد عبد اللَّه بن وهب بن مسلم القُرشيُّ، المالكيُّ، ولد سنة (١٢٥هـ)، عالمٌ صالحٌ فقيهٌ، كثيرُ العِلم، توفي ﷺ سنة (١٩٧هـ). ترتيب المدارك (٣/ ٢٢٨)، شجرة النُّور الزكية في طبقات المالكية (١/ ٨٩).

(٨) أصول السُّنَّة لابن أبي زمنين (ص٢٧٤).

(٩) تاريخ دمشق لابن عساكر (٥٤/ ٢٣٠).

مهدي[(١)]، وأبي يوسف[(٢)]، ومُحمَّد بن الحسن[(٣)]، وأبي عبيد[(٤)].

ومثل: البُخاريِّ[(٥)]، وأبي داود[(٦)]، وإبراهيم الحربيِّ[(٧)].

ومثل: الفُضَيل بن عِياض[(٨)]، . . . .

---

(١) الكامل في ضعفاء الرِّجال (١/ ٢٠٢).

وعبد الرَّحْمَن بن مهدي هو: أبو سعيد عبد الرَّحْمَن بن مهديِّ بن حسَّان العنبريُّ البصريُّ، ولد سنة (١٣٥هـ)، إمامٌ ناقدٌ مُجَوِّدٌ، وسَيِّدُ الحُفَّاظ، توفي رحمه الله سنة (١٩٨هـ). تهذيب الكمال (١٧/ ٤٣٠)، سير أعلام النبلاء (٩/ ١٩٢).

(٢) أخبار أبي حنيفة وأصحابه (ص١٣٢).

وأبو يوسف هو: يعقوب بن إبراهيم بن حبيب الأنصاريُّ، ولد سنة (١١٣هـ)، صاحبُ أبي حنيفة، علَّامةٌ مجتهد، توفي رحمه الله سنة (١٨٢هـ). سير أعلام النبلاء (٨/ ٥٣٥)، تاج التراجم (ص٣١٦).

(٣) أخبار أبي حنيفة وأصحابه (ص١٣٢).

ومُحمَّد بن الحسن هو: أبو عبد اللَّه مُحمَّد بن الحسن بن فَرْقَد الشَّيبانيُّ الكوفيُّ، ولد سنة (١٣٢هـ)، صاحبُ أبي حنيفة، علَّامةٌ، فقيهُ العراق، توفي رحمه الله سنة (١٨٩هـ). سير أعلام النبلاء (٩/ ١٣٤)، الجواهر المضية في طبقات الحنفية (٢/ ٤٢).

(٤) السُّنَّة لأبي بكر بن الخلَّال (٢/ ٤٠٤).

وأبو عبيد هو: القاسم بن سَلَّام بن عبد اللَّه، ولد سنة (١٥٧هـ)، إمامٌ حافظٌ مجتهدٌ، صاحب التَّصانيف المشهورة؛ منها: كتاب «الأموال»، توفي رحمه الله سنة (٢٢٤هـ). تهذيب الكمال (٢٣/ ٣٥٤)، سير أعلام النبلاء (١٠/ ٤٩٠).

(٥) في صحيحه (٥/ ٤)، حيث بَوَّب: «باب فَضْلِ أبي بَكرٍ بعد النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم».

(٦) في سننه (٤/ ٢٠٦)، حيث بَوَّب: «باب في التَّفضيل»، ثم بدأ بذكر الأحاديث التي تدلُّ على تفضيل أبي بَكرٍ وعُمرَ رضي الله عنهما على غيرهما من الصَّحابة.

(٧) هو: أبو إسحاق إبراهيم بن إسحاق بن إبراهيم البغداديُّ، الحربيُّ، الحنبليُّ، ولد سنة (١٩٨هـ)، كان إماماً في العِلم، رأساً في الزُّهد، عارفاً بالفقه، توفي رحمه الله سنة (٢٨٥هـ). طبقات الحنابلة (١/ ٨٦)، سير أعلام النبلاء (١٣/ ٣٥٦).

(٨) شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة (٨/ ١٤٥١)، رقم (٢٦١٨).

والفُضَيل بن عِياض هو: أبو عليٍّ الفُضَيل بن عِياض بن مسعود التَّميميُّ اليربوعيُّ، ولد سنة =

وأبي سليمان الدَّارانيِّ(١)، ومعروف الكَرْخيِّ(٢)، والسَّرِيِّ السَّقَطِيِّ(٣)، والجُنَيد(٤)، وسهل بن عبد اللَّه التُّسْتَرِيِّ(٥).

ومَنْ لا يُحصِي عَددَهم إلَّا اللَّه ممَّنْ له في الإسلام لِسان صِدقٍ، كلُّهم يجزمون بتقديم أبي بَكرٍ وعُمرَ؛ كما يجزمون بإمامتهما - مع فَرْط اجتهادهم في متابعة النَّبيِّ ﷺ وموالاته -.

فهل يُوجِب هذا إلَّا ما عَلِموه مِنْ تقديمه هو لأبي بَكرٍ وعُمرَ، وتفضيله لهما بالمحبَّة، والثَّناء، والمشاورة، وغير ذلك من أسباب التَّفضيل؟!

ولَمَّا سأل الرَّشيدُ مالكَ بن أَنسٍ عن منزلتهما من النَّبيِّ ﷺ قال: «مَنْزِلَتُهُمَا منه في حياته كمَنْزِلَتِهِمَا منه في مماته، فقال: شَفَيْتَنِي يا

= (١٠٥هـ)، إمامٌ ثَبْتٌ، شيخُ الإسلام، وأحد العبَّاد، توفي رحمه الله سنة (١٨٧هـ). سير أعلام النبلاء (٨/ ٤٢١)، طبقات الحُفَّاظ للسيوطي (ص١١٠).

(١) هو: أبو سليمان عبد الرَّحْمَن بن أحمد الدَّارانيُّ، ولد سنة (١٤٠هـ)، إمامٌ زاهدٌ، توفي رحمه الله سنة (٢١٥هـ). وفيات الأعيان (٣/ ١٣١)، سير أعلام النبلاء (١٠/ ١٨٢).

(٢) هو: أبو محفوظ معروف بن فيروز الكَرْخيُّ البغداديُّ، عَلَم الزُّهاد، توفي رحمه الله سنة (٢٠٠هـ). وفيات الأعيان (٥/ ٢٣١)، سير أعلام النبلاء (٩/ ٣٣٩).

(٣) هو: أبو الحسن السَّرِيُّ بن المُغَلِّس السَّقَطِيُّ البغداديُّ، ولد في حدود سنة (١٦٠هـ)، إمامٌ قدوةٌ، كان أوحدَ زمانه في الوَرَع، توفي رحمه الله سنة (٢٥٣هـ). وفيات الأعيان (٢/ ٣٥٧)، سير أعلام النبلاء (١٢/ ١٨٥).

(٤) هو: أبو القاسم الجُنَيْد بن مُحمَّد بن الجُنَيْد النَّهاونديُّ ثمَّ البغداديُّ، القواريريُّ، ولد سنة نيِّفٍ وعشرين ومئتين، تَفَقَّه على أبي ثور، ولم يُرَ في زمانه مثله في عِفَّةٍ وعُزُوفٍ عن الدُّنيا، توفي رحمه الله سنة (٢٩٧هـ). طبقات الصُّوفية (ص١٢٩)، سير أعلام النبلاء (١٤/ ٦٦).

(٥) هو: أبو مُحمَّد سهل بن عبد اللَّه بن يونس التُّسْتَرِيُّ، لم يكن له في وقتِه نظيرٌ في المعاملات والوَرَع، توفي رحمه الله سنة (٢٨٣هـ). وفيات الأعيان (٢/ ٤٢٩)، سير أعلام النبلاء (١٣/ ٣٣٠).

مالكُ، شَفَيْتَنِي يا مالكُ»[(١)][(٢)].

٥ - وأَعداءُ النَّبيِّ يَعلَمُون أَفضليَّة أبي بَكرٍ وعُمرَ ويَخشَونهما:

تَقديمُ النَّبيِّ ﷺ، وتَفضيلُه له، وتَخصيصُه بالتَّعظيم؛ قد ظهر للخاصِّ والعامِّ، حتى أعداء النَّبيِّ ﷺ - من المشركين وأهل الكتاب والمنافقين - يَعلَمُون أنَّ لأبي بَكرٍ من الاختصاص ما ليس لغيره، ويخافونه.

فقد ثَبَتَ في الصِّحاح[(٣)] والمسانيد[(٤)] والسُّنن[(٥)] والمغازي[(٦)] واتَّفق عليه النَّاس: أنَّه لَمَّا كان يوم أُحُدٍ وانهزم المسلمون، صَعِد أبو سفيان إلى الجبل فقال: «أَفِي القَوْمِ مُحَمَّدٌ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: لَا تُجِيبُوهُ، فَقَالَ: أَفِي القَوْمِ ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: لَا تُجِيبُوهُ، فَقَالَ: أَفِي القَوْمِ ابْنُ الخَطَّابِ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: لَا تُجِيبُوهُ، فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ: أَمَّا هَؤُلَاءِ

---

(١) رواه اللَّالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة (٧/ ١٣٧٨)، رقم (٢٤٦١).

(٢) منهاج السُّنَّة النَّبويَّة (٤/ ٧٧، ١٣٦)، (١/ ٢٢٤).

قال الوالد رحمه الله: «وأخرج الحاكم وصحَّحه (٣/ ٨٣)، رقم (٤٤٦٥)، عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: (مَا رَآهُ المُسْلِمُونَ حَسَناً فَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ حَسَنٌ، وَمَا رَآهُ المُسْلِمُونَ سَيِّئاً فَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ سَيِّءٌ، وَقَدْ رَأَى الصَّحَابَةُ أَنْ يَسْتَخْلِفُوا أَبَا بَكْرٍ) تاريخ الخلفاء للسُّيوطيِّ (ص٥٥).

وأخرج البيهقي في معرفة السنن والآثار (١/ ١٩٣)، رقم (٣٥٣)، (٣٥٤)، عن الزَّعفرانيِّ قال: سمعت الشَّافعيَّ يقول: (أَجْمَعَ النَّاسُ على خِلَافَةِ أبي بَكرٍ الصِّدِّيق، وذلك أنَّه اضطر النَّاس بعد رسول اللَّه ﷺ فلم يَجِدُوا تَحتَ أَدِيمِ السَّمَاءِ خَيْراً مِنْ أبي بَكرٍ فوَلَّوْه رِقَابَهُم) تاريخ الخلفاء للسُّيوطيِّ (ص٥٥)».

(٣) كما في صحيح البخاريِّ، كتاب المغازي، باب غزوة أُحُد، رقم (٤٠٤٣)، من حديث البراء بن عازب رضي الله عنهما.

(٤) كما في مسند أحمد، رقم (١٨٥٩٣)، من حديث البراء بن عازب رضي الله عنهما.

(٥) كما في السُّنن الكبرى للنَّسائيِّ، كتاب السِّيَر، التَّعْبِئة، رقم (٨٥٨١)، من حديث البراء بن عازب رضي الله عنهما.

(٦) كما في مغازي الواقدي (١/ ٢٩٧).

فَقَدْ كُفِيتُمُوهُمْ، فَلَمْ يَمْلِكْ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ نَفْسَهُ أَنْ قَالَ: كَذَبْتَ يَا عَدُوَّ اللَّهِ، إِنَّ الَّذِينَ ذَكَرْتَ لَأَحْيَاءٌ، وَقَدْ بَقِيَ لَكَ مَا يَسُوؤُكَ»[١].

فهذا مُقَدَّم الكفَّار - إذ ذاك - لم يَسأَلْ إلَّا عن النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأبي بَكرٍ وعُمرَ؛ لعِلْمِه وعِلْم الخاصِّ والعامِّ: أنَّ هؤلاء الثَّلاثة هم رؤوس هذا الأمر، وأنَّ قِيامَه بهم.

ودلَّ ذلك على أنَّه كان ظاهراً عند الكفَّار أنَّ هَذَيْن وزَيرَاه، وبهما تمامُ أَمْرِه، وأنَّهما أخصُّ النَّاس به، وأنَّ لهما من السَّعي في إظهار الإسلام ما ليس لغيرهما، وهذا أَمرٌ مَعلومٌ للكفَّار فضلاً عن المسلمين.

حتى إنِّي أَعلَم طائفةً من حُذَّاق المنافقين - ممَّنْ يقول: إنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان رجلاً عاقلاً أقام الرِّياسة بعقله وحِذقه - يقولون: إنَّ أبا بَكرٍ كان مُباطِناً له على ذلك، يَعلَم أَسرَارَه؛ بخلاف عُمرَ وعُثمانَ وعَلِيٍّ.

فقد ظهر لعامَّة الخلائق أنَّ أبا بَكرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَخصُّ النَّاس بمُحمَّد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهذا النَّبيُّ وهذا صِدِّيقه، فإذا كان مُحمَّدٌ أَفضل النَّبيِّين، فصِدِّيقه أَفضل الصِّدِّيقين.

فكثرة الاختصاص، والصُّحبة، مع كمال المودَّة، والإسلام، والمحبَّة، والمشاركة في العِلم؛ تقتضي أنَّهما أَحقُّ بالخِلَافَة مِنْ غَيرِهما[٢].



(١) قال الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ: «انظر الهدي النَّبويَّ - زاد المعاد - لابن القيِّم (٣/ ١٨١): الفائدة في ترك إجابتهم أوَّلاً، وأنَّه لم ينهه عن ترك إجابتهم لَمَّا قال: (أَمَّا هَؤُلَاءِ فَقَدْ كُفِيتُمُوهُمْ)، وأَمَر بإجابتهم عند قولهم: (اعْلُ هُبَلُ)».

(٢) منهاج السُّنَّة النَّبويَّة (٤/ ٥٤، ١٣٥-١٤٠، ١٠٤)، (١/ ١٨٨).

قال الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ: «ملحوظة: هذا التَّرتيب ووضع الأرقام مِن اجتهادي خصوصاً فيما يتعلَّق بالخِلَافَة».

وَالصَّحِيحُ مِنَ الأَحَادِيثِ لَا يَدُلُّ عَلَى أَفْضَلِيَّةِ عَلِيٍّ وَلَا عِصْمَتِهِ وَلَا أَحَقِّيَّتِهِ بِالخِلَافَةِ بَعْدَ النَّبِيِّ ﷺ

١ - حَدِيثُ الغَدِيرِ:

لفظ الحديث الذي في صحيح مُسلم[(١)]: عن زيد بنِ أَرقم رضي الله عنه[(٢)] قال: «قَامَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَطِيباً، بِمَاءٍ يُدْعَى: (خُمّاً)[(٣)]، بَيْنَ مَكَّةَ وَالمَدِينَةِ، فَقَالَ: أَمَّا بَعْدُ، أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَنِي رَسُولُ رَبِّي فَأُجِيبَ رَبِّي، وَإِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ[(٤)]، أَوَّلُهُمَا: كِتَابُ اللَّهِ فِيهِ الهُدَى وَالنُّورُ، فَخُذُوا بِكِتَابِ اللَّهِ، وَاسْتَمْسِكُوا بِهِ، فَحَثَّ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ وَرَغَّبَ فِيهِ، ثُمَّ قَالَ: وَأَهْلُ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللَّهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي».

هذا اللَّفظُ يدلُّ على أنَّ الذي أُمرنا بالتَّمسُّكِ به، وجُعِل المستمسك به لا يضلُّ هو: كتاب اللَّه.

---

(١) سبق تخريجه (ص١٩٦).

(٢) هو: أبو عمر زيد بن أرقم بن زيد الأنصاريُّ الخزرجيُّ رضي الله عنه، أوَّل مشاهده الخندق، وغزا مع النَّبيِّ ﷺ سبع عشرة غزوة، وشَهِد صِفِّين مع عليٍّ رضي الله عنه، توفي بالكوفة سنة (٦٦هـ). أُسْد الغابة في معرفة الصَّحابة (٢/ ١٢٤)، الإصابة في تمييز الصَّحابة (٢/ ٤٨٧).

(٣) قال الوالد رحمه الله: «خُمٌّ: اسمٌ لغيطة على ثلاثة أميال من الجُحْفَة، غدير مشهور يضاف إلى الغيطة فيقال: غدير خُمٍّ» معجم البلدان (٢/ ٣٨٩).

(٤) قال الوالد رحمه الله: «سُمِّيا: (ثَقَلَيْن)؛ لِعِظَمهما وكُبْر شأنهما، وقيل: لِثِقَل العمل بهما» شرح النووي على مسلم (١٥/ ١٨٠).

وهكذا جاء في غير هذا الحديث، كما في صَحيحِ مُسلمٍ(١) عن جَابرٍ رضي الله عنه في حجَّة الوداع لَمَّا خطب يوم عرفة، وقال: «وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إِنِ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ: كِتَابَ اللَّهِ».

وتذكُّر الأمَّة لهم؛ يقتضي أنْ يَذْكروا ما تقدَّم الأمر به قبل ذلك: مِنْ إعطائهم حقوقهم، والامتناع عَنْ ظلمهم، وهذا أَمرٌ قد تقدَّم بيانه قبل غَدِير خُمٍّ.

فعُلِم أنَّه لم يكن في غَدِير خُمٍّ أَمرٌ بشَرعٍ نزل إذ ذاك، لا في حقِّ عَلِيٍّ رضي الله عنه، ولا في حقِّ غَيرِه، لا بإمامةٍ، ولا بغَيرِها.

وهذا الحديث ممَّا انفرد به مُسلمٌ، ولم يَرْوِه البُخاريُّ.

وقد رواه التِّرمذيُّ(٢)، وزاد فيه: «وَإِنَّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الحَوْضَ».

وقد سُئِل عنه الإمام أحمد بن حنبل فضعَّفه(٣)، وضعَّفه غَيرُ وَاحِدٍ مِنْ أَهلِ العِلم وقالوا: لا يَصحُّ(٤).

(١) كتاب الحجِّ، باب حجَّة النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم، رقم (١٢١٨).

(٢) أبواب المناقب، باب مناقب أهل بيت النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم، رقم (٣٧٨٨).

(٣) قال في المنتخب من العِلَل للخلَّال (ص٢٠٦): «قال - أي: الأثرم -: وحَدَّثَنا - يعني: الإمام أحمد - بحديث عبد الملك، عن عطيَّة، عن أبي سعيدٍ رضي الله عنه، عن النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم: (إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمُ الثَّقَلَيْنِ)، فلَمَّا فرغ منه، قال: أحاديث الكوفيِّين هذه مناكير».

(٤) كأبي الفرج ابن الجوزيِّ رحمه الله. العِلَل المتناهية في الأحاديث الواهية (١/ ٢٦٨).

والذين اعتقدوا صحَّة هذه الزِّيادة[(١)] قالوا: إنَّما يدلُّ على أنَّ مَجموعَ العِتْرة[(٢)] - الذين هم بنو هاشم - لا يتَّفقون على ضلالةٍ، والعِتْرة لم تجتمع على إمامته[(٣)]، ولا أَفضليَّته؛ بل أئمَّة العِتْرة - كابن عبَّاسٍ وغَيرِه - يُقدِّمون أبا بَكرٍ وعُمرَ.

والنَّقل الثَّابت عَنْ جَمِيعِ علماء أهل البيت من بني هاشم - من التَّابعين وتابعيهم مِنْ وَلَد الحسين بن عَلِيٍّ[(٤)]، وولد الحسن[(٥)]، وغَيرِهما - أنَّهم كانوا يَتولَّوْن أبا بَكرٍ وعُمرَ، وكانوا يفضِّلونَهما على عَلِيٍّ[(٦)].

---

(١) كالقاضي أبي يعلى. المُسَوَّدة في أصول الفقه (ص٣٣٣).

(٢) عِترة الرَّجل: نَسْلُه ورَهْطُه الأدنَوْن. الصِّحاح (٢/ ٧٣٥)، المطلع على ألفاظ المقنع (ص٣٤٨).

(٣) قال الوالد رَحِمَهُ اللهُ: «إمَامَة عَلِيٍّ، قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ في البداية والنِّهاية (١٠/ ٤١٨): (وأمَّا ما يفتريه كَثيرٌ مِنْ جَهلَة الشِّيعَة والقُصَّاص الأغبياء، مِنْ أنَّه أَوْصَى إلى عَلِيٍّ بالخِلَافَة، فكَذِبٌ وبَهْتٌ وافْتِراءٌ عَظيمٌ يَلزَمُ منه خطأٌ كبيرٌ؛ مِنْ تَخوين الصَّحابة ومُمَالأَتِهم بعده على ترك إنفاذ وصيَّته وإيصالها إلى مَنْ أوصى إليه، وصَرْفِهم إيَّاها إلى غيره، لا لمعنىً ولا لسبب.
وكلُّ مؤمن باللَّه ورسوله يَتحقَّق أنَّ دينَ الإسلام هو الحقُّ، يَعلَم بُطلان هذا الافتراء؛ لأنَّ الصَّحابةَ كانوا خير الخَلْقِ بعد الأنبياء، وهم خير قرون هذه الأمَّة التي هي أشرف الأُمَم بنصِّ القرآن وإجماع السَّلَف والخَلَف)».

(٤) هو: أبو عبد اللَّه الحسين بن عليِّ بن أبي طالبٍ القُرشيُّ الهاشميُّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، ولد سنة (٤هـ)، سِبْط رسول اللَّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ورَيْحَانَتُه، قُتِل سنة (٦١هـ). أُسْد الغابة في معرفة الصَّحابة (١/ ٤٩٥)، الإصابة في تمييز الصَّحابة (٢/ ٦٧).

(٥) هو: أبو مُحمَّد الحسن بن عليِّ بن أبي طالبٍ القُرشيُّ الهاشميُّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، ولد سنة (٣هـ)، سِبْط رسول اللَّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ورَيْحَانَتُه، توفي سنة (٤٩هـ). أُسْد الغابة في معرفة الصَّحابة (١/ ٤٨٧)، الإصابة في تمييز الصَّحابة (٢/ ٦٠).

(٦) كما رُوِيَ عن مُحمَّد بن الحَنَفِيَّة رَحِمَهُ اللهُ قال: «قُلْتُ لِأَبِي: أَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قَالَ: أَبُو بَكْرٍ، قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: ثُمَّ عُمَرُ، وَخَشِيتُ أَنْ يَقُولَ عُثْمَانُ، قُلْتُ: ثُمَّ أَنْتَ؟ قَالَ: مَا أَنَا إِلَّا رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ» رواه البخاري، رقم (٣٦٧١).

وقد صنَّف الدَّارقطنيُّ[(١)] كتاب «ثناء الصَّحابة على القَرَابَة، وثناء القَرَابَة على الصَّحابة».

وأهل السُّنَّة لا يُنازِعون في كمال عَلِيٍّ، وأنَّه في الدَّرجة العليا من الكمال، وإنَّما النِّزاع في كونه أَكملَ من الثَّلاثة، وأَحقَّ بالخِلَافَة منهم[(٢)].

(١) هو: أبو الحسن عليُّ بن عمر بن أحمد البغداديُّ الدَّارقطنيُّ، الشَّافعيُّ، ولد سنة (٣٠٦هـ)، حافظ شهير، وإمام مُجَوِّد، صاحب كتاب «السُّنن»، توفي رحمه الله سنة (٣٨٥هـ). وفيات الأعيان (٣/ ٢٩٧)، تذكرة الحُفَّاظ للذهبي (٣/ ١٣٢).

(٢) منهاج السُّنَّة النَّبويَّة (٢/ ٣٢٥، ٣٢٦)، (٤/ ١٠٤، ٨٥).

٢ - حَدِيثُ المُبَاهَلَةِ[١]:

رواه مُسلمٌ[٢]، عن سعد بن أبي وقَّاصٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ[٣] قال في حديثٍ طَويلٍ: «لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ﴾ [آل عمران:٦١]؛ دَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلِيّاً وَفَاطِمَةَ وَحَسَناً وَحُسَيْناً؛ فَقَالَ: اللَّهُمَّ هَؤُلَاءِ أَهْلِي».

ولكن لا دلالة فيه على الإمامة، ولا على الأفضليَّة، فقد شَرَك عَلِيّاً فيه فاطمةُ والحسنُ والحسينُ؛ فعُلِم أنَّ ذلك لا يختصُّ بالرِّجال، ولا بالذُّكور، ولا بالأئمَّة؛ بل شَرَكه فيه المرأةُ والصَّبيُّ؛ فإنَّ الحسنَ والحُسينَ كانا صغيرَيْن وقت المُبَاهَلَة.

وإنَّما دعا هؤلاء؛ لأنَّه أَمَر أنْ يَدعُو كلُّ واحدٍ الأقربين، والأبناءَ، والنِّساء والأنْفُس؛ فدعا الواحدُ من أولئك أبناءَه، ونساءَه، وأخصَّ الرِّجال به نسباً، وهؤلاء أقرب النَّاس إلى النَّبيِّ ﷺ نسباً، وإنْ كان غيرُهم أفضلَ منهم عنده، فلم يُؤمَر أن يدعو أفضل أتباعه؛ لأنَّ المقصود أن يدعو كلُّ وَاحدٍ منهم أَخصَّ النَّاس به؛ لِمَا في جِبِلَّة الإنسان من الخوف عليه، وعلى ذي رَحِمِه الأقربين إليه.

---

(١) المُباهلة: المُلاعنة، بأن يَجتمع القوم - عند اختلافهم -؛ فيقولوا: لعنة اللَّه على الظَّالم منَّا. الصحاح (٤/ ١٦٤٣)، طلبة الطلبة (ص٥٥)، لسان العرب (١١/ ٧٢).

(٢) كتاب فضائل الصَّحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ، باب من فضائل عليِّ بن أبي طالبٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، رقم (٢٤٠٤).

(٣) هو: سعد بن أبي وقَّاصٍ - واسم أبي وقَّاصٍ: مالك - بن أُهيب القُرشيُّ الزُّهريُّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، كان سابع سبعة في الإسلام، وأحد العشرة المُبشَّرين بالجَنَّة، ومن السِّتَّة الذين جعل عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ فيهم الشُّورى، توفي سنة (٥٤هـ). الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٢/ ٦٠٦)، أُسْد الغابة في معرفة الصَّحابة (٢/ ٢١٤).

وقوله: ﴿وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ﴾ [آل عمران: ٦١]؛ أي: رجالنا ورجالكم، أي: الرِّجال الذين هم مِنْ جِنسِنا في الدِّين والنَّسَب، والرِّجال الذين هم مِنْ جِنْسِكم[(١)]، والمراد: التَّجانس في القرابة فقط، وكون عَلِيٍّ تعيَّن للمُبَاهَلَة - إذ ليس في الأقارب مَنْ يَقومُ مقامه[(٢)] - لا يُوجِب أنْ يكون مُساوِياً للنَّبيِّ ﷺ في شيءٍ من الأشياء؛ بل لا يكون أفضل من سائر الصَّحابة مطلقاً؛ بل له بالمُبَاهَلَة نَوعُ فضيلة، وهي مشتركة بينه وبين فاطمة وحسن وحسين[(٣)].

(١) تفسير البغوي (١/ ٤٥٠).

(٢) قال الوالد رحمه الله: «لأنَّه لم يكن قد بَقِي من أعمامه إلَّا العبَّاس، والعبَّاس لم يكن من السَّابقين الأوَّلين، ولا كان له به اختصاص كعليٍّ، وأمَّا بنو عمِّه فلم يكن فيهم مثل عليٍّ، وكان جعفر قد قُتِل قبل ذلك» منهاج السُّنَّة النَّبويَّة - ط جامعة الإمام - (٧/ ١٢٦).

(٣) منهاج السُّنَّة النَّبويَّة (٤/ ٣٤)، (٣/ ١١)، (٢/ ١٢٥، ١٢٦).

٣ - حَدِيثُ الكِسَاءِ:

روى مُسلمٌ[(١)] عن عائشة رضي الله عنها قالت: «خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ غَدَاةً، وَعَلَيْهِ مِرْطٌ[(٢)] مُرَحَّلٌ[(٣)] مِنْ شَعَرٍ أَسْوَدَ، فَجَاءَ الحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ فَأَدْخَلَهُ، ثُمَّ جَاءَ الحُسَيْنُ فَدَخَلَ مَعَهُ، ثُمَّ جَاءَتْ فَاطِمَةُ فَأَدْخَلَهَا، ثُمَّ جَاءَ عَلِيٌّ فَأَدْخَلَهُ، ثُمَّ قَالَ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب:٣٣]»، ولكن ليس في هذا دلالة على عِصْمَتِهم، ولا إِمَامَتِهم.

وتحقيق ذلك في مقامين:

أحدهما: أنَّ قولَه: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ كقوله: ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ﴾ [المائدة:٦]، وكقوله: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة:١٨٥]، وكقوله: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ﴾ الآيتين [النساء:٢٦، ٢٧]، فإرادة اللَّه في هذه الآيات مُتضمِّنة لمحبَّة اللَّه لذلك المراد، ورضاه به، وأنَّه شَرَعَه للمؤمنين، وأَمَرَهُم به، ليس في ذلك أنَّه خَلَق هذا المراد، ولا أنَّه قضاه وقدَّره، ولا أنَّه يكون لا محالة.

والدَّليل على ذلك: أنَّ النَّبيَّ ﷺ - بعد نزول هذه الآية - قال:

---

(١) كتاب فضائل الصَّحابة رضي الله عنهم، باب فضائل أهل بيت النَّبيِّ ﷺ، رقم (٢٤٢٤).

(٢) المِرْط: كساء يكون مِنْ صُوفٍ، وربَّما كان مِنْ خَزٍّ أو غَيرِه. النهاية في غريب الحديث والأثر (٤/ ٣١٩).

(٣) أي: نُقِش فيه تصاوير الرِّحَال. النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/ ٢١٠).

«اللَّهُمَّ إِنَّ هُؤَلَاءِ أَهْلُ بَيْتِي فَأَذْهِبْ عَنْهُمُ الرِّجْسَ، وَطَهِّرْهُمْ تَطْهِيراً»(١)، وهذا دليلٌ على أنَّه لم يُخبَر بوقوعِ ذلك، فإنَّه لو كان وقع؛ لكان يُثنِي على اللَّه بوقوعه، ويشكره على ذلك؛ لا يقتصر على مجرَّد الدُّعاء(٢).

وممَّا يبيِّن ذلك: أنَّ أزواجَ النَّبيِّ ﷺ مذكورات في الآية، والكلام في الأمر بالتَّطهير بإيجابه، ووعْد الثَّواب على فعْله، والعقاب على ترْكه، قال تعالى: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٠-٣٣].

فالخطاب كلُّه لأزواج النَّبيِّ - ومعهنَّ الأمر والنَّهي والوعد والوعيد -؛ لكن لَمَّا تبيَّن ما في هذا من المنفعة التي تعمُّهنَّ وتعمُّ غيرهنَّ من أهل البيت، جاء التَّطهير بهذا الخطاب وغيره ليس مُختصّاً بأزواجه؛ بل هو متناوِلٌ لأهل البيت كلِّهم، وعليٌّ وفاطمةُ والحسنُ والحُسينُ أَخصُّ مِنْ غَيرِهم بذلك؛ ولذلك خصَّهم النَّبيُّ ﷺ بالدُّعاء لهم.

المقام الثَّاني: أنْ نقولَ: هَبْ أنَّ القرآنَ دلَّ على طهارتهم، وعلى إذهاب الرِّجس عنهم؛ لكن ليس في ذلك ما يدلُّ على العِصمة من الخطإِ.

---

(١) رواه أحمد في المسند، رقم (٢٦٥٠٨)، من حديث أمِّ سلمة رضي الله عنها.

(٢) قال الوالد رحمه الله: «ويُفهَم مِنْ هذا أنَّ عبارة: (... آله الطَّيِّبين الطَّاهرين) لا تَصلُح؛ لأنَّها من باب الخبر، وما في الآية والحديث من باب الطَّلب، ففَرْقٌ بين الإرادة الشَّرعيَّة، والإرادة الكونيَّة القَدَريَّة».

والدَّليل عليه: أنَّ اللَّه لم يُرِد بما أمر به أزواجَ النَّبيِّ ﷺ أن لا يَصدُر من واحدةٍ منهنَّ خطأٌ، فإنَّ الخطأ مغفورٌ لهنَّ ولغيرهنَّ.

والتَّطهير من الذَّنب: إمَّا بأنْ لا يفعله العبد، وإمَّا بأنْ يَتوبَ منه، كما قال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣]، فدعاء النَّبيِّ ﷺ بأنْ يطهِّرَهم تطهيراً؛ كدعائه بأنْ يُزَكِّيهم، ويُطَيِّبهم، ويجعلهم متَّقين، ونحو ذلك.

ومعلومٌ أنَّ مَن استقرَّ أَمرُه على ذلك فهو داخل في هذا؛ لا تكون الطَّهارة التي دعا بها لهم بأعظم ممَّا دعا به لنفسه، وقد قال: «اللَّهُمَّ طَهِّرْنِي مِنْ خَطَايَايَ بِالثَّلْجِ وَالبَرَدِ وَالمَاءِ البَارِدِ»(١)، فمَن وَقَع ذَنْبُه مغفوراً - أو مُكَفَّراً - فقد طهَّره اللَّه منه تطهيراً، ولكن مَنْ مات متوسِّخاً بذنوبه؛ فإنَّه لم يُطهَّر منها في حياته.

وبالجملة: فالتَّطهير الذي أراده اللَّه والذي دعا به النَّبيُّ ﷺ؛ ليس هو العِصمة بالاتِّفاق.

وقال الشَّيخ في مَوضعٍ آخَر: «واللَّهُ لم يُخبِر أنَّه طهَّر جميع أهل البيت، وأذهَبَ عنهم الرِّجس؛ فإنَّ هذا كذب على اللَّه، كيف ونحن نعلم أنَّ مِنْ بني هاشم مَنْ ليس بمُطَهَّر؟! ولأنَّه قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ

---

(١) رواه مسلم، كتاب الصَّلاة، باب ما يقول إذا رفع رأسه من الرُّكوع، رقم (٤٧٦)، من حديث عبد اللَّه بن أبي أوفى رضي الله عنهما، ولفظه: «اللَّهُمَّ طَهِّرْنِي بِالثَّلْجِ وَالبَرَدِ وَالمَاءِ البَارِدِ، اللَّهُمَّ طَهِّرْنِي مِنَ الذُّنُوبِ وَالخَطَايَا كَمَا يُنَقَّى الثَّوْبُ الأَبْيَضُ مِنَ الوَسَخِ».

لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾ [الأحزاب:٣٣]، وقد تقدَّم أنَّ هذا مثل قوله: ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ﴾ [المائدة:٦]، ونحو ذلك ممَّا فيه بيان أنَّ اللَّه يحبُّ ذلك لكم، ويرضاه لكم، ويأمركم به، فمَن فَعَله حصل له هذا المراد المحبوب، ومَنْ لم يفعله لم يحصل له ذلك»[1].

(١) منهاج السُّنَّة النَّبويَّة (٤/ ٢٠-٣٢)، (٢/ ٢١٩، ١٤٥، ١٤٦).

٤ - حَدِيثُ: «أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى»:

روى البُخاريُّ[(١)] بسنده، عن مصعب بن سعد[(٢)] عن أبيه «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَرَجَ إِلَى تَبُوكَ وَاسْتَخْلَفَ عَلِيّاً، فَقَالَ: أَتُخَلِّفُنِي فِي الصِّبْيَانِ وَالنِّسَاءِ؟ قَالَ: أَلَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى؟ إِلَّا أَنَّهُ لَيْسَ نَبِيٌّ بَعْدِي»، والحديث ثابت في الصَّحيحَيْن، لكن لا يدلُّ على الخِلَافَة بعد الموت؛ لما يأتي:

١. لم يكن هذا الاسْتِخْلَاف كاسْتِخْلَاف هارون؛ لأنَّ العسكر كان مع هارون، وإنَّما ذهب موسى وحده، وأمَّا اسْتِخْلَاف النَّبيِّ ﷺ؛ فجميع العسكر كان معه، ولم يتخلَّف بالمدينة - غير النِّساء والصِّبيان - إلَّا معذور أو عاصٍ.

فهو إنَّما خصَّ عليّاً لَمَّا توهَّم مِنْ وَهْن الاسْتِخْلَاف ونَقْص درجته، ومَن استخلفه سوى عليٍّ - لَمَّا لم يتوهَّموا أنَّ في الاسْتِخْلَاف نقصاً - لم يَحْتَجْ أن يُخبِرهم بمثل هذا الكلام.

٢. أنَّ هذا كما شبَّه أبا بَكرٍ بإبراهيم وعيسى، وشبَّه عُمرَ بنوحٍ

---

(١) كتاب المغازي، باب غزوة تبوك وهي غزوة العسرة، رقم (٤٤١٦).
وكذا رواه مسلم، كتاب فضائل الصَّحابة رضي الله عنهم، باب من فضائل عليٍّ بن أبي طالبٍ رضي الله عنه، رقم (٢٤٠٤).

(٢) هو: أبو زُرَارة مصعب بن سعد بن أبي وقَّاصٍ القُرشيُّ الزُّهريُّ، كان ثقةً كثير الحديث، توفي رحمه الله سنة (١٠٣هـ). الطبقات الكبرى (٥/ ١٦٩)، تقريب التهذيب (ص٥٣٣).

وموسى من الشِّدَّة في اللَّه، واللِّين في اللَّه[١]، لم يمتنع أن يكون في أُمَّته مَنْ يُشبِه إبراهيم وعيسى ونوحاً وموسى عليهم السلام؛ فالاختصاص بالكمال لا يمنع المشاركة في أصل التَّشبيه، وهؤلاء الأربعة أفضل من هارون، وكلٌّ مِنْ أبي بَكرٍ وعُمرَ شبَّهَه باثنين - لا بواحد -؛ فكان هذا التَّشبيه أعظم من تشبيه عليٍّ.

وكذلك هنا إنَّما هو بمنزلة هارون فيما دلَّ عليه السِّياق؛ وهو اسْتِخْلَافه في مغيبه؛ كما اسْتَخْلَف موسى هارون.

٣. أنَّه لو كان بمنزلة هارون مطلقاً لم يَسْتَخْلِف عليه أحداً، وقد كان يَسْتَخْلِف على المدينة غيرَه وهو فيها، كما اسْتَخْلَف على المدينة عام خيبر غيرَ عليٍّ، وكان عليٌّ بها أرمد[٢].

٤. أنَّ الاسْتِخْلاف في الحياة نوعُ نيابةٍ لا بدَّ منه لكلِّ ولِيِّ أمر، وليس كلُّ مَنْ يَصلُح للاسْتِخْلاف في الحياة على بعض الأمَّة يصلح أنْ يُسْتَخْلَف بعد الموت.

٥. أنَّ ذلك عام تبوك، ثمَّ بعد رجوع النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم بعث أبا بَكرٍ أميراً

---

(١) سبق تخريجه (ص٢٠٩).

(٢) الرَّمَد: وَرَمٌ حارٌّ يَعْرِضُ في الطَّبقة المُلْتَحِمة من العَيْنِ - وهو بياضُها الظَّاهر -. فتح الباري لابن حجر (١٠/ ١٥٧)، إرشاد الساري (٨/ ٣٧٣).
والحديث رواه البخاري، باب مناقب عليِّ بن أبي طالبٍ رضي الله عنه، رقم (٣٧٠٢)، ومسلم، كتاب فضائل الصَّحابة رضي الله عنهم، باب من فضائل عليِّ بن أبي طالبٍ رضي الله عنه، رقم (٢٤٠٧)، من حديث سلمة رضي الله عنه.

على المَوْسم، وأَردفَه بعليٍّ، فقال: «أَمِيرٌ، أَمْ مَأْمُورٌ؟»[١]، فكان أبو بَكرٍ أميراً عليه، وعَلِيٌّ - ومَنْ معه - كالمأمور مع أَميرِه؛ يُصَلِّي خَلْفَه، وينادي مع النَّاس بالمَوْسم أنْ: «لَا يَحُجَّ بَعْدَ العَامِ مُشْرِكٌ، وَلَا يَطُوفَ بِالبَيْتِ عُرْيَانٌ».

وإِنَّما أَرْدَفَه به لِيَنْبِذَ[٢] العهد إلى العرب؛ فإِنَّه كان مِنْ عاداتهم أَلَّا يعقد العقود ويَنْبِذها إِلَّا السَّيِّد المطاع، أو رَجلٌ مِنْ أَهلِ بيته.

٦. أَنَّه لو أراد أن يكون خليفةً على أُمَّته بعده؛ لم يكن هذا خطاباً بينهما يناجيه به، ولا كان أَخَّره حتى يجيء عَلِيٌّ ويشتكي.

وبالجملة؛ فالاسْتِخْلَافَات على المدينة ليست من خصائصه، ولا تدلُّ على الأَفضليَّة، ولا على الإمامة؛ بل قد اسْتَخْلَف عدداً غَيرَه[٣].

---

(١) قال الوالد رحمه الله: «قال: بَلْ مَأْمُورٌ، كما تقدَّم (ص١٦٨)».

(٢) أي: لِيَنقُض. لسان العرب (٣/ ٥١٢).

(٣) منهاج السُّنَّة النَّبويَّة (٤/ ٨٧-٩٢)، (٢/ ٢٢٤)، (٣/ ٨، ٩، ١٦). قال الوالد رحمه الله: «باختصارٍ وترتيب بالأرقام».

٥. حَدِيثُ: «أَقْضَاكُمْ عَلِيٌّ»:

لم يَرْوِهِ أَحدٌ من أهل الكتب السِّتَّة، ولا أهل المسانيد المشهورة - لا أحمد ولا غيره - بإسنادٍ صَحيحٍ ولا ضَعيفٍ؛ ولكن قال عمر رضي الله عنه: «أُبَيٌّ أَقْرَؤُنَا، وَعَلِيٌّ أَقْضَانَا»[١]، وهذا قاله بعد موت أُبَيٍّ.

والحديث الذي فيه ذِكْر عليٍّ - مع ضَعْفِه - فيه: أنَّ مُعاذَ بنَ جَبلٍ[٢] أَعلمُ بالحلال والحرام، وزَيدَ بنَ ثابتٍ أَعلَمُ بالفرائض[٣]، فلو قُدِّر صحَّة هذا الحديث؛ لكان الأعلمُ بالحلال والحرام أَوْسعَ عِلماً من الأعلم بالقضاء.

وقول عمر: «عَلِيٌّ أَقْضَانَا» إنَّما هو في فصل الخصومات في الظَّاهر مع جواز أنْ يكون في الباطن بخلافه، وعِلْمُ الحلال والحرام يتناول الباطن والظَّاهر[٤].



(١) رواه أحمد في المسند، رقم (٢١٠٨٤)، من حديث ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما.

(٢) هو: أبو عبد الرَّحْمَن معاذ بن جَبَل بن عمرو الأنصاريُّ الخزرجيُّ رضي الله عنه، ممَّنْ شَهِد العَقَبة وبَدْراً والمَشاهدَ كلَّها، وهو أَعلمَ الصَّحابة بالحلال والحرام، توفي سنة (١٨هـ). الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٣/ ١٤٠٢)، الإصابة في تمييز الصَّحابة (٦/ ١٠٧).

(٣) رواه ابن ماجه، فضائل زيد بن ثابت رضي الله عنه، رقم (١٥٤)، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٤) منهاج السُّنَّة النَّبويَّة (٤/ ١٣٨).

الأَحَادِيثُ المَكْذُوبَةُ

منها:

١ - تَصَدُّقُ عَلِيٍّ بِالخَاتَمِ فِي الصَّلَاةِ، وَأَنَّ آيَةَ ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ [المائدة: ٥٥] نَزَلَتْ فِيهِ[١]:

حديث: «تصدُّق عليٍّ بالخاتم في الصَّلاة» كَذبٌ باتِّفاق أهل المعرفة[٢].

الوجه الثَّاني عشر[٣]: أنَّ هذه الآية: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ إلى قوله: ﴿وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾ [المائدة: ٥٥]، نزلت في النَّهي عن موالاة الكفَّار، والأمرِ بموالاة المؤمنين؛ لمَّا كان بعض المنافقين - كعبد اللَّه بن أُبَيٍّ[٤] - يوالي اليهود، ويقول: «إِنِّي أَخَافُ الدَّوَائِرَ»،

---

(١) رواه الطَّبراني في المعجم الأوسط (٦/ ٢١٨)، رقم (٦٢٣٢)، من حديث عمَّار بن ياسرٍ رضي الله عنهما، ولفظه: «وَقَفَ عَلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ سَائِلٌ وَهُوَ رَاكِعٌ فِي تَطَوُّعٍ، فَنَزَعَ خَاتَمَهُ، فَأَعْطَاهُ السَّائِلَ، فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَعْلَمَهُ ذَلِكَ، فَنَزَلَتْ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ هَذِهِ الآيَةُ: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾ [المائدة: ٥٥]، فَقَرَأَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ قَالَ: مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ، اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ، وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ».

(٢) قال الوالد رحمه الله: «وذكر الشَّيخ رحمه الله وجوهاً في الجواب عنه إلى أن قال:...».

(٣) أي: من أوجه الرَّدِّ على استدلالهم بالآية على إمامة عَلِيٍّ رضي الله عنه.

(٤) هو: أبو الحُباب عبد اللَّه بن أُبَيِّ بن مالك الخَزرجيُّ، المشهور بـ«ابنِ سَلول»، وسَلول جدَّته لأبيه، رأس المنافقين بالمدينة، توفي سنة (٩هـ). الاشتقاق (ص٤٥٩)، المُؤْتَلِف والمُخْتَلِف للدارقطني (١/ ٤٨٠)، الأعلام للزِّركلي (٤/ ٦٥).

فقال عبادة بن الصَّامت رضي الله عنه[(١)]: «إِنِّي أَتَوَلَّى اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَأَبْرَأُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ مِنْ هَؤُلَاءِ الكُفَّارِ وَوِلَايَتِهِمْ»[(٢)].

ونقل ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما: أنَّها نزلت في أبي بَكرٍ[(٣)].

والآية عامَّةٌ في جميع المؤمنين المتَّصفين بجميع هذه الصِّفات، ولا تختصُّ بواحدٍ بعَيْنه؛ لا أبي بَكرٍ، ولا عُمرَ، ولا عُثمانَ، ولا عَلِيٍّ، ولا غَيرِهم؛ لكنَّ هؤلاء أَحقُّ الأمَّة بالدُّخول فيها.

إلى أنْ قال:

الوجه السَّادس عشر: أنَّ الفرقَ بين «الوَلاية» - بالفتح - «والوِلاية» - بالكسر - معروف، فالوَلاية ضدُّ العداوة[(٤)]، وهي المذكورة في هذه النُّصوص؛ ليست هي الوِلاية - بالكسر - التي هي الإمارة[(٥)(٦)].

---

(١) هو: أبو الوليد عُبَادَة بن الصَّامت بن قيس الأنصاريُّ الخَزرجيُّ رضي الله عنه، أحد النُّقباء، شَهِد العقبتَيْن وبَدْراً، والمَشاهدَ كلَّها، ورَوَى عن النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم كثيراً، توفي سنة (٣٤هـ). الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٢/ ٨٠٧)، الإصابة في تمييز الصَّحابة (٣/ ٥٠٥).

(٢) تفسير الطَّبري (٨/ ٥٠٤).

(٣) تفسير القرطبي (٦/ ٢٢١).

(٤) الصحاح (٦/ ٢٥٣٠).

(٥) الصحاح (٦/ ٢٥٣٠).

(٦) منهاج السُّنَّة النَّبويَّة (٤/ ٢-٩)، (١/ ٢٠٨)، مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٤/ ٤١٨).

٢ - حَدِيثُ: «مَنْ نَاصَبَ عَلِيّاً الخِلَافَةَ[١] فَهُوَ كَافِرٌ»[٢]:

هذه الأحاديث ممَّا يُعلَم بالاضطرار أنَّها كَذِبٌ على رسول اللَّه ﷺ، وأنَّها مناقِضَةٌ لدين الإسلام، وأنَّها تَستلزمُ تكفيرَ عَلِيٍّ[٣] وتكفيرَ مَنْ خَالَفَه، وأنَّه لم يَقُلْهَا مَنْ يؤمن باللَّه واليوم الآخر؛ بل إضافتها إلى رسول اللَّه ﷺ مِنْ أعظم القَدْح والطَّعن فيه[٤].

---

(١) أي: عادى خلافته. تاج العروس (٤/ ٢٧٧).

(٢) قال الوالد رحمه الله: «ذَكَر هذا الحديثَ، وحديثَ: (إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ رَأَى عَلِيّاً مُقْبِلاً فَقَالَ: أَنَا وَهَذَا حُجَّةُ اللَّهِ عَلَى أُمَّتِي يَوْمَ القِيَامَةِ)، وحديث: (مَنْ مَاتَ وَهُوَ يُبْغِضُكَ...) إلخ، ثمَّ قال: ...».

قلتُ: «حديث: (أَنَا وَهَذَا حُجَّةُ اللَّهِ...)، قال عنه ابن الجوزيِّ رحمه الله: (هذا حديثٌ مَوْضُوعٌ، والمُتَّهَم بوَضْعِه: مَطَرٌ) الموضوعات (١/ ٣٨٣).

وحديث: (مَنْ مَاتَ وَهُوَ يُبْغِضُك) لم أقف عليه، لكن رَوَى ابنُ الجوزيِّ لفظاً مُقارِباً له وهو: (مَنْ مَاتَ وَفِي قَلْبِهِ بُغْضٌ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ؛ فَلْيَمُتْ يَهُودِيّاً أَوْ نَصْرَانِيّاً)، ثمَّ قال عنه: (هذا حديثٌ مَوْضُوعٌ، والمُتَّهَم به: عليُّ بن قرين) الموضوعات (١/ ٣٨٥)».

منهاج السُّنَّة النَّبويَّة (٤/ ١٠٧-١٠٩)، (١/ ٢٠٨)، وانظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٤/ ٤١٨).

(٣) قلتُ: «قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (أمَّا الذين ناصبوه الخلافة فإنَّهم في هذا الحديث المفترى كفَّار، وأمَّا عَلِيٌّ فإنَّه لم يعمل بمُوجَب هذه النُّصوص؛ بل كان يجعلهم مؤمنين مسلمين، وشَرُّ مَنْ قاتلهم عليٌّ هم الخوارج، ومع هذا فلم يحكم فيهم بحكم الكفَّار؛ بل حَرَّم أموالهم وسَبْيَهم...، وبالجملة نحن نعلم بالاضطرار من سيرة عَلِيٍّ رضي الله عنه أنَّه لم يكن يُكَفِّر الذين قاتلوه؛ بل ولا جمهور المسلمين)» منهاج السُّنَّة النَّبويَّة - ط جامعة الإمام - (٧/ ٤٠٥-٤٠٦).

(٤) منهاج السُّنَّة النَّبويَّة (٤/ ١٠٧-١٠٩)، وانظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٤/ ٤١٨).

٣ - حَدِيثُ: أَنَّهُ قَالَ لِعَلِيٍّ: «أَنْتَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ أَخِي وَوَصِيِّي وَخَلِيفَتِي مِنْ بَعْدِي وَقَاضِي دَيْنِي»:

كَذِبٌ موضوعٌ باتِّفاق أهل العِلم بالحديث[(١)]، وقد تقدَّم كلام ابن حَزْمٍ[(٢)]: «أنَّ سائر هذه الأحاديث موضوعة، يَعلم ذلك مَنْ له أدنى عِلم بالأخبار ونقلِها»[(٣)]، وقد صَدَق في ذلك؛ لذلك لم يُخَرِّجه أحدٌ من أهل الحديث في الكتب التي يُحْتَجُّ بما فيها[(٤)].

---

(١) ذخيرة الحُفَّاظ (٣/ ١٥٨٨)، الموضوعات لابن الجوزي (١/ ٣٧٨).

(٢) في منهاج السُّنَّة النَّبويَّة - ط جامعة الإمام - (٧/ ٣٢١).

وابنُ حزم هو: أبو مُحمَّد عليُّ بن أحمد بن سعيد بن حَزْمٍ الفارسيُّ الأصل، ثمَّ الأندلسيُّ القُرطبيُّ، ولد سنة (٣٨٤هـ)، عالم، فقيه، إمام أهل الظَّاهر، من نفاة الصِّفات مع تعظيمه للحديث والسُّنَّة، كثير التَّصنيف، توفي رحمه الله سنة (٤٥٦هـ). بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس (ص٤١٥)، منهاج السُّنَّة النَّبويَّة - ط جامعة الإمام - (٢/ ٥٨٤)، سير أعلام النبلاء (١٨/ ١٨٤).

(٣) الفصل في المِلَل والأهواء والنِّحَل (٤/ ١١٦).

(٤) منهاج السُّنَّة النَّبويَّة (٤/ ٩٥).

٤ - حَدِيثُ: «إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيَّ عَهْداً فِي عَلِيٍّ، وَأَنَّهُ إِمَامُ الهُدَى، وَإِمَامُ الأَوْلِيَاءِ، وَهُوَ الكَلِمَةُ الَّتِي أَلْزَمَهَا لِلْمُتَّقِينَ»:

كَذِبٌ مَوْضُوعٌ باتِّفاق أهل المعرفة بالحديث والعِلم[١].

ومجرَّد رواية صاحب «الحِلية»[٢] ونحوه لا تفيد، ولا تدلُّ على الصِّحَّة، والآفة ممَّنْ فوقهم.

وقوله في الحديث: «هُوَ كَلِمَةُ التَّقْوَى» وتَسميتُه: «كَلِمَة» ممَّا يبيِّن أنَّ هذا كَذِبٌ؛ فإنَّ تَسميتَه: «كَلِمَة» مِنْ جِنس تَسمِيَةِ المَسِيح: «كَلِمَة اللَّه»، والمَسِيح سُمِّي بذلك؛ لأنَّ مَثَلَه عند اللَّه كمَثَل آدم؛ خَلَقَهُ مِنْ تُرابٍ، ثمَّ قال له: كُنْ فَيكُون، فهو مخلوق بالكلمة، وأمَّا عليٌّ فهو مخلوقٌ كما خُلِق سائر النَّاس.

و«كَلِمَة التَّقوى» مثل: «لا إله إلَّا اللَّه»، و«اللَّه أكبر»[٣].

---

(١) الموضوعات لابن الجوزي (١/ ٣٨٨).

(٢) هو: أبو نُعَيْم أحمد بن عبد اللَّه بن أحمد الأصبهانيُّ، الشَّافعيُّ، ولد سنة (٣٣٦هـ)، تاج المُحَدِّثين، وأحد أعلام الدِّين، توفي رحمه الله سنة (٤٣٠هـ). الوافي بالوفيات (٧/ ٥٢)، طبقات الشَّافعيَّة الكبرى (٤/ ١٨).
وقد رواه في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (١/ ٦٦)، من حديث أبي بَرْزَة الأسلميِّ رضي الله عنه.

(٣) منهاج السُّنَّة النَّبويَّة (٣/ ١٨، ١٩).

٥ - حَدِيثُ النَّجْمِ: «مَنِ انْقَضَّ[(١)] هَذَا النَّجْمُ فِي مَنْزِلِهِ فَهُوَ الوَصِيُّ مِنْ بَعْدِي، فَطَلَبُوا ذَلِكَ النَّجْمَ فَوَجَدُوهُ فِي بَيْتِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، فَقَالَ أَهْلُ مَكَّةَ: ضَلَّ مُحَمَّدٌ وَغَوَى وَهَوِيَ أَهْلَ بَيْتِهِ، وَمَالَ إِلَى ابْنِ عَمِّهِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ؛ فَعِنْدَ ذَلِكَ نَزَلَتْ هَذِهِ السُّورَةُ ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۞ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ﴾ [النجم: ١-٢]»:

قال أبو الفرج[(٢)]: «هذا حَدِيثٌ مَوْضُوعٌ لا شكَّ فيه، وما أبرد الذي وضعه! وما أبعد ما ذَكَر! وفي إسناده ظلمات...»[(٣)].

قلتُ[(٤)]: «وقد أَجابَ الشَّيخ عنه بثمانية أوجه...»[(٥)].

---

(١) أي: سقط. الصحاح (٣/ ١١٠٢).

(٢) هو: أبو الفرج عبد الرَّحْمَن بن عليِّ بن مُحمَّد ابن الجوزيِّ، الحنبليُّ، ولد سنة (٥١٠هـ)، حافظٌ مُفَسِّرٌ، شيخُ وقته، وإمامُ عصره، توفي رحمه الله سنة (٥٩٧هـ). سير أعلام النبلاء (٢١/ ٣٦٥)، ذيل طبقات الحنابلة (٢/ ٤٦١).

(٣) الموضوعات (١/ ٣٧٣).

(٤) أي: الوالد رحمه الله.

(٥) قال الوالد رحمه الله: «تركتها اختصاراً. منهاج السُّنَّة النَّبويَّة (٤/ ١٧-١٩)».

٦ - **حَدِيثُ: «أَنَا مَدِينَةُ العِلْمِ وَعَلِيٌّ بَابُهَا»:**

هذا أَضعفُ وأَوْهَى؛ ولهذا إِنَّما يُعَدُّ في المَوْضُوعَات والمَكْذُوبَات - وإِنْ كان التِّرمذيُّ قد رواه[(١)] -؛ ولهذا ذكره ابن الجوزيِّ في المَوْضُوعات[(٢)]، وبيَّن أَنَّ سائرَ طُرُقِه مَوْضُوعَة.

والكَذِب يُعرَفُ مِنْ نَفْس مَتْنِه؛ فإِنَّ النَّبيَّ ﷺ إذا كان مدينة العِلم، ولم يكن لها إِلَّا بابٌ واحدٌ، ولم يُبلِّغ عنه العِلم إِلَّا واحد؛ فَسَد أمرُ الإسلام[(٣)].



(١) أبواب المناقب، رقم (٣٧٢٣)، من حديث عليٍّ رضي الله عنه ولفظه: «أَنَا دَارُ الحِكْمَةِ وَعَلِيٌّ بَابُهَا»، قال التِّرمذيُّ رحمه الله: «هذا حديثٌ غريبٌ مُنكَرٌ، ورَوَى بعضُهم هذا الحديثَ عن شريكٍ، ولم يذكروا فيه عن الصُّنابِحيِّ، ولا نعرف هذا الحديثَ عن أحدٍ من الثِّقات غير شريكٍ».

(٢) (١/ ٣٥٣).

(٣) منهاج السُّنَّة النَّبويَّة (٤/ ١٣٨، ١٣٩)، مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٤/ ٤٠٨، ٤١٣).
قال الوالد رحمه الله: «أَمَّا حديث: (لَا يَزَالُ هَذَا الدِّينُ قَائِماً إِلَى اثْنَيْ عَشَرَ خَلِيفَةً)، فقد بيَّن الشَّيخ رحمه الله أَنَّه ينطبق على أبي بَكرٍ، وعُمرَ، وعُثمانَ، وعَليٍّ، ومُعاويةَ، وابنِه يَزيد، وعبد الملك بن مروان، وأولاده الأربعة، وبينهم عمر بن عبد العزيز. بحث (آلُ رَسولِ اللَّه ﷺ وأَولِيَاؤُه - موقف أهل السُّنَّة والشِّيعَة مِنْ عقائدهم وفضائلهم وفقههم وفقهائهم -)؛ مطبوع عام (١٤١٢هـ)»، وقد حَقَّقتُه وأعدتُ طباعته عام (١٤٤٥هـ).
والحديث رواه أبو داود، كتاب المهديِّ، رقم (٤٢٧٩)، من حديث جابر بن سمرة رضي الله عنهما، ولفظه: «لَا يَزَالُ هَذَا الدِّينُ قَائِماً حَتَّى يَكُونَ عَلَيْكُمُ اثْنَا عَشَرَ خَلِيفَةً، كُلُّهُمْ تَجْتَمِعُ عَلَيْهِ الأُمَّةُ، فَسَمِعْتُ كَلَاماً مِنَ النَّبِيِّ ﷺ لَمْ أَفْهَمْهُ، قُلْتُ لِأَبِي: مَا يَقُولُ؟ قَالَ: كُلُّهُمْ مِنْ قُرَيْشٍ».
ورواه بنحوه البخاري، كتاب الأحكام، باب الاستخلاف، رقم (٧٢٢٢)، ومسلم، كتاب الإمارة، باب النَّاس تَبَعٌ لقريش، والخلافة في قريش، رقم (١٨٢١)، ولفظه: «لَا يَزَالُ هَذَا الأَمْرُ عَزِيزاً إِلَى اثْنَيْ عَشَرَ خَلِيفَةً».

الإِجْمَاعُ عَلَى إِمَامَةِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

* مُبَايَعَتُهُ فِي السَّقِيفَةِ:

أَجْمَع الصَّحابةُ على أَفضليَّة الصِّدِّيق، وأنَّه أَحقُّ بالخِلَافَة، ووَلَّوْه باختيارهم ورضاهم مِنْ غَيرِ أنْ يَضربَ أحداً منهم بسيفٍ ولا عصاً، ولا أَعطَى أَحداً ممَّنْ ولَّاه مالاً.

وقال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بمَحضرِ المهاجرين والأنصار: «أَنْتَ خَيْرُنَا وَسَيِّدُنَا وَأَحَبُّنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»[1]، ولم يُنكِرْ منهم مُنكِرٌ، ولا قال أحدٌ من الصَّحابة: إنَّ غيرَ أبي بَكرٍ مِنَ المهاجرين أَحقُّ بالخِلَافَة منه.

ولهذا قال عُمرُ بن الخطَّاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - في خُطْبَتِه التي خَطَبَها بمَحضرٍ من المهاجرين والأنصار -: «وَلَيْسَ فِيكُمْ مَنْ تُقْطَعُ إِلَيْهِ الأَعْنَاقُ مِثْلُ أَبِي بَكْرٍ» رواه البخاريُّ[2] ومُسلمٌ[3].

---

(١) رواه البخاري، كتاب أصحاب النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، باب قول النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذاً خَلِيلاً»، رقم (٣٦٦٨)، من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٢) كتاب الحدود، باب رجم الحبلى من الزِّنى إذا أُحصنت، رقم (٦٨٣٠)، من حديث ابن عبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٣) روى مسلم قطعة من خطبة عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وليس فيها اللَّفظ المذكور، كتاب الحدود، باب رجم الثَّيِّب في الزِّنى، رقم (١٦٩١)، من حديث ابن عبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.
قال الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومعنى (تُقْطَعُ إِلَيْهِ الأَعْنَاقُ): أنَّ السَّابقَ منكم الذي لا يُلْحَق في الفَضْلِ لا يَصِل إلى منزلة أبي بَكرٍ، وعبَّر بقوله: (تُقْطَعُ إِلَيْهِ الأَعْنَاقُ)؛ لكون النَّاظر إلى السَّابق تمتدُّ عنقه لينظر، فإذا لم يحصل مقصوده مِن سَبْقِ مَنْ يريد سَبْقَه قيل: انقطعت عنقه. شرح صحيح البخاري للخطَّابي (٤/ ٢٢٩٧)» فتح الباري لابن حجر (١٢/ ١٥٠).

وبايَعَهُ مَنْ حَضَر من المهاجرين والأنصار في سَقِيفَة بني سَاعِدَة[١]، فروى البخاريُّ عن ابن عبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا في خطبة عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - التي خطب بها مرجعه من الحجِّ في آخر عمره - وفيها قوله: «ثُمَّ إِنَّهُ بَلَغَنِي أَنَّ قَائِلاً مِنْكُمْ يَقُولُ: وَاللَّهِ، لَوْ مَاتَ عُمَرُ لَبَايَعْتُ فُلَاناً، فَلَا يَغْتَرَّنَّ امْرُؤٌ أَنْ يَقُولَ: إِنَّمَا كَانَتْ بَيْعَةُ أَبِي بَكْرٍ فَلْتَةً[٢] وَتَمَّتْ، أَلَا وَإِنَّهَا قَدْ كَانَتْ كَذَلِكَ؛ وَلَكِنَّ اللَّهَ وَقَى شَرَّهَا، وَلَيْسَ فِيكُمْ مَنْ تُقْطَعُ الأَعْنَاقُ إِلَيْهِ مِثْلُ أَبِي بَكْرٍ، مَنْ بَايَعَ رَجُلاً مِنْ غَيْرِ مَشُورَةٍ مِنَ المُسْلِمِينَ، فَلَا يُبَايَعُ هُوَ وَلَا الَّذِي بَايَعَهُ؛ تَغِرَّةً أَنْ يُقْتَلَا[٣].

وَإِنَّهُ قَدْ كَانَ مِنْ خَبَرِنَا حِينَ تَوَفَّى اللَّهُ نَبِيَّهُ ﷺ أَنَّ الأَنْصَارَ خَالَفُونَا وَاجْتَمَعُوا بِأَسْرِهِمْ فِي سَقِيفَةِ بَنِي سَاعِدَةَ، وَخَالَفَ عَنَّا عَلِيٌّ وَالزُّبَيْرُ وَمَنْ مَعَهُمَا، وَاجْتَمَعَ المُهَاجِرُونَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ، فَقُلْتُ لِأَبِي بَكْرٍ: يَا أَبَا بَكْرٍ، انْطَلِقْ بِنَا إِلَى إِخْوَانِنَا هَؤُلَاءِ مِنَ الأَنْصَارِ.

فَانْطَلَقْنَا نُرِيدُهُمْ، فَلَمَّا دَنَوْنَا مِنْهُمْ لَقِيَنَا مِنْهُمْ رَجُلَانِ صَالِحَانِ، فَذَكَرَا مَا تَمَالَأَ عَلَيْهِ القَوْمُ[٤]، فَقَالَا: أَيْنَ تُرِيدُونَ يَا مَعْشَرَ المُهَاجِرِينَ؟

---

(١) بنو ساعدة: حيٌّ من الأنصار، وهم: بنو ساعدة بن كعب بن الخزرج بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو. المغانم المُطَابة (٢/ ٨٤٣)، نهاية الأَرَب في معرفة أنساب العرب (ص٢٨٠).

(٢) أي: فجأة. غريب الحديث لأبي عبيد (٣/ ٣٥٦).

(٣) قال الوالد رَحِمَهُ اللهُ: «أي: خوف وقوعهما في القتل» النهاية في غريب الحديث والأثر (٣/ ٣٥٦).

(٤) أي: ما اتَّفق عليه القوم. عمدة القاري (٢٤/ ١٠).

فَقُلْنَا: نُرِيدُ إِخْوَانَنَا هَؤُلَاءِ مِنَ الأَنْصَارِ، فَقَالَا: لَا عَلَيْكُمْ أَنْ تَقْرَبُوهُمْ، اقْضُوا أَمْرَكُمْ، فَقُلْتُ: وَاللَّهِ لَنَأْتِيَنَّهُمْ.

فَانْطَلَقْنَا حَتَّى أَتَيْنَاهُمْ فِي سَقِيفَةِ بَنِي سَاعِدَةَ، فَإِذَا رَجُلٌ مُزَمَّلٌ(١) بَيْنَ ظَهْرَانَيْهِمْ، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالُوا: هَذَا سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ، فَقُلْتُ: مَا لَهُ؟ قَالُوا: يُوعَكُ(٢).

فَلَمَّا جَلَسْنَا قَلِيلاً تَشَهَّدَ خَطِيبُهُمْ، فَأَثْنَى عَلَى اللَّهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ فَنَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ، وَكَتِيبَةُ الإِسْلَامِ، وَأَنْتُمْ مَعْشَرَ المُهَاجِرِينَ رَهْطٌ(٣)، وَقَدْ دَفَّتْ دَافَّةٌ مِنْ قَوْمِكُمْ(٤) فَإِذَا هُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يَخْتَزِلُونَا مِنْ أَصْلِنَا(٥)، وَأَنْ يَحْضُنُونَا مِنَ الأَمْرِ(٦).

فَلَمَّا سَكَتَ أَرَدْتُ أَنْ أَتَكَلَّمَ، وَكُنْتُ زَوَّرْتُ(٧) مَقَالَةً أَعْجَبَتْنِي أُرِيدُ أَنْ أُقَدِّمَهَا بَيْنَ يَدَيْ أَبِي بَكْرٍ، وَكُنْتُ أُدَارِي مِنْهُ بَعْضَ الحَدِّ(٨).

---

(١) أي: مُغَطًّى. مجمع بحار الأنوار (٢/ ٤٣٦).

(٢) قال الوالد رحمه الله: «يُوعَكُ: الوَعْكُ هو: الحُمَّى، وقيل: ألمها. النهاية في غريب الحديث والأثر (٥/ ٢٠٧)».

(٣) الرَّهط: ما دون العَشرة من الرِّجال. الصحاح (٣/ ١١٢٨)، والمراد هنا: أنَّهم قِلَّة.

(٤) قال الوالد رحمه الله: «الدَّافَّة: القوم يسيرون جَمَاعَة سَيْراً ليس بالشَّديد. النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/ ١٢٤)».

(٥) قال الوالد رحمه الله: «أي: يقتطعونا ويذهبوا بنا منفردين. النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/ ٢٩)».

(٦) قال الوالد رحمه الله: «يحضنونا: أي: يُخْرِجونا. النهاية في غريب الحديث والأثر (١/ ٤٠١)».

(٧) قال الوالد رحمه الله: «زوَّرتُ: هَيَّأت وأصلحت، والتَّزوير: إصلاح الشَّيء، وكَلامٌ مُزوَّرٌ؛ أي: مُحَسَّنٌ. النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/ ٣١٨)».

(٨) قال الوالد رحمه الله: «بعض الحَدِّ: الحِدَّة كالنَّشاط، والسُّرعة في الأمور، والمَضاء فيه؛ =

فَلَمَّا أَرَدْتُ أَنْ أَتَكَلَّمَ قَالَ أَبُو بَكْرٍ: عَلَى رِسْلِكَ، فَكَرِهْتُ أَنْ أُغْضِبَهُ، فَتَكَلَّمَ أَبُو بَكْرٍ، فَكَانَ هُوَ أَحْلَمَ مِنِّي وَأَوْقَرَ؛ وَاللَّهِ مَا تَرَكَ مِنْ كَلِمَةٍ أَعْجَبَتْنِي فِي تَزْوِيرِي إِلَّا قَالَ فِي بَدِيهَتِهِ مِثْلَهَا أَوْ أَفْضَلَ مِنْهَا، حَتَّى سَكَتَ، فَقَالَ: مَا ذَكَرْتُمْ فِيكُمْ مِنْ خَيْرٍ فَأَنْتُمْ لَهُ أَهْلٌ[(١)]، وَلَنْ يُعْرَفَ هَذَا الأَمْرُ إِلَّا لِهَذَا الحَيِّ مِنْ قُرَيْشٍ؛ هُمْ أَوْسَطُ العَرَبِ نَسَباً وَدَاراً، وَقَدْ رَضِيتُ لَكُمْ أَحَدَ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ، فَبَايِعُوا أَيَّهُمَا شِئْتُمْ.

فَأَخَذَ بِيَدِي وَبِيَدِ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ الجَرَّاحِ وَهُوَ جَالِسٌ بَيْنَنَا، فَلَمْ أَكْرَهْ مِمَّا قَالَ غَيْرَهَا، كَانَ - وَاللَّهِ - أَنْ أُقَدَّمَ فَتُضْرَبَ عُنُقِي لَا يُقَرِّبُنِي ذَلِكَ مِنْ إِثْمٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَتَأَمَّرَ عَلَى قَوْمٍ فِيهِمْ أَبُو بَكْرٍ، اللَّهُمَّ إِلَّا أَنْ تُسَوِّلَ لِي نَفْسِي عِنْدَ المَوْتِ شَيْئاً لَا أَجِدُهُ الآنَ.

فَقَالَ قَائِلٌ مِنَ الأَنْصَارِ: أَنَا جُذَيْلُهَا المُحَكَّكُ[(٢)]، وَعُذَيْقُهَا

= مأخوذة من حَدِّ السَّيف، والمراد بالحِدَّة هاهنا: المَضاء في الدِّين، والصَّلاح، والقصد في الخير. النهاية في غريب الحديث والأثر (١/ ٣٥٣)».

(١) قال الوالد رحمه الله: «وقع في رواية حُمَيْد بن عبد الرَّحْمَن بيان ما قال في روايته: (فَتَكَلَّمَ أَبُو بَكْرٍ فَلَمْ يَتْرُكْ شَيْئاً أُنْزِلَ فِي الأَنْصَارِ، وَلَا ذَكَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ شَأْنِهِمْ إِلَّا ذَكَرَهُ، وَقَالَ: وَلَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: لَوْ سَلَكَ النَّاسُ وَادِياً، وَسَلَكَتِ الأَنْصَارُ وَادِياً، لَسَلَكْتُ وَادِيَ الأَنْصَارِ.

وَلَقَدْ عَلِمْتَ يَا سَعْدُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ - وَأَنْتَ قَاعِدٌ -: قُرَيْشٌ وُلَاةُ هَذَا الأَمْرِ، فَبَرُّ النَّاسِ تَبَعٌ لِبَرِّهِمْ، وَفَاجِرُهُمْ تَبَعٌ لِفَاجِرِهِمْ، فَقَالَ لَهُ سَعْدٌ: صَدَقْتَ، نَحْنُ الوُزَرَاءُ، وَأَنْتُمُ الأُمَرَاءُ)» رواها أحمد في المسند، رقم (١٨).

(٢) قال الوالد رحمه الله: «تصغير جِذْلٍ: عود يُنْصَبُ للإبل الجرباء لِتَحتكَّ عليه، أراد أنَّه يُستشفى برأيه، تصغير تعظيم، وكذلك قوله: عُذَيْق» النهاية في غريب الحديث والأثر (١/ ٢٥١).

المُرَجَّبُ[١]؛ مِنَّا أَمِيرٌ، وَمِنْكُمْ أَمِيرٌ - يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ -.

فَكَثُرَ اللَّغَطُ، وَارْتَفَعَتِ الأَصْوَاتُ حَتَّى فَرِقْتُ[٢] مِنَ الِاخْتِلَافِ، فَقُلْتُ: ابْسُطْ يَدَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ.

فَبَسَطَ يَدَهُ، فَبَايَعْتُهُ وَبَايَعَهُ المُهَاجِرُونَ، ثُمَّ بَايَعَهُ الأَنْصَارُ، وَنَزَوْنَا عَلَى سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ[٣]، فَقَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ: قَتَلْتُمْ سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ، فَقُلْتُ: قَتَلَ اللَّهُ سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ.

قَالَ عُمَرُ: وَإِنَّا وَاللَّهِ مَا وَجَدْنَا فِيمَا حَضَرْنَا مِنْ أَمْرٍ أَقْوَى مِنْ مُبَايَعَةِ أَبِي بَكْرٍ، خَشِينَا إِنْ فَارَقْنَا القَوْمَ وَلَمْ تَكُنْ بَيْعَةٌ أَنْ يُبَايِعُوا رَجُلاً مِنْهُمْ بَعْدَنَا، فَإِمَّا بَايَعْنَاهُمْ عَلَى مَا لَا نَرْضَى، وَإِمَّا أَنْ نُخَالِفَهُمْ فَيَكُونَ فَسَادٌ».

ومعنى قَولِ عُمرَ: «كَانَتْ مُبَايَعَةُ أَبِي بَكْرٍ فَلْتَةً؛ وَلَكِنْ وَقَى اللَّهُ شَرَّهَا»: أنَّ بَيعةَ أبي بَكرٍ بُودِر إليها مِنْ غَيرِ تَريُّثٍ، ولا انتظارٍ؛ لكونِه كان مُتعيِّناً لهذا الأمر، كما قال عمر: «لَيْسَ فِيكُمْ مَنْ تُقْطَعُ إِلَيْهِ الأَعْنَاقُ مِثْلُ أَبِي بَكْرٍ».

وكان ظهورُ فضيلةِ أبي بَكرٍ على مَنْ سواه، وتقديمُ رَسولِ اللَّه ﷺ

---

(١) قال الوالد رحمه الله: «تصغير عَذْق، المُرَجَّب: أي: يدعم النَّخلة إذا كثر حملها» النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/ ١٩٧).

(٢) قال الوالد رحمه الله: «الفَرَق: الفزع والخوف» لسان العرب (١٠/ ٣٠٥).

(٣) قال الوالد رحمه الله: «أي: وطؤوه ووقعوا عليه. النهاية في غريب الحديث والأثر (٥/ ٤٤)».

له على سائر الصَّحابة أَمراً ظاهراً معلوماً، فكانت دلالة النُّصوص على تعيينه تُغني عن مُشاورةٍ وانتظارٍ وتَريُّثٍ، بخلاف غيره.

وهو لم يسأل وقاية شرِّها؛ بل أخبر أنَّ اللَّهَ وقى شرَّ الفتنة بالإجماع، وما جرى يوم السَّقيفة لا يُعَدُّ نِزاعاً؛ لأنَّهم ما انفضَّوا حتَّى اتَّفقوا[١].

(١) منهاج السُّنَّة النَّبويَّة (٣/ ١١٩، ١٢٠، ١٨٦، ١١٣)، (٤/ ٢١٦، ٢١٧)، (١/ ٣٦).

* مُبَايَعَةُ العَامَّةِ لَهُ عَلَى المِنْبَرِ:

في صحيح البُخاريِّ[(١)]، عن أنسٍ ﷺ: «أَنَّهُ سَمِعَ خُطْبَةَ عُمَرَ الأَخِيرَةَ[(٢)] حِينَ جَلَسَ عَلَى المِنْبَرِ، وَذَلِكَ الغَدَ مِنْ يَوْمِ تُوُفِّيَ النَّبِيُّ ﷺ، فَتَشَهَّدَ وَأَبُو بَكْرٍ صَامِتٌ لَا يَتَكَلَّمُ، قَالَ: كُنْتُ أَرْجُو أَنْ يَعِيشَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى يَدْبُرَنَا - يُرِيدُ بِذَلِكَ أَنْ يَكُونَ آخِرَهُمْ - فَإِنْ يَكُ مُحَمَّدٌ ﷺ قَدْ مَاتَ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ جَعَلَ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ نُوراً تَهْتَدُونَ بِهِ بما هَدَى اللَّهُ مُحَمَّداً ﷺ.

وَإِنَّ أَبَا بَكْرٍ صَاحِبُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ثَانِيَ اثْنَيْنِ، فَإِنَّهُ أَوْلَى المُسْلِمِينَ بِأُمُورِكُمْ، فَقُومُوا فَبَايِعُوهُ.

وَكَانَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ قَدْ بَايَعُوهُ قَبْلَ ذَلِكَ فِي سَقِيفَةِ بَنِي سَاعِدَةَ، وَكَانَتْ بَيْعَةُ العَامَّةِ عَلَى المِنْبَرِ.

قَالَ الزُّهْرِيُّ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ: سَمِعْتُ عُمَرَ يَقُولُ لِأَبِي بَكْرٍ يَوْمَئِذٍ: اصْعَدِ المِنْبَرَ.

فَلَمْ يَزَلْ بِهِ حَتَّى صَعِدَ المِنْبَرَ، فَبَايَعَهُ النَّاسُ عَامَّةً».

---

(١) كتاب الأحكام، باب الاستخلاف، رقم (٧٢١٩).

قال الوالد ﷺ: «وفي صحيح البُخاريِّ، كتاب أصحاب النَّبيِّ ﷺ، باب قول النَّبيِّ ﷺ: «لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذاً خَلِيلاً»، رقم (٣٦٦٩)، عن عائشة - في هذه القصَّة - قالت: (مَا كَانَ مِنْ خُطْبَتِهِمَا مِنْ خُطْبَةٍ إِلَّا نَفَعَ اللَّهُ بِهَا، لَقَدْ خَوَّفَ عُمَرُ النَّاسَ، وَإِنَّ فِيهِمْ لَنِفَاقاً، فَرَدَّهُمُ اللَّهُ بِذَلِكَ، ثُمَّ لَقَدْ بَصَّرَ أَبُو بَكْرٍ النَّاسَ الهُدَى، وَعَرَّفَهُمُ الحَقَّ الَّذِي عَلَيْهِمْ)».

(٢) قال الوالد ﷺ: «وكان قد خطب بعد وفاة النَّبيِّ ﷺ، فأَنْكر وَفَاته».

وقد رُوِي عنه أنَّه قال: «أَقِيلُونِي»[(١)][(٢)].



(١) رواه أحمد في فضائل الصَّحابة (١/ ١٥١)، رقم (١٣٣).

(٢) منهاج السُّنَّة النَّبويَّة (٣/ ١٢٠).

قال الوالد رحمه الله: «وقد تقدَّم ذِكْر خطبة أبي بَكرٍ بعد البَيْعَة (ص٢١٧).

وعن ربيعة - أحد الصَّحابة - قال: (قُلْتُ لِأَبِي بَكْرٍ: مَا حَمَلَكَ أَنْ تَلِيَ أَمْرَ النَّاسِ وَقَدْ نَهَيْتَنِي أَنْ أَتَأَمَّرَ عَلَى اثْنَيْنِ؟ قَالَ: لَمْ أَجِدْ مِنْ ذَلِكَ بُدّاً، خَشِيتُ عَلَى أُمَّةِ مُحَمَّدٍ الفُرْقَةَ.

وفي رواية: تَخَوَّفْتُ أَنْ تَكُونَ فِتْنَةٌ تَكُونُ بَعْدَهَا رِدَّةٌ) تاريخ الخلفاء للسُّيوطيِّ (ص٥٨)، مختصر السِّيرة للشَّيخ مُحمَّد بن عبد الوهَّاب (ص٢٥٢)».

وَتَخَلَّفَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ رضي الله عنه

والأنصارُ تكلَّم بَعضُهُم بكلامٍ أَنْكَرَه عليهم أَفاضِلُهُم - كأُسَيْد بن حُضَيْر، وعبَّادِ بن بِشْرٍ[١]، وغيرهما - ممَّنْ هو أَفضلُ مِنْ سَعْدٍ نَفْساً وبَيْتاً.

فإنَّه ثَبَتَ عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «خَيْرُ دُورِ الأَنْصَارِ: دَارُ بَنِي النَّجَّارِ، ثُمَّ بَنُو عَبْدِ الأَشْهَلِ[٢]، ثُمَّ بَنُو الحَارِثِ بْنِ الخَزْرَجِ[٣]، ثُمَّ بَنُو سَاعِدَةَ، وَفِي كُلِّ دُورِ الأَنْصَارِ خَيْرٌ»[٤].

فالدُّور الثَّلاثة المُفضَّلة لم يُعرَف عنهم مَنْ نَازع في الإمامة، وإنَّما نَازع سعدُ بنُ عُبادة، والحُبَاب بنُ المنذر[٥]، وطائفة قليلة، ثمَّ رجع هؤلاء

---

(١) هو: أبو بِشر عبَّاد بن بِشر بن وقش الأشهليُّ الأنصاريُّ رضي الله عنه، أَسلَم بالمدينة على يد مُصعبِ بن عُمَيْر رضي الله عنه، شَهِد بَدْراً والمَشاهدَ كلَّها، واستشهد يوم اليمامة، وهو ابن (٤٥) سنة. الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٢/ ٨٠١)، الإصابة في تمييز الصَّحابة (٣/ ٤٩٦).

(٢) هم: بنو عبد الأشهل بن جشم؛ بَطْنٌ من بني النَّبِيت من الأوس. نهاية الأَرَب في معرفة أنساب العرب (ص٣٤٢).

(٣) هم: بنو الحارث بن الخزرج؛ بَطْنٌ من الخَزْرَج. نهاية الأَرَب في معرفة أنساب العرب (ص٤٥).

(٤) رواه البخاري، باب فضل دُور الأنصار، رقم (٣٧٨٩)، ومسلم، كتاب فضائل الصَّحابة رضي الله عنهم، باب في خير دُور الأنصار رضي الله عنهم، رقم (٢٥١١)، من حديث أبي أُسَيْد رضي الله عنه.

(٥) هو: أبو عمرو الحُباب بن المنذر بن الجموح السُّلميُّ الأنصاريُّ رضي الله عنه، شَهِد بَدْراً، والمَشاهدَ كلَّها، كان يُقالُ له: ذو الرَّأي، توفي في خلافة عمر رضي الله عنه. الاستيعاب في معرفة الأصحاب (١/ ٣١٦)، أُسْد الغابة في معرفة الصَّحابة (١/ ٤٣٦).

وبايعوا الصِّدِّيق، إلَّا سعد بن عبادة؛ لأنَّهم عيَّنوه للإمارة، فبقِيَ في نَفسِه ما يبقى في نفوس البشر، فلم يُؤذِه أبو بَكرٍ بكلمة، فَضلاً عن فعلٍ.

وما ذكره الشَّهْرَسْتانيُّ[١] مِنْ أنَّ الأنصارَ اتَّفقوا على تَقديمِ سعد بن عبادة[٢] هو: باطلٌ باتِّفاق أهل المعرفة بالنَّقل، والأحاديثُ الثَّابتة بخلاف ذلك[٣].

ولكنَّ سعداً مع ذلك لم يُعارِض، ولم يَدفع حقّاً، ولا أَعانَ على باطلٍ؛ بل روى الإمام أحمد رحمه الله في مسند الصِّدِّيق[٤]: عن أبي عوانة[٥]، عن داود بن عبد اللَّه الأوديِّ[٦]، عن حُمَيد بن عبد الرَّحْمَن

(١) هو: أبو الفتح مُحمَّد بن عبد الكريم بن أحمد الشَّهْرستانيُّ الشَّافعيُّ، ولد سنة (٤٦٧هـ)، شيخُ أهل الكلام والحكمة، وصاحب التَّصانيف؛ منها: كتاب «المِلَل والنِّحَل»، توفي رحمه الله سنة (٥٤٨هـ). سير أعلام النبلاء (٢٠/ ٢٨٦)، طبقات الشَّافعيَّة لابن قاضي شُهْبة (١/ ٣٢٣).

(٢) المِلَل والنِّحَل (١/ ٢٢).

(٣) قال الوالد رحمه الله: «وأخرج النَّسائيُّ، رقم (٧٧٧)، وأبو يعلى، والحاكم في المستدرك وصحَّحه (٣/ ٧٠)، رقم (٤٤٢٣)، عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: (لَمَّا قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَتِ الأَنْصَارُ: مِنَّا أَمِيرٌ، وَمِنْكُمْ أَمِيرٌ، فَأَتَاهُمْ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ رضي الله عنه فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ، أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَدْ أَمَرَ أَبَا بَكْرٍ أَنْ يَؤُمَّ النَّاسَ؟ فَأَيُّكُمْ تَطِيبُ نَفْسُهُ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَبَا بَكْرٍ؟ فَقَالَتِ الأَنْصَارُ: نَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ نَتَقَدَّمَ أَبَا بَكْرٍ) تاريخ الخلفاء للسُّيوطيِّ (ص٥٦)».

(٤) رقم (١٨).

(٥) هو: أبو عوانة يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم النَّيسابوريُّ الإسفراييني، ولد بعد سنة (٢٣٠هـ)، إمامٌ حافظٌ جَوَّالٌ، صاحبُ كتاب «المسند الصَّحيح» الذي خَرَّجه على صحيح مسلم، توفي رحمه الله سنة (٣١٦هـ). وفيات الأعيان (٦/ ٣٩٣)، سير أعلام النبلاء (١٤/ ٤١٧).

(٦) هو: أبو العلاء داود بن عبد اللَّه الأوديُّ الكوفيُّ، ثقة. تهذيب الكمال (٨/ ٤١١)، تقريب التَّهذيب (ص١٩٩).

- هو الحِمْيَرِيُّ[(١)] - فذكر حديث السَّقِيفَة، وفيه: أنَّ الصِّدِّيقَ قَالَ: «وَلَقَدْ عَلِمْتَ يَا سَعْدُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ - وَأَنْتَ قَاعِدٌ -: قُرَيْشٌ وُلَاةُ هَذَا الأَمْرِ، فَبَرُّ النَّاسِ تَبَعٌ لِبَرِّهِمْ، وَفَاجِرُهُمْ تَبَعٌ لِفَاجِرِهِمْ، قَالَ: فَقَالَ سَعْدٌ: صَدَقْتَ، نَحْنُ الوُزَرَاءُ، وَأَنْتُمُ الأُمَرَاءُ»، فهذا الحديث مُرسَلٌ حَسَنٌ، ولعلَّ حُمَيْداً أَخذَه عن بعض الصَّحابة الذين شَهِدوا ذلك.

وفيه فائدة جليلة جدّاً، وهي: أنَّ سَعدَ بن عُبادةَ نزَلَ عن مقامه الأوَّل في دعوى الإمارة، وأَذْعَنَ للصِّدِّيق بالإمارة، فرضي اللَّه عنهم أجمعين.

وسَعدُ بن عُبادةَ لم يقدح في الصِّدِّيق، ولا أنَّه أفضل المهاجرين، ومات ولم يُبايِعْهُ، ولا بايَعَ عُمَرَ، ومات في خلافة عمر.

وسعد كان رجلاً صالحاً، من السَّابقين الأوَّلين من الأنصار من أهل الجَنَّة؛ كما قالت عائشة رضي الله عنها[(٢)].

ومَنْ نَازع من الأنصار أوَّلاً لم تَكُنْ مُنازَعَته للصِّدِّيق؛ بل طلبوا

---

(١) هو: حُمَيْد بن عبد الرَّحْمَن الحِمْيَرِيُّ البصريُّ، شيخٌ ثقةٌ عالمٌ، قال ابن سيرين: «كان حُمَيْد بن عبد الرَّحْمَن أعلم أهل المِصْرَين - يعني: الكوفة والبصرة -»، توفي رحمه الله في حدود سنة (٩٠هـ). سير أعلام النبلاء (٤/ ٢٩٣)، الوافي بالوفيات (١٣/ ١١٨).

(٢) كما في حديث الإفك قالت: «فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الخَزْرَجِ، وَكَانَتْ أُمُّ حَسَّانَ بِنْتَ عَمِّهِ مِنْ فَخِذِهِ، وَهُوَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ، وَهُوَ سَيِّدُ الخَزْرَجِ، قَالَتْ: وَكَانَ قَبْلَ ذَلِكَ رَجُلاً صَالِحاً، وَلَكِنِ احْتَمَلَتْهُ الحَمِيَّةُ...» رواه البخاري، رقم (٤١٤١)، ومسلم، رقم (٢٧٧٠).

أن يكون من قريشٍ أميرٌ ومنهم أميرٌ، فلَمَّا تبيَّن أنَّ هذا الأمر في قريش قطعوا المنازعة[(١)].



(١) منهاج السُّنَّة النَّبويَّة (٢/ ٢٣٩)، (٤/ ٢١٤، ٢٢٦)، (٣/ ٢٦٩، ١٥).

وَتَخَلَّفَ عَلِيٌّ ﷺ وَبَعْضُ بَنِي هَاشِمٍ، ثُمَّ بَايَعُوهُ

عَلِيٌّ وطائفةٌ مِنْ بني هاشم قيل: إنَّها تَخلَّفت عن مُبَايَعَتِه، فقيل: بَايَعُوه ثاني يوم، وقيل: تأخَّروا عن بَيْعَتِه ستَّة أشهر[(١)]، ثمَّ بايعوه مِنْ غَيرِ رَغبةٍ ولا رَهبةٍ، لم يُزعِجهم، ولا ألزَمَهُم بَيْعَتَه، وهذا كلُّه من وَرَعِه عن أذى الأمَّة، وكمالِ عَدْله وتَقْوَاه.

والرِّسالة التي يَذكُرها بعض الكتَّاب[(٢)] أنَّه أرسلها إلى عليٍّ كَذِبٌ مُخْتَلَق عند أهل العِلم؛ بل عَلِيٌّ أرسل إلى أبي بَكرٍ: «أَنِ ائْتِنَا»، فذهب هو إليهم؛ فاعتذر عَلِيٌّ إليه وبَايَعَهُ، ففي الصَّحيحَيْن[(٣)]: عن عائشة ﷺ قالت: «أَرْسَلَتْ فَاطِمَةُ إِلَى أَبِي بَكْرٍ ﷺ تَسْأَلُهُ مِيرَاثَهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ[(٤)] مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي المَدِينَةِ، وَفَدَكٍ[(٥)]، وَمَا بَقِيَ مِنْ خُمُسِ خَيْبَرَ.

---

(١) الكامل في التاريخ (٢/ ١٨٧)، تاريخ الإسلام (٢/ ٥).

(٢) ذكرها شهاب الدِّين النُّويريُّ والقلقشنديُّ ﷺ. نهاية الأَرَب في فنون الأدب (٧/ ٢١٥)، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء (١/ ٢٨٤).

(٣) رواه البخاري، كتاب أصحاب النَّبيِّ ﷺ، باب مناقب قرابة رسول اللَّه ﷺ، ومنقبة فاطمة ﷺ بنت النَّبيِّ ﷺ، رقم (٣٧١١)، (٣٧١٢)، ومسلم، باب قول النَّبيِّ ﷺ: «لَا نُورَثُ، مَا تَرَكْنَا فَهُوَ صَدَقَةٌ»، رقم (١٧٥٩).

(٤) قال الوالد ﷺ: «تطلب صدقة النَّبيِّ التي بالمدينة».

(٥) قال الوالد ﷺ: «وتقدَّم (ص١٩٩) ما يتعلَّق بفَدَك، وأنَّه أزالَ الخِلَاف فيها».

فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رضي الله عنه: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: لَا نُورَثُ، مَا تَرَكْنَا صَدَقَةٌ، إِنَّمَا يَأْكُلُ آلُ مُحَمَّدٍ مِنْ هَذَا المَالِ[١]، وَإِنِّي وَاللَّهِ، لَا أُغَيِّرُ شَيْئاً مِنْ صَدَقَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَنْ حَالِهَا الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهَا فِي عَهْدِهِ، وَإِنِّي لَسْتُ تَارِكاً شَيْئاً كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَعْمَلُ بِهِ إِلَّا عَمِلْتُ بِهِ؛ إِنِّي أَخْشَى إِنْ تَرَكْتُ شَيْئاً مِنْ أَمْرِهِ أَنْ أَزِيغَ.

فَوَجَدَتْ[٢] فَاطِمَةُ عَلَى أَبِي بَكْرٍ فَهَجَرَتْهُ فَلَمْ تُكَلِّمْهُ حَتَّى تُوُفِّيَتْ - وَعَاشَتْ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ سِتَّةَ أَشْهُرٍ -، فَلَمَّا تُوُفِّيَتْ دَفَنَهَا عَلِيٌّ لَيْلاً، وَلَمْ يُؤْذِنْ بِهَا أَبَا بَكْرٍ، وَصَلَّى عَلَيْهَا عَلِيٌّ، وَكَانَ لِعَلِيٍّ وَجْهٌ مِنَ النَّاسِ حَيَاةَ فَاطِمَةَ[٣]، فَلَمَّا مَاتَتْ؛ اسْتَنْكَرَ عَلِيٌّ وُجُوهَ النَّاسِ؛ فَالْتَمَسَ مُصَالَحَةَ أَبِي بَكْرٍ وَمُبَايَعَتَهُ، وَلَمْ يَكُنْ بَايَعَ تِلْكَ الأَشْهُرَ، فَأَرْسَلَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ: أَنِ ائْتِنَا وَلَا يَأْتِنَا مَعَكَ أَحَدٌ؛ كَرَاهِيَةَ مَحْضَرِ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ.

فَقَالَ عُمَرُ لِأَبِي بَكْرٍ: وَاللَّهِ، لَا تَدْخُلُ عَلَيْهِمْ وَحْدَكَ.

فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَمَا عَسَاهُمْ أَنْ يَفْعَلُوا بِي؟ وَاللَّهِ، لَآتِيَنَّهُمْ.

فَدَخَلَ عَلَيْهِمْ أَبُو بَكْرٍ، فَتَشَهَّدَ عَلِيٌّ؛ ثُمَّ قَالَ: إِنَّا قَدْ عَرَفْنَا فَضِيلَتَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ وَمَا أَعْطَاكَ اللَّهُ، وَلَمْ نَنْفَسْ عَلَيْكَ[٤] خَيْراً سَاقَهُ اللَّهُ

---

(١) قال الوالد رحمه الله: «يعني: مال اللَّه؛ ليس لهم أنْ يزيدوا على المأكل». عمدة القاري (١٦/ ٢٢٢).

(٢) أي: غضبت. مجمع بحار الأنوار (٥/ ١٣٥).

(٣) أي: له وجاهة عند النَّاس؛ لأنَّه زوج بنت رسول اللَّه ﷺ.

(٤) أي: نحسدك أو نزاحمك. غريب الحديث للخطَّابي (٢/ ٣١).

إِلَيْكَ، وَلَكِنَّكَ اسْتَبْدَدْتَ بِالأَمْرِ عَلَيْنَا[(١)]، وَكُنَّا نَرَى أَنَّ لَنَا فِيهِ حَقّاً لِقَرَابَتِنَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَلَمْ يَزَلْ يُكَلِّمُ أَبَا بَكْرٍ حَتَّى فَاضَتْ عَيْنَا أَبِي بَكْرٍ.

فَلَمَّا تَكَلَّمَ أَبُو بَكْرٍ قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَقَرَابَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَحَبُّ إِلَيَّ أَنْ أَصِلَ مِنْ قَرَابَتِي، وَأَمَّا الَّذِي شَجَرَ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ مِنْ هَذِهِ الأَمْوَالِ؛ فَإِنِّي لَمْ آلُ عَنِ الحَقِّ، وَلَمْ أَتْرُكْ أَمْراً رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَصْنَعُهُ فِيهَا إِلَّا صَنَعْتُهُ.

فَقَالَ عَلِيٌّ لِأَبِي بَكْرٍ: مَوْعِدُكَ العَشِيَّةَ لِلْبَيْعَةِ.

فَلَمَّا صَلَّى أَبُو بَكْرٍ صَلَاةَ الظُّهْرِ؛ رَقِيَ المِنْبَرَ فَتَشَهَّدَ، وَذَكَرَ شَأْنَ عَلِيٍّ وَتَخَلُّفَهُ عَنِ البَيْعَةِ، وَعُذْرَهُ الَّذِي اعْتَذَرَ بِهِ، ثُمَّ اسْتَغْفَرَ.

وَتَشَهَّدَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، فَعَظَّمَ حَقَّ أَبِي بَكْرٍ، وَأَنَّهُ لَمْ يَحْمِلْهُ عَلَى الَّذِي صَنَعَ نَفَاسَةً عَلَى أَبِي بَكْرٍ، وَلَا إِنْكَاراً لِلَّذِي فَضَّلَهُ اللَّهُ بِهِ؛ وَلَكِنَّا كُنَّا نَرَى أَنَّ لَنَا فِي الأَمْرِ نَصِيباً، فَاسْتَبَدَّ عَلَيْنَا بِهِ؛ فَوَجَدْنَا فِي أَنْفُسِنَا.

فَسُرَّ بِذَلِكَ المُسْلِمُونَ، وَقَالُوا: أَصَبْتَ، فَكَانَ المُسْلِمُونَ إِلَى عَلِيٍّ قَرِيباً حِينَ رَاجَعَ الأَمْرَ المَعْرُوفَ»[(٢)].

---

(١) أي: انفردتَ بالأمر دوننا، واختصصتَ به. مشارق الأنوار (١/ ٨٠).

(٢) منهاج السُّنَّة النَّبويَّة (٤/ ٢٣٠-٢٣٢، ٢١٤)، (٣/ ١٧١).

قُلتُ(١): «وَتَقدَّم(٢) قول الشَّيخ رحمه الله: أنَّ أهل السُّنَّة لا يُنازِعون في كمال عليٍّ، وأنَّه في الدَّرجة العُلْيَا من الكمال؛ وإنَّما النِّزاعُ في كونه أَكملَ من الثَّلاثة، وأَحقَّ بالخِلَافَة منهم».



(١) أي: الوالد رحمه الله.
(٢) (ص١٠٩، ٢٩٠).

الإِجْمَاعُ المُعْتَبَرُ فِي الإِمَامَةِ

لا ريب أنَّ الإجماعَ الـمُعتبَر في الإمامة لا يَضُرُّ فيه تَخلُّف الواحد، والاثنين، والطَّائفة القلِيلَة؛ فإنَّه لو اعتُبِر ذلك لم يَكَدْ يَنعقِد إجماعٌ على إمامة، فإنَّ الإمامةَ أَمرٌ مُعيَّنٌ، فقد يَتَخَلَّف الرَّجل لهوى لا يُعْلَم.

بخلاف الإجماع على الأَحكامِ العَامَّة - كالإيجاب والتَّحريم والإباحة -؛ فإنَّ هذا لو خالف فيه الواحد أو الاثنان؛ ففيه قولان للعلماء، أحدهما: لا يُعْتَدُّ بخِلَافِه[1]، والثَّاني: يُعْتَدُّ به - وهو قول الأكثرين[2] -.

والفَرْق بينه وبين الإمامة: أنَّ الحُكمَ عامٌّ، يتناول هذا وهذا؛ فإنَّ القائل بوجوب الشَّيء يُوجِبه على نفسه، وعلى غيره، فالمُنازِع فيه ليس متَّهماً.

والخِلَافَة لا يُشترَط فيها إلَّا اتِّفاقُ أَهلِ الشَّوكة والجمهور الذي يقام بهم الأمر؛ بحيث يمكن أنْ يُقامَ بهم مَقصودُ الإمامة؛ ولهذا قال

(١) وهو قول ابن جرير الطَّبريِّ ﷺ، ورواية للإمام أحمد ﷺ. الإحكام لابن حزم (٤/ ١٤٥)، العُدَّة لأبي يعلى (٤/ ١١١٨).

(٢) وهو قول الجمهور، منهم: الأئمَّة الأربعة ﷺ. العُدَّة لأبي يعلى (٤/ ١١١٧)، أصول السرخسي (١/ ٣١٦)، شرح تنقيح الفصول (ص٣٣٥).

النَّبِيُّ ﷺ: «عَلَيْكُمْ بِالجَمَاعَةِ، فَإِنَّ يَدَ اللَّهِ مَعَ الجَمَاعَةِ»[١]، وقال: «إِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ الوَاحِدِ، وَهُوَ مَعَ الاِثْنَيْنِ أَبْعَدُ»[٢]، وقال: «إِنَّ الشَّيْطَانَ ذِئْبُ الإِنْسَانِ كَذِئْبِ الغَنَمِ، وَالذِّئْبُ إِنَّمَا يَأْخُذُ القَاصِيَةَ[٣]»[٤]، وقال: «عَلَيْكُمْ بِالسَّوَادِ الأَعْظَمِ، وَمَنْ شَذَّ؛ شَذَّ فِي النَّارِ»[٥][٦].



(١) رواه الطَّبراني في المعجم الكبير (١٢/ ٤٤٧)، رقم (١٣٦٢٣)، من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.
(٢) رواه أحمد في المسند، رقم (١١٤)، من حديث عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٣) أي: المُنفرِدة عن القطيع، البعيدة عنه. النهاية في غريب الحديث والأثر (٤/ ٧٥).
(٤) رواه أحمد في المسند، رقم (٢٢٠٢٩)، من حديث معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٥) رواه الحاكم في المستدرك (١/ ٩٩)، رقم (٣٩٢)، من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.
(٦) منهاج السُّنَّة النَّبويَّة (٤/ ٢٣١، ٢٣٢)، (١/ ١٩٠).

حَتَّى وَلَوْ لَمْ يَثْبُتِ الإِجْمَاعُ عَلَى خِلَافَةِ الصِّدِّيقِ

الكلام في خِلَافَة الصِّدِّيق: إمَّا أنْ يَكونَ في وجودها، وإمَّا أنْ يَكونَ في اسْتِحْقَاقِه لها.

أمَّا الأوَّل: فمعلوم بالتَّواترِ واتِّفاقِ النَّاس بأنَّه تولَّى الأمر، وقام مقام الرَّسول ﷺ، وخَلَفه في أُمَّته، وأقام الحدود، واسْتَوْفَى الحقوق، وقاتَل الكفَّار والمرتدِّين، وولَّى الأعمالَ، وقَسَم الأموال، وفعل جميع ما فعل الإمام؛ بل هو أوَّل مَن باشر الإمامةَ في الأمَّة.

وأمَّا إنْ أُريدَ بإمامته: كونه مُستحقّاً لذلك؛ فهذا عليه أدلَّة كثيرة[١]، غير الإجماع.

وحينئذٍ فالإجماع لا يُحتاج إليه في الأُولى، ولا في الثَّانية، وإن كان الإجماع أمراً حاصلاً[٢].



(١) كما سبق في مبحث: (الصِّدِّيقُ ﵁ خَلَفُ الرَّسُولِ ﷺ وَهُوَ أَحَقُّ بِخِلَافَتِهِ) (ص٢٤٦)، وما بعده.

(٢) منهاج السُّنَّة النَّبويَّة (٤/ ٢٣٢).

انْعَقَدَتْ خِلَافَةُ الصِّدِّيقِ بِالكِتَابِ وَالحَدِيدِ

الدِّين الحقُّ لا بدَّ فيه من الكتاب الهادي، والسَّيفِ النَّاصر؛ كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحديد: ٢٥].

فالكتاب يُبَيِّن ما أمر اللَّه به وما نهى عنه، والسَّيف ينصر ذلك ويُؤَيِّده.

وأبو بَكرٍ ثَبَت بالكتاب والسُّنَّة أنَّ اللَّه أمَرَ بمبَايَعَتِه، والذين بايعوه كانوا أهل السَّيف المُطِيعِين للَّه في ذلك، فانعقدت خلافة النُّبوَّة في حقِّه بالكتاب والحديد(١).



(١) منهاج السُّنَّة النَّبويَّة (١/ ١٩٠، ١٩١).

أَعْمَالُ أَبِي بَكْرٍ بَعْدَ الِاسْتِخْلَافِ، وَهِيَ مِنْ فَضَائِلِهِ رضي الله عنه

قام رضي الله عنه مَقام رسولِ اللَّه صلى الله عليه وسلم، ولم يُخِلَّ بشيء، كما قال عن نفسه: «إِنِّي لَسْتُ تَارِكاً شَيْئاً كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَعْمَلُ بِهِ إِلَّا عَمِلْتُ بِهِ؛ إِنِّي أَخْشَى إِنْ تَرَكْتُ شَيْئاً مِنْ أَمْرِهِ أَنْ أَزِيغَ»(١).

وعلى وجه التَّفصيل: قام من الأعمال الجليلة بالأعمال الآتية:

١ - ثَبَّتَ المُسْلِمِينَ وَقَوَّاهُمْ:

أَهْلُ مدينةِ رسولِ اللَّه صلى الله عليه وسلم أَسلَمُوا طوعاً - المهاجرون منهم والأنصار -، وهم قاتلوا النَّاس على الإسلام، ولهذا لم يرتدَّ مِن أهل المدينة أحدٌ؛ بل ضَعُف أغلبهم بموت النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم، وذلَّت(٢) أنفسهم عن الجهاد على دينه حتى ثبَّتهم اللَّه وقوَّاهم بأبي بكرٍ رضي الله عنه، والذي أيَّد اللَّه به الإسلام في حياة رسوله، وحَفِظه به بعد مماته، فاللَّه يجزيه عن الإسلام وأهلِه خير الجزاء.

قال أنسٌ رضي الله عنه: «خَطَبَنَا أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه وَكُنَّا كَالثَّعَالِبِ، فَمَا زَالَ

---

(١) قال الوالد رحمه الله: «يشير إلى قوله: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣]».
سبق تخريجه (ص٣٢٠).

(٢) أي: خضعت. لسان العرب (١١/ ٢٥٧).

يُشَجِّعُنَا حَتَّى صِرْنَا كَالأُسُودِ»[١][٢].

٢ - قَاتَلَ المُرْتَدِّينَ:

الذين ارتدُّوا بعد موت النَّبيِّ ﷺ إنَّما كانوا ممَّنْ أَسلَمُوا بالسَّيف؛ كأصحاب مُسَيْلِمَة[٣] وأهلِ نَجْدٍ، وتواتر عند النَّاس أنَّ الذي قاتَل أهل الرِّدَّة هو أبو بَكرٍ الصِّدِّيق وأَصحَابُه:

قاتَل مُسَيْلِمَةَ الكذَّاب - المُدَّعي للنُّبوَّة - وأَتباعَه بني حَنِيفَة[٤] وأهلَ اليمامة[٥]، وقد قيل: إنَّهم مئة ألف أو أكثر.

وقاتَل طُليحة الأسديَّ[٦] - وكان قد ادَّعى النُّبوَّة بنَجْدٍ -، واتَّبَعَه

(١) سبق ذِكْره (ص١٨٢).

(٢) منهاج السُّنَّة النَّبويَّة (٤/ ١٣٧، ١٢٩، ٥٨، ٥٩، ١٦٥).

(٣) هو: أبو ثُمامة مُسَيلِمة بن ثمامة بن كبير الحَنفيُّ الوائليُّ، لُقِّب بـ«مُسَيْلِمَة الكذَّاب»، قُتِل سنة (١٢هـ). الرَّوض الأُنُف (٧/ ٤٠٠)، الكامل في التاريخ (٢/ ٢١٤).

(٤) هم: حيٌّ من بَكر بن وائل من العدنانيَّة، ومنازلهم اليمامة. نهاية الأَرَب في معرفة أنساب العرب (ص٢٣٨).

(٥) اليمامة: إقليمٌ واسعٌ وسط السُّعوديَّة، وقد طغى اسم نَجدٍ على اسم اليمامة، وأصبحت اليمامة محصورة في مدينة صغيرة جنوب الرِّياض لا زالت تُسمَّى بها، تبعد عن الرِّياض خمسة وثمانين (٨٥) كيلومتراً. معجم البلدان (٥/ ٤٤٢)، آثار البلاد وأخبار العباد (ص١٣١)، القاموس المحيط (ص١١٧٣).

(٦) هو: طُلَيْحَةُ بن خُوَيلد بن نَوْفَل الأسديُّ، أَسلَم ثمَّ ارتدَّ بعد وفاة النَّبيِّ ﷺ، ثمَّ أَسلَم بعد وفاة أبي بَكرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، واستشهد يوم نهاوند. أُسْد الغابة في معرفة الصَّحابة (٢/ ٤٧٧)، سير أعلام النبلاء (١/ ٣١٦).

من أسد(١) وغطفان(٢) ما شاء اللَّه.

وادَّعت النُّبوَّةَ: سَجَاحُ(٣)؛ امرأة تزوَّجها مُسَيْلِمَة الكذَّاب، فتزوَّج الكذَّاب بالكذَّابة.

وأيضاً: كان من العرب مَن ارتدَّ عن الإسلام، لم يتَّبع متنبِّئاً كذَّاباً.

وقد ذكر أئمَّة التَّفسير(٤) أنَّ قولَه تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤] أنَّهم أبو بكر وعمر، ومَن تبِعَهما مِن أهل اليمن وغيرهم.

فمِنْ أَعظمِ فضائل الصِّدِّيق عند الأمَّة - أوَّلهم وآخرهم -: أنَّه قاتَل المُرتدِّين، وأَعظمُ النَّاس رِدَّة كان بنو حَنِيفَة، ولم يَكنْ قِتالُه لهم

---

(١) هم: حيٌّ من بني خُزَيْمَة بن مُدْرِكة من العدنانيَّة، بلادهم ممَّا يلي الكرخ مِنْ أَرضِ نَجدٍ في مجاورة طيٍّ. نهاية الأَرَب في معرفة أنساب العرب (ص٣٧).

(٢) هم: بَطْنٌ من قيس عيلان من العدنانيَّة، منازلهم ممَّا يلي وادي القرى وجبليْ طيٍّ: أجأ وسلمى، ثمَّ تفرَّقوا بعد الفتوحات. نهاية الأَرَب في معرفة أنساب العرب (ص٣٨٨).

(٣) هي: سَجَاح بنت الحارث التَّميميَّة التي ادَّعت النُّبوَّة زمن الرِّدَّة، وتبعها قوم، ثمَّ صَالَحَتْ مُسَيْلِمَة وتَزوَّجَتْه، ثمَّ بعد قتله عادت إلى الإسلام فأَسْلَمَتْ، وعاشت إلى خلافة معاوية رضي الله عنه. الكامل في التاريخ (٢/ ٢١٠-٢١٢)، تاريخ ابن خلدون (٢/ ٤٩٩).

(٤) تفسير الطَّبري (٨/ ٥٢١)، تفسير ابن أبي حاتم (٤/ ١١٦٠).
قال الوالد رحمه الله: «وأخرج البيهقيُّ عن الحسن البصريِّ في قوله تعالى: ﴿مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ﴾ الآية [المائدة: ٥٤]، قال: (هو - واللَّه - أَبُو بَكرٍ وأَصحابُه لَمَّا ارتدَّت العرب؛ جَاهَدَهُم أبو بَكرٍ وأَصحابُه حتى ردُّوهم إلى الإسلام) تاريخ الخلفاء للسُّيوطيِّ (ص٥٤)».

على منع الزَّكاة؛ بل قاتَلَهم على أنَّهم آمنوا بمُسَيْلِمَة الكذَّاب[١].

٣ - قَاتَلَ مَانِعِي الزَّكَاةِ:

وأمَّا الذين قاتلهم على منع الزَّكاة فأولئك ناسٌ آخَرُون امتنعوا مِنْ أَدائِها بالكلِّيَّة؛ فقاتلهم على هذا، لم يقاتلهم ليُؤَدُّوها إليه.

وقد حَصَل لعُمرَ أوَّلاً شُبهة في قتالهم، حتى نَاظَرَه الصِّدِّيق وبيَّن له وجوب قتالهم، فرجع إليه - والقصَّة في ذلك مشهورة -، ففي الصَّحيحَيْن[٢]: عن أبي هريرة أنَّ عُمرَ قال لأبي بَكرٍ: «كَيْفَ تُقَاتِلُ النَّاسَ؛ وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَإِذَا قَالُوهَا؛ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ؟!

قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَلَمْ يَقُلْ: إِلَّا بِحَقِّهَا؟ فَإِنَّ الزَّكَاةَ مِنْ حَقِّهَا، وَاللَّهِ لَوْ مَنَعُونِي عَنَاقاً[٣] كَانُوا يُؤَدُّونَهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَقَاتَلْتُهُمْ عَلَى مَنْعِهَا.

قَالَ عُمَرُ: فَوَاللَّهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ رَأَيْتُ أَنْ قَدْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَ أَبِي بَكْرٍ لِلْقِتَالِ، فَعَرَفْتُ أَنَّهُ الحَقُّ».

---

(١) منهاج السُّنَّة النَّبويَّة (٤/ ١٢٩، ٥٨، ٥٩، ٢٢٨).

(٢) رواه البخاري، كتاب استتابة المرتدِّين والمعانِدين وقتالهم، باب قتل مَن أَبَى قَبول الفرائض وما نسبوا إلى الرِّدَّة، رقم (٦٩٢٤)، (٦٩٢٥)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال النَّاس حتى يقولوا: لا إله إلَّا اللَّه مُحمَّد رسول اللَّه، رقم (٢٠).

(٣) العَنَاق: الأُنْثَى من أولاد المعز إذا أَتَت عليها سَنَة. غريب الحديث لابن الجوزي (٢/ ١٣١).

وعُمرُ احتجَّ بما بلَغَه أو سمِعَه مِنَ النَّبيِّ ﷺ، فبيَّن له الصِّدِّيق أنَّ قوله: «بِحَقِّهَا» يتناول الزَّكاة؛ فإنَّها حقُّ المال.

وفي الصَّحيحَيْن(١): عن ابن عُمرَ رضي الله عنهما، عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَإِنِّي رَسُولُ اللَّهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ؛ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا».

فهذا اللَّفظ الثَّاني الذي قاله الرَّسول ﷺ بيَّن فِقه أبي بَكرٍ، وهو صَريحٌ في القتال على أداء الزَّكاة، وهو مُطابِق للقرآن، قال اللَّه تعالى: ﴿فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ۚ﴾ [التوبة: ٥]، فعَلَّق تخلية السَّبيل على الإيمان وإقام الصَّلاة وإيتاء الزَّكاة، وأقرَّ أولئك بالزَّكاة بعد امتناعهم منها(٢).

(١) رواه البخاري، كتاب الإيمان، باب ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ۚ﴾، رقم (٢٥)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال النَّاس حتى يقولوا: لا إله إلَّا اللَّه مُحمَّد رسول اللَّه، رقم (٢٢).

(٢) منهاج السُّنَّة النَّبويَّة (٤/ ١٣٧، ١٢٩، ٥٨، ٥٩، ١٦٥، ٢٢٨، ٢٢٩).

٤ - رَاسَلَ أَهْلَ الرِّدَّةِ:

لَمَّا ركِب الصِّدِّيق في الجيوش شَاهِراً سَيفَه مَسْلُولاً من المدينة إلى ذي القَصَّة(١)، وعَقَدَ أحد عشر لواءً، ودَفَعَهَا إلى الأمراء، كتب معهم كتاباً؛ وهذه نُسْخَته:

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مِنْ أَبِي بَكْرٍ خَلِيفَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى مَنْ بَلَغَهُ كِتَابِي هَذَا مِنْ عَامَّةٍ وَخَاصَّةٍ، أَقَامَ عَلَى إِسْلَامِهِ، أَوْ رَجَعَ عَنْهُ.

سَلَامٌ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى.

فَإِنِّي أَحْمَدُ اللَّهَ إِلَيْكُمُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، نُقِرُّ بِمَا جَاءَ بِهِ، وَنُكَفِّرُ مَنْ أَبَى ذَلِكَ وَنُجَاهِدُهُ.

أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ اللَّهَ أَرْسَلَ مُحَمَّداً بِالحَقِّ مِنْ عِنْدِهِ إِلَى خَلْقِهِ بَشِيراً وَنَذِيراً، وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُنِيراً، لِيُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيّاً، وَيَحِقَّ القَوْلُ

---

(١) قال الوالد رحمه الله: «وهي من المدينة على مرحلة» معجم البلدان (٤/ ٣٦٦).
قلتُ: «وهي أرضٌ فضاءٌ شرقَ المدينة، تبعد عنها خمسة وستِّين (٦٥) كيلومتراً، جنوب شرق الصُّويدرة؛ سمِّيت بذلك لقَصَّةٍ في أرضه - والقَصَّة: الجِصُّ الذي يبنى به -». معجم ما استعجم (٣/ ١٠٧٦)، ما اتَّفق لفظه وافترق مُسمَّاه من الأمكنة (ص٧٧٩)، معجم البلدان (٤/ ٣٦٦)، مراصد الاطلاع (١/ ٢١١)، البداية والنهاية (٩/ ٤٤٥)، معجم المعالم الجغرافية (ص٢٥٥)، المعالم الأثيرة (ص٥٠).

عَلَى الكَافِرِينَ، فَهَدَى اللَّهُ بِالحَقِّ مَنْ أَجَابَ إِلَيْهِ، وَضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَنْ أَدْبَرَ عَنْهُ، حَتَّى صَارَ إِلَى الإِسْلَامِ طَوْعاً أَوْ كَرْهاً.

ثُمَّ تَوَفَّى اللَّهُ رَسُولَهُ ﷺ، وَقَدْ نَفَذَ لِأَمْرِ اللَّهِ، وَنَصَحَ لِأُمَّتِهِ، وَقَضَى الَّذِي عَلَيْهِ، وَكَانَ اللَّهُ قَدْ بَيَّنَ لَهُ ذَلِكَ، وَلِأَهْلِ الإِسْلَامِ فِي الكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ فَقَالَ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠]، وَقَالَ: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٤]، وَقَالَ لِلْمُؤْمِنِينَ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤].

فَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ مُحَمَّداً فَإِنَّ مُحَمَّداً قَدْ مَاتَ، وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ، وَلَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ، حَافِظٌ لِأَمْرِهِ، مُنْتَقِمٌ مِنْ عَدُوِّهِ.

وَإِنِّي أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَحَظِّكُمْ وَنَصِيبِكُمْ، وَمَا جَاءَكُمْ بِهِ نَبِيُّكُمْ ﷺ، وَأَنْ تَهْتَدُوا بِهُدَاهُ، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِدِينِ اللَّهِ، فَإِنَّ كُلَّ مَنْ لَمْ يَهْدِهِ اللَّهُ ضَالٌّ، وَكُلَّ مَنْ لَمْ يُعِنْهُ مَخْذُولٌ، وَمَنْ هَدَاهُ غَيْرُ اللَّهِ كَانَ ضَالّاً، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾ [الكهف: ١٧]، وَلَمْ يُقْبَلْ لَهُ عَمَلٌ حَتَّى يُقِرَّ بِهِ، وَلَمْ يُقْبَلْ لَهُ فِي الآخِرَةِ صَرْفٌ وَلَا عَدْلٌ(١).

(١) الصَّرْف: التَّوبة، والعَدْل: الفدية. الصحاح (٥/ ١٧٦١).

وَقَدْ بَلَغَنِي رُجُوعُ مَنْ رَجعَ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ بَعْدَ أَنْ أَقرَّ بالإِسْلَامِ، وَعَمِلَ بِهِ؛ اغْتِرَاراً بِاللَّهِ وَجَهْلاً بِأَمْرِهِ، وَإِجَابَةً لِلشَّيْطَانِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا﴾ [الكهف: ٥٠]، وَقَالَ: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [فاطر: ٦].

وَإِنِّي بَعَثْتُ إِلَيْكُمْ فِي جَيْشٍ مِنَ المُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ، وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ، وَأَمَرْتُهُ أَنْ لَا يَقْبَلَ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا الإِيمَانَ بِاللَّهِ، وَلَا يَقْتُلَهُ حَتَّى يَدْعُوَهُ إِلَى اللَّهِ عز وجل، فَإِنْ أَجَابَ وَأَقَرَّ وَعَمِلَ صَالِحاً؛ قَبِلَ مِنْهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ، وَإِنْ أَبَى؛ حَارَبَهُ عَلَيْهِ حَتَّى يَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ، ثُمَّ لَا يُبْقِي عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ قَدِرَ عَلَيْهِ، وَأَنْ يَحْرِقَهُمْ بِالنَّارِ، وَأَنْ يَقْتُلَهُمْ كُلَّ قِتْلَةٍ، وَأَنْ يَسْبِيَ النِّسَاءَ وَالذَّرَارِيَّ، وَلَا يَقْبَلَ مِنْ أَحَدٍ غَيْرَ الإِسْلَامِ، فَمَنِ اتَّبَعَهُ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ، وَمَنْ تَرَكَهُ فَلَنْ يُعْجِزَ اللَّهَ.

وَقَدْ أَمَرْتُ رَسُولِي أَنْ يَقْرَأَ كِتَابِي فِي كُلِّ مَجْمَعٍ لَكُمْ.

وَالدَّاعِيَةُ الأَذَانُ، فَإِذَا أَذَّنَ المُسْلِمُونَ فَكُفُّوا عَنْهُمْ، وَإِنْ لَمْ يُؤَذِّنُوا فَسَلُوهُمْ مَا عَلَيْهِمْ، فَإِنْ أَبَوْا عَاجِلُوهُمْ، وَإِنْ أَقَرُّوا حَمَلَ مِنْهُمْ عَلَى مَا يَنْبَغِي لَهُمْ» رواه سيف بن عمر[(١)]، ....

(١) هو: سيف بن عمر الضَّبِّيُّ الأُسيديُّ، ويُقالُ: التَّميميُّ البُرجميُّ، ويُقالُ: السَّعديُّ الكوفيُّ، قال ابن حجرٍ: «ضَعيفٌ في الحديث، عُمدةٌ في التَّاريخ»، توفي رحمه الله في زمن الرَّشيد. ميزان الاعتدال (٢/ ٢٥٥)، تقريب التهذيب (ص٢٦٢).

عن عبد اللَّه بن سعيد(١)، عن عبد الرَّحْمَن بن كعب بن مالكٍ(٢)(٣).

---

(١) هو: عبد اللَّه بن سعيد بن ثابت الأنصاريُّ رحمه الله، استشهد أبوه بالطَّائف، وحضر هو الفتوح، وقاتل فيها. الإصابة في تمييز الصَّحابة (٤/ ٩٩).

(٢) البداية والنهاية (٩/ ٤٤٧-٤٥٠).

وعبد الرَّحْمَن بن كعب هو: أبو الخطَّاب عبد الرَّحْمَن بن كعب بن مالكٍ الأنصاريُّ المدنيُّ، ثقةٌ من كبار التَّابعين، توفي رحمه الله في خلافة سليمان بن عبد الملك. تهذيب الكمال (١٧/ ٣٦٩)، تقريب التهذيب (ص٣٤٩).

(٣) قال الوالد رحمه الله: «وبعد فراغ قِتالِ أهل الرِّدَّة بَعَثَ الصِّدِّيق خالد بن الوليد رضي الله عنهما إلى أرض البصرة فغزا الأُبُلَّة فافتتحها، وافتتح مدائن كسرى التي بالعراق صُلْحاً وحرباً، وفيها - أي: سنة اثنتي عشرة للهجرة - أَقامَ الحَجَّ أبو بكر الصِّدِّيق، ثمَّ رَجعَ فبعث عمرو بن العاص والجنود إلى الشَّام، فكانت وقعة أجنادين في جمادى الأُولى سنة ثلاث عشرة، ونُصِر المسلمون، بُشِّر بها أبو بَكرٍ وهو في آخر رَمَق. تاريخ الخلفاء للسُّيوطيِّ (ص٦٢)».

٥ - أَنْفَذَ جَيْشَ أُسَامَةَ رضي الله عنه:

جهَّز رَسولُ اللَّه ﷺ جَيشَ أُسامة قبل أنْ يمرض؛ أمَّره على جيشٍ عامَّتُهم المُهاجِرُون[(١)]، ورُوِيَ أنَّ عُمرَ كان ممَّن انتدب معه[(٢)]؛ لا أنَّ النَّبيَّ ﷺ عيَّن عُمرَ - ولا غيرَ عُمرَ - للخروج معه.

ولم يكن أَبُو بَكرٍ في جَيشِ أُسامةَ باتِّفاق أهل العِلم؛ بل كان النَّبيُّ ﷺ اسْتَخْلَفَه مِنْ حين مَرِضَ إلى أنْ مات.

كان ذلك الجيش ثلاثة آلاف، وأَمَره أن يُغِير[(٣)] على أهل مُؤْتَة[(٤)] وجانبِ فلسطين، حيث أصيب أَبُوه وجعفر[(٥)] وابن رواحة رضي الله عنهم، فتجهَّز أُسامة للغزو، فدعا رسول اللَّه ﷺ أسامة فقال: «اغْدُ عَلَى بَرَكَةِ اللَّهِ وَالنَّصْرِ وَالعَافِيَةِ، ثُمَّ أَغِرْ حَيْثُ أَمَرْتُكَ أَنْ تُغِيرَ.

---

(١) رواه البخاري، كتاب المغازي، باب بَعْث النَّبيِّ ﷺ أسامة بن زيد رضي الله عنهما في مرضه الذي توفِّي فيه، رقم (٤٤٦٩)، ومسلم، كتاب فضائل الصَّحابة رضي الله عنهم، باب فضائل زيد بن حارثة وأسامة بن زيد رضي الله عنهما، رقم (٢٤٢٦)، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) مغازي الواقدي (٣/ ١١١٨).

(٣) أي: يهجم. لسان العرب (٥/ ٣٦).

(٤) مُؤْتَة: مَدينةٌ جنوبَ شرقِ البحر الميِّت، جنوبَ مدينة الكرك، تَبعدُ عنها أحد عشر (١١) كيلومتراً. معجم ما استعجم (٤/ ١١٧٢)، معجم البلدان (٥/ ٢١٩)، المعالم الأثيرة (ص٢٣٧).

(٥) هو: أبو عبد اللَّه جعفر بن أبي طالب بن عبد المُطَّلب القُرشيُّ الهاشميُّ رضي الله عنه، من المهاجرين الأوَّلين، كان أَشبَه النَّاس خَلْقاً وخُلُقاً برسول اللَّه ﷺ، استشهد في غزوة مُؤْتَة سنة (٨هـ). الاستيعاب في معرفة الأصحاب (١/ ٢٤٢)، أُسْد الغابة في معرفة الصَّحابة (١/ ٣٤١).

قَالَ أُسَامَةُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَدْ أَصْبَحْتَ ضَعِيفاً، وَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ اللَّهُ قَدْ عَافَاكَ، فَأْذَنْ لِي فَأَمْكُثَ حَتَّى يَشْفِيَكَ اللَّهُ، فَإِنِّي إِنْ خَرَجْتُ وَأَنْتَ عَلَى هَذِهِ الحَالَةِ خَرَجْتُ وَفِي نَفْسِي مِنْكَ قُرْحَةٌ[1]، وَأَكْرَهُ أَنْ أَسْأَلَ عَنْكَ النَّاسَ؛ فَسَكَتَ عَنْهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ»[2].

وتُوفِّي رسول اللَّه ﷺ بعد ذلك بأيَّامٍ، فلَمَّا جلَسَ أَبُو بَكرٍ للخِلَافَة أَنفذَه مع ذلك الجيش، غير أنَّه استأذنَه في أنْ يَأْذَن لعُمرَ بن الخطَّاب في الإقامة؛ لأنَّه ذو رأيٍ نَاصحٍ للإسلام، فأَذِنَ له.

وسَارَ أُسامةُ لوجهه الذي أمَرَ رَسولُ اللَّه ﷺ، فأصاب في ذلك العدوِّ مصيبةً عظيمة، وغَنِم هو وأصحابه، وقَتلَ قاتِلَ أَبِيه، ورَدَّهم اللَّه سالمين إلى المدينة.

وكان قد أشار عليه غير واحد أنْ يَردَّ الجيش خوفاً عليهم؛ فإنَّهم خافوا أنْ يطمع النَّاس في الجيش بعد موت رسول اللَّه ﷺ، فامتنع أَبُو بَكرٍ مِنْ رَدِّ الجيش، وأَمَرَ بإنفاذِه، وقال: لا أَحُلُّ رايةً عَقَدَها رسول اللَّه ﷺ.

فلَمَّا رآهم النَّاس يغزون بعد موت رسول اللَّه ﷺ كان ذلك ممَّا أيَّد اللَّه به الدِّين، وشَدَّ به قلوب المؤمنين، وأَذلَّ به الكفَّار والمنافقين، وكان ذلك من كمال معرفة أبي بَكرٍ، وإِيمانِه، ويَقينِه، وتَدبيرِه، ورَأْيِه رضي الله عنه[3].

---

(١) أي: ألم. تاج العروس (٧/ ٤٤).

(٢) رواه البيهقي في دلائل النُّبوَّة (٧/ ٢٠٠)، عن موسى بن عقبة رحمه الله.

(٣) منهاج السُّنَّة النَّبويَّة (٣/ ١٢٢)، (٤/ ٢٧٨)، (٢/ ٢٢٦، ٢٢٤، ٢٢٥، ١٢٦، ١٢٠)، (٣/ ٢١٣)، (٤/ ١٢٦، ١٢٠).

٦ - شَرَعَ فِي قِتَالِ أَهْلِ الكِتَابِ إِلَى أَنْ يُسْلِمُوا، أَوْ يُعْطُوا الجِزْيَةَ:

بعد غزو النَّبيِّ لهم في مُؤْتَة، وبعد فراغ النَّبيِّ مِنْ قتال العرب، شَرَعَ رضي الله عنه في قتال فارس والرُّوم، ومات والمسلمون مُحاصِرو دمشق.

وهو[١] ممَّن دُعُوا إلى قتالهم في قوله تعالى: ﴿سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ﴾ [الفتح:١٦]، وأظهَرُ الأقوال في الآية: أنَّ المراد: ستُدعَوْن إلى قتالِ أولي بأس شديد أعظم من العرب - وهؤلاء هم الرُّوم والفرس -؛ لأنَّ آيةَ الجِزْيَة لم تنزل إلَّا بعد فَرَاغِ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم من قتال العرب[٢].

وأوَّلُ الدَّعوة إلى قتال الرُّوم عام مُؤْتَة، وأوَّلُ قِتالٍ كان معهم في غزوة مُؤْتَة - عام ثمانٍ قبل تَبُوك -، فقُتِل فيها أمراء المسلمين زيد، وجعفر، وابن رواحة، ورجع المسلمون كالمنهزمين.

وفي السَّنة التَّاسعة غزا النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم النَّصارى - بني الأصفر[٣] - عام تَبُوك، وأكَّد القرآنُ الأمر في عام تَبُوك، وذمَّ المُتخلِّفين عن الجهاد ذمّاً عظيماً؛ لكنَّهم لم يُقاتِلُوا النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم ولم يُسْلِموا، فلَمَّا نزلت «براءة»

(١) أي: أبو بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه.

(٢) تفسير البغوي (٢/ ٣٣٥).

(٣) بنو الأصفر هم: الرُّوم، سُمُّوا بذلك؛ لِمَا يَعْرِض لألوانهم في الغالب من الصُّفرة. جامع الأصول (١١/ ٢٧٤).

وأَمَرَه فيها بنَبْذِ العهد إلى الكفَّار، وأَمَره أنْ يقاتل أهل الكتاب حتى يُعْطُوا الجِزْيَة عن يَدٍ وهم صاغرون، وإذا قاتلَهم قَاتَلَهم حتى يُسْلِمُوا أو يُعْطُوا الجِزْيَة؛ لم يكن له حِينئذٍ أنْ يُعَاهِدَهُم بلا جِزْيةٍ، كما كان يعاهد الكفَّار من المشركين وأهلِ الكتاب قبل نزولها.

ولَمَّا أمره اللَّه بقتال أهل الكتاب حتى يُعْطُوا الجِزْيَة؛ أَخَذَ الجِزْيَة مِنَ المَجُوس[1] وصَالَحَ نَصارَى نَجْرَان[2] على الجِزْيَة.

وإذا أَمَرَه أنْ يُقاتِل أهل الكتاب حتى يُعْطُوا الجِزْيَة؛ فغيرهم أَوْلَى أنْ يُقَاتَلوا ولا يُعَاهَدُوا.

لكن في زمن الصِّدِّيق والفاروق كان لا بدَّ مِنْ أَحدِ الأمرين: إمَّا الإسلام، وإمَّا القتال، وبعد القتال أدَّوا الجِزْيَة، لم يُؤدُّوا الجِزْيَة بغيرِ قِتالٍ؛ لأنَّهم أُولُو بَأْسٍ شَديدٍ، ولا يَجوزُ مُهَادَنَتُهم[3].

ومَعلومٌ أنَّ أبا بَكرٍ وعُمرَ؛ بل وعُثمانَ - في خِلَافَتِهم - قُوتِل هؤلاء؛ وضُرِبَتِ الجِزْيَة على أهل الشَّام والعراق والمغرب، فهذه صفة الخلفاء الرَّاشدين الثَّلاثة.

---

(١) هم: عَبَدة النَّار، يَقولُون بإثبات أَصلَيْن، وهما: النُّور والظُّلمة، وزَعَمُوا أنَّ الأصلَيْن لا يَجوزُ أنْ يَكونَا قديمَيْن أَزليَّيْن؛ بل النُّور أَزَلِيٌّ، والظُّلمة مُحْدَثَة. المِلَل والنِّحَل (٢/ ٣٨)، موسوعة المِلَل والأديان (٢/ ١٧٠).

(٢) نَجْرَان: مَدينةٌ جَنوبَ غربِ السُّعوديَّة، شَرْقَ جَنوبِ مدينة أَبْهَا، تَبعدُ عنها مئتين وخمسين (٢٥٠) كيلومتراً. معجم البلدان (٥/ ٢٦٦)، آثار البلاد وأخبار العباد (ص١٢٦)، المعالم الأثيرة (ص٢٨٦).

(٣) أي: مُصَالَحَتُهُم. لسان العرب (١٣/ ٤٣٤).

فيَمتنع أنْ تكون الآية مختصَّة بغزوة مؤتة، ولا يدخل فيها قتال المسلمين في فتوح الشَّام والعراق والمغرب وخُرَاسَان(١)، وهي الغزوات التي أظهر اللَّه فيها الإسلام، وظهر الهدى ودين الحقِّ في مشارق الأرض ومغاربها.

وإذا قيل: إنَّه دَخَل فيها قِتالُ المُرتدِّين؛ لأنَّهم يُقاتَلون أو يُسْلِمُون، كان أَوجَهَ مِنْ أنْ يُقالَ المراد: قِتال مكَّة، وأهل حنين.

وأبو بَكرٍ دعاهم إلى قِتالِ المُرتدِّين، ثمَّ قِتالِ فارس والرُّوم، وكذلك عُمرُ دعاهم إلى قِتالِ فارس والرُّوم، وعُثمانُ دعاهم إلى قِتالِ البَرْبَر(٢) ونَحوِهم(٣).

وقد حصل الاسْتِخْلَاف في الأرض في زمنِ أبي بَكرٍ، وعُمرَ، وعُثمانَ رَضِيَ اللهُ عَنهُم، وتَمكَّن الدِّين والأمن بعد الخوف لَمَّا قَهَرُوا فارس

---

(١) خُرَاسان: إقليم واسع، يحدُّه من الشَّمال: بحر قَزْوِين ونهر جَيحُون، ومن الجنوب: كِرْمَان، ومن الشَّرق: كَابُل، ومن الغرب: جُونقان.

ويمثِّل هذا الإقليم: شمال غرب أفغانستان، وأجزاء من جنوب تركمانستان، إضافة إلى مقاطعة خراسان الحالية شمال شرق إيران. معجم البلدان (٢/ ٣٥٠)، مراصد الاطِّلاع (١/ ٤٥٥).

(٢) البَرْبَر: جِيلٌ عَظيمٌ من النَّاس ببلاد المغرب، وبعضهم بمصر، وقد اختلف في نسبهم اختلافاً كثيراً، فقيل: هم من العرب، وقيل غير ذلك. نهاية الأَرَب في معرفة أنساب العرب (ص١١٨).

(٣) قال الوالد رَحِمَهُ اللهُ: «قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: (فالصِّدِّيق هو الذي جهَّز الجيوش إليهم، وتَمَام أمرهم كان على يد عُمرَ وعُثمانَ، وهما: فَرْعَا الصِّدِّيق)»، لم أجده عند ابن كثير، وإنَّما نقله عنه السُّيوطيُّ في تاريخ الخلفاء (ص٥٤).

والرُّوم وفتحوا الشَّام والعراق ومصر وخُرَاسَان وإفريقيَّة، قال اللَّه تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾ [النور: ٥٥][1].

(١) منهاج السُّنَّة النَّبويَّة (١/ ١٠٩، ١١٠)، (٤/ ٢٧٧-٢٨١).

٧ - أَمَرَ بِجَمْعِ القُرْآنِ:

وفي سنة اثنتي عشرة: أَمرَ الصِّدِّيقُ زَيدَ بن ثابتٍ أنْ يَجْمَع القرآنَ من اللِّخَافِ[١] والعُسُب[٢] وصُدورِ الرِّجال، وذلك عندما اسْتَحَرَّ[٣] القَتلُ في القُرَّاء يوم اليمامة، كما ثَبَتَ به الحديث في صحيح البُخاريِّ[٤] عن زيد بن ثابتٍ رضي الله عنه، قال: «أَرْسَلَ إِلَيَّ أَبُو بَكْرٍ مَقْتَلَ أَهْلِ اليَمَامَةِ، فَإِذَا عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ عِنْدَهُ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه: إِنَّ عُمَرَ أَتَانِي، فَقَالَ: إِنَّ القَتْلَ قَدِ اسْتَحَرَّ يَوْمَ اليَمَامَةِ بِقُرَّاءِ القُرْآنِ، وَإِنِّي أَخْشَى أَنْ يَسْتَحِرَّ القَتْلُ بِالقُرَّاءِ بِالمَوَاطِنِ، فَيَذْهَبَ كَثِيرٌ مِنَ القُرْآنِ، وَإِنِّي أَرَى أَنْ تَأْمُرَ بِجَمْعِ القُرْآنِ.

قُلْتُ لِعُمَرَ: كَيْفَ تَفْعَلُ شَيْئاً لَمْ يَفْعَلْهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؟!

قَالَ عُمَرُ: هَذَا وَاللَّهِ خَيْرٌ، فَلَمْ يَزَلْ عُمَرُ يُرَاجِعُنِي حَتَّى شَرَحَ اللَّهُ صَدْرِي لِذَلِكَ...» الحديث[٥].

---

(١) قال الوالد رحمه الله: «وهي: الحجارة البيض الرِّقاق. النهاية في غريب الحديث والأثر (٤/ ٢٤٤)».

(٢) قال الوالد رحمه الله: «جريد النَّخل» النهاية في غريب الحديث والأثر (٣/ ٢٣٤).

(٣) أي: اشتدَّ. لسان العرب (٥/ ٨٢).

(٤) كتاب فضائل القرآن، باب جمع القرآن، رقم (٤٩٨٦).

(٥) منهاج السُّنَّة النَّبويَّة (٣/ ١٦٣)، (٤/ ٢١٤، ١٢٤).

قال الوالد رحمه الله: «وأخرج أبو يعلى عن عَلِيٍّ رضي الله عنه قال: (أَعْظَمُ النَّاسِ أَجراً فِي المَصَاحِفِ أَبُو بَكْرٍ؛ إِنَّ أَبَا بَكْرٍ كَانَ أَوَّلَ مَنْ جَمَعَ القُرْآنَ بَيْنَ اللَّوْحَيْنِ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ سَمَّاهُ مُصْحَفاً) تاريخ الخلفاء للسُّيوطيِّ (ص٦٣)».

٨ - اسْتِخْلَافُهُ عُمَرَ بَعْدَهُ:

لَمَّا عَلِم أبو بَكرٍ رضي الله عنه أنَّه ليس في الأمَّة مِثْلُ عُمرَ رضي الله عنه، وخاف أنْ لا يُوَلُّوه إذا لم يَسْتَخْلِفْه لِشِدَّته في اللَّه؛ فوَلَّاه هو؛ كان ذلك هو المصلحة للأُمَّة.

فما فَعَله صِدِّيقُ الأمَّة هو اللَّائق به، فإنَّ أَبَا بَكرٍ تبيَّن له مِنْ كمال عُمرَ وفَضلِه واسْتِحْقَاقِه للأمر ما لم يحتَجْ معه إلى الشُّورى، وظهر أثر ذلك الرَّأي الميمون على المسلمين؛ فإنَّ كلَّ عاقل مُنصِفٍ يَعلم أنَّ عُثمانَ، أو عليّاً، أو طَلحةَ، أو الزُّبَيْرَ، أو سَعْداً، أو عبد الرَّحْمَن بن عوف رضي الله عنهم؛ لا يَقومُ مَقَام عُمرَ، فكان تَعْيين عمر في الاسْتِخْلَاف كتَعْيين أبي بَكرٍ في مُبَايَعَتِهم له، ولهذا قال ابن مسعود رضي الله عنه: «أَفْرَسُ النَّاسِ ثَلَاثَةٌ: ابْنَةُ صَاحِبِ مَدْيَنَ إِذْ قَالَتْ: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُۖ إِنَّ خَيۡرَ مَنِ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡأَمِينُ﴾ [القصص: ٢٦]، وَالعَزِيزُ حِينَ قَالَ لِامْرَأَتِهِ[1]: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوۡ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدٗاۚ﴾ [يوسف: ٢١]، وَأَبُو بَكْرٍ حَيْثُ اسْتَخْلَفَ عُمَرَ»[2].

ولَمَّا اسْتَخْلَفَ عُمرَ كَره خِلَافتَه طَائفةٌ حتَّى قال له طلحة: «مَاذَا تَقُولُ لِرَبِّكَ إِذَا وَلَّيْتَ عَلَيْنَا فَظّاً غَلِيظاً؟ فَقَالَ: أَبِاللَّهِ تُخَوِّفُونِي؟! أَقُولُ:

---

(١) في المنهاج: «وَامْرَأَةُ العَزِيزِ حَيْثُ قَالَتْ».

(٢) رواه الحاكم في المستدرك (٢/ ٣٧٦)، رقم (٣٣٢٠).

وَلَّيْتُ عَلَيْهِمْ خَيْرَ أَهْلِكَ»(١)، وقد رجع طلحة عن ذلك رضي الله عنه(٢)(٣).

قُلْتُ(٤): «ويأتي بيان ما جعل اللَّه فيه من الرَّحْمَة بعد الولاية».



(١) رواه أبو نُعَيْم في تثبيت الإمامة (ص٢٧٦)، رقم (٦١)، من حديث أسماء بنت عُمَيْس رضي الله عنها.

(٢) منهاج السُّنَّة النَّبويَّة (٤/ ١٢٤)، (٣/ ٢١٤، ١٦٣، ١٦٤، ٢٦٨).

(٣) قال الوالد رحمه الله: «وتقدَّم (ص٢٣٩) قول عائشة: (... فَسُدَّ ثَلْمُهُ بِنَظِيرِهِ فِي المَرْحَمَةِ، وَشَقِيقِهِ فِي السِّيرَةِ وَالمَعْدَلَةِ، ذَاكَ ابْنُ الخَطَّابِ، لِلَّهِ أُمٌّ حَفَلَتْ لَهُ وَدَرَّتْ عَلَيْهِ، لَقَدْ أَوْحَدَتْ بِهِ، فَفَنَّخَ الكَفَرَةَ وَدَيَّخَهَا، وَشَرَّدَ الشِّرْكَ شَذَرَ مَذَرَ، وَبَعَجَ الأَرْضَ وَبَخَعَهَا...) إلخ.
وأخرج ابن سعد في الطَّبقات الكبرى (٣/ ١٥٧)، عن سعيد بن المُسَيِّب: (أَنَّ أَبَا بَكْرٍ لَمَّا مَاتَ ارْتَجَّتْ مَكَّةُ، فَقَالَ أَبُو قُحَافَةَ: مَا هَذَا؟ قَالُوا: مَاتَ ابْنُكَ، قَالَ: رِزْءٌ جَلِيلٌ، مَنْ قَامَ بِالأَمْرِ بَعْدَهُ؟ قَالُوا: عُمَرُ، قَالَ: صَاحِبُهُ) تاريخ الخلفاء للسُّيوطيِّ (ص٦٨)».

(٤) القائل: الوالد رحمه الله.

كَمَالُ سِيَاسَةِ الصِّدِّيقِ رضي الله عنه

ممَّا يدلُّ على كمال سياسة الصِّدِّيق، وأنَّه أفضل مِن كلِّ مَن وَلِي الأمَّة؛ بل وممَّن وَلِي غيرَها مِن الأُمَمِ بعد الأنبياء: أنَّه مَعلومٌ أنَّ رَسولَ اللَّه صلى الله عليه وسلم أَفضلُ الأوَّلِين والآخرين، وأَفضلُ مِنْ جَميع الخَلْق مِنْ جَميع العالَمِين، وقد ثَبَتَ في الصَّحيحَيْن[١] أنَّه قال: «كَانَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ تَسُوسُهُمُ الأَنْبِيَاءُ كُلَّمَا هَلَكَ نَبِيٌّ خَلَفَهُ نَبِيٌّ، وَإِنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي، وَسَيَكُونُ خُلَفَاءُ فَيَكْثُرُونَ.

قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَمَا تَأْمُرُنَا؟ قَالَ: فُوا[٢] بِبَيْعَةِ الأَوَّلِ فَالأَوَّلِ».

ومن المعلوم: أنَّ مَن تولَّى بعد الفاضل إذا كان فيه نقصٌ كثيرٌ عن سياسة الأوَّل؛ ظهر لك النَّقص ظهوراً بيِّناً، وهذا مَعلومٌ مِنْ حال الوُلاة إذا تولَّى مَلِك بعد ملِكٍ، أو قاضٍ بعد قاضٍ، أو شيخٌ بعد شيخٍ، أو غير ذلك؛ فإنَّ الثَّاني إذا كان ناقِصَ الولاية نقصاً بيِّناً ظهر ذلك فيه، وتغيَّرت الأمور التي كان الأوَّل قد نظَّمها وألَّفها.

---

(١) رواه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، رقم (٣٤٥٥)، ومسلم، كتاب الإمارة، باب الأمر بالوفاء ببيعة الخلفاء، الأوَّل فالأوَّل، رقم (١٨٤٢)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أَمْرٌ بالوفاء. فتح الباري لابن حجر (١/٢٠٦).

ثمَّ الصِّدِّيق تولَّى بعد أَكملِ الخَلْقِ سياسةً، فلم يظهر في الإسلام نقصٌ بوَجْهٍ مِن الوجوه؛ بل قَاتَل المُرتدِّين حتَّى عاد الأمر إلى ما كان عليه، وأدخل النَّاس في الباب الذي خرجوا منه، ثمَّ شرع في قتال الكفَّار من أهل الكتاب، وعلَّم الأمَّة ما خفي عليهم، وقوَّاهم لَمَّا ضَعُفوا، وشجَّعهم لَمَّا جبُنوا، وسار فيهم سيرةً تُوجِب صلاح دِينهم ودُنياهم، فأصلح اللَّه به الأمَّة في عِلمهم وقدوتهم ودِينهم، وكان ذلك ممَّا حفظ اللَّه به على الأمَّة دينها.

وهذا ممَّا يحقِّق أنَّه أَحقُّ النَّاس بخِلَافَة رسول اللَّه ﷺ، ولم تُعظِّم الأمَّة بعد نبيِّها أَحداً كما عظَّمت الصِّدِّيق، ولا أَطَاعَتْ أَحداً كما أَطاعَتْه؛ مِنْ غَيرِ رَغبةٍ أعطاها، ولا رَهبةٍ أخافهم بها، وهذه من خصائصه(١).



(١) منهاج السُّنَّة النَّبويَّة (٣/ ١٢٥)، (٤/ ٢١٦، ٢٥٢، ٢٩٧).

مِنْ كَمَالِ الصِّدِّيقِ ﷺ اسْتِعَانَتُهُ بِالشَّدِيدِ وَمِنْ كَمَالِ عُمَرَ ﷺ اسْتِعَانَتُهُ بِاللَّيِّنِ

كان نبيُّنا ﷺ مبعوثاً بأعدلِ الأمور وأكملِها، فهو الضَّحوك القتَّال[1]، وهو نبيُّ الرَّحمة ونبيُّ المَلْحَمة[2]؛ بل أمَّته موصوفون بذلك في مثل قوله تعالى: ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح:٢٩]، وقوله: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة:٥٤]، فكان النَّبيُّ ﷺ يَجمعُ بين شدَّة هذا ولِين هذا، فيأمر بما هو العدلُ، وهما يُطِيعان؛ فتكون أفعالهما على تمام الاستقامة.

فلَمَّا قَبض اللَّهُ نبيَّه ﷺ وكان كلٌّ منهما خليفةً على المسلمين - خلافةَ نبوَّة -، كان مِنْ كمال أبي بَكرٍ أن يُوَلِّيَ الشَّديد، ويَستعينَ به؛ ليَعْتدلَ أَمْرُه، ويخلط الشِّدَّة باللِّين - فإنَّ مُجرَّد اللِّين يُفسِد، ومجرَّد الشِّدَّة يُفسِد -، ويكون قد قام مقام النَّبيِّ ﷺ، فكان يَقومُ باستشارة عمر، وباستنابة خالد، ونحو ذلك، وهذا من كماله الذي صار به خليفة

---

(١) ذكره الواقدي في المغازي (١/ ٣٦٧)، وأبو نُعَيْم في دلائل النُّبوَّة (ص٤٩٠)، رقم (٤٢٦)، في حديث طويل، وفيه: «أَنَّ اليَهُودَ قَالُوا: إِنَّمَا صَاحِبُهَا الضَّحُوكُ القَتَّالُ».

(٢) كما في حديث أبي موسى ﷺ قال: «سَمَّى لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ نَفْسَهُ أَسْمَاءً - مِنْهَا مَا حَفِظْنَا - فَقَالَ: أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَحْمَدُ، وَالمُقَفِّي، وَالحَاشِرُ، وَنَبِيُّ الرَّحْمَةِ، - قَالَ يَزِيدُ: وَنَبِيُّ التَّوْبَةِ وَنَبِيُّ المَلْحَمَةِ -» رواه أحمد في المسند، رقم (١٩٥٢٥).

رسول اللَّه ﷺ؛ ولهذا اشتدَّ في قتال أهل الرِّدَّة شدَّةً برز بها على عُمَر وغيره، فجعل اللَّه فيه من الشِّدَّة ما لم يكن فيه قبل ذلك.

وأمَّا عمر رضي الله عنه فكان شديداً في نفسه، فكان مِنْ كماله استعانته باللِّين ليعتدل أمره، فكان يستعين بأبي عُبَيْدَة بن الجَرَّاح، وسعد بن أبي وقَّاص، وأبي عُبَيْد الثَّقفيِّ(١)، والنُّعمان بن مُقَرِّن(٢)، وسعيد بن عامرٍ(٣)، وأمثال هؤلاء مِنْ أهل الصَّلاح والزُّهد الذين هم أعظم زهداً وعبادةً من خالد بن الوليد وأمثاله.

وقد جعل اللَّه في عُمَرَ من الرَّأفة ما لم يكن فيه قبل ذلك؛ تكميلاً له، حتى صار أمير المؤمنين(٤).



(١) هو: أبو عُبَيْد بن مسعود بن عمرو بن عميرٍ الثَّقفيُّ، أَسلَم في عهد النَّبيِّ ﷺ، واسْتَعْمَلَه عمر رضي الله عنه سنة (١٣هـ)، استشهد رحمه الله يوم الجِسْر - ويُسمَّى أيضاً: «يومَ المروحة»، و«قُسَّ النَّاطِف» -. أُسْد الغابة في معرفة الصَّحابة (٥/ ٢٠٥)، قلادة النَّحر في وفيات أعيان الدَّهر (١/ ١٦٥).

(٢) هو: أبو عمرو النُّعمان بن مُقَرِّن بن عائذ المُزنيُّ رضي الله عنه، فَتَح أصبهان في زمن عمر رضي الله عنه، استشهد بنَهَاوَنْد سنة (٢١هـ). الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٤/ ١٥٠٥)، الإصابة في تمييز الصَّحابة (٦/ ٣٥٧).

(٣) هو: سعيد بن عامر بن حِذْيَم القُرشيُّ الجُمَحِيُّ رضي الله عنه، أَسلَم قبل خَيْبَر، وشَهِدَها وما بعدها، توفي سنة (١٩هـ)، وعُمُرُه أربعون سنة. الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٢/ ٦٢٤)، أُسْد الغابة في معرفة الصَّحابة (٢/ ٢٤١).

(٤) منهاج السُّنَّة النَّبويَّة (٤/ ١٥٨، ١٣١، ٢٣٩)، (٣/ ١٦٢)، وانظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٤/ ٤٥٧).

كَمَالُ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ وَعُمَرَ بْنِ عَبْدِ العَزِيزِ

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ﴾ [النساء: ٥٩]، قد فُسِّر ﴿أُوْلِي ٱلْأَمْرِ﴾ بـ: ذوي القدرة؛ كأمراء الحرب(١)، وفُسِّرَ بـ: أهل العِلم والدِّين(٢)، وكلاهما حقٌّ.

وهذان الوصفان كانا كاملَيْن في الخلفاء الرَّاشدين، فإنَّهم كانوا كامِلِين في العِلْم والعدلِ، والسِّياسة والسُّلطان؛ وإن كان بعضهم أَكمل في ذلك من بعض - فأبو بَكرٍ وعُمرُ أَكملُ في ذلك من عُثمانَ وعَلِيٍّ -، وبعدهم لم يَكمل أحدٌ في هذه الأمور إلَّا عمر بن عبد العزيز(٣).



(١) تفسير الطَّبري (٧/ ١٧٦).
(٢) تفسير الطَّبري (٧/ ١٨١).
(٣) منهاج السُّنَّة النَّبويَّة (٢/ ١٦٩).

مَنْ يَطْعَنُ عَلَى أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَغَيْرِهِمَا مِنَ الصَّحَابَةِ رضي الله عنهم

أبو بَكرٍ وعُمرُ لا تَقومُ حُجَّةٌ بأنَّهما تركا واجباً، أو فَعَلَا مُحرَّماً أصلاً[١]؛ ولا يَطْعَنُ على أبي بَكرٍ وعُمرَ إلَّا أَحد رَجلَيْن:

إمَّا رجلٌ منافقٌ زنديقٌ ملحِدٌ؛ يتوصَّل بالطَّعن فيهما إلى الطَّعن في الرَّسول ﷺ، ودين الإسلام، وهذا حال المُعلِّم الأوَّل[٢] للرَّافضة[٣] - أوَّل مَن ابتدع الرَّفض -، وحال أئمَّة الباطنيَّة[٤]؛ كما قال مالكٌ - وغيره من أهل العِلم -: «هؤلاء طَعَنُوا في أصحابِ رسول اللَّه ﷺ، إنَّما طَعَنُوا في أصحابه ليقول القائل: رَجلُ سَوْءٍ كان له أصحاب سَوْءٍ،

(١) قال الوالد رحمه الله: «وتقدَّمت هذه العبارة في موضوع (فَدَك) (ص٢٠١)».

(٢) وهو: عبد اللَّه بن سَبَأ الحِمْيَرِيُّ، أصله من أهل اليمن، كان يهوديّاً وأظهر الإسلام، وإليه تُنسَب السَّبَئِيَّة؛ وهم: الغُلاة من الرَّافضة الذين يعتقدون بإلهيَّة عليِّ بن أبي طالب رضي الله عنه. تاريخ دمشق لابن عساكر (٢٩/٣)، ميزان الاعتدال (٤٢٦/٢)، لسان الميزان (٤٨٣/٤).

(٣) الرَّافضة: طائفة زَعَمَتْ أنَّ عليّاً هو الأَحقُّ بالخِلَافَة ممَّنْ قبلَه، وغلا فيه بعضهم وادَّعَوْا فيه الأُلُوهيَّة؛ ومِنْ مُعتقداتِهِم: الإمامة، والبَرَاءَة من الخُلَفَاء الثَّلاثة، وعِصْمَة أَئمَّتهم من الخطأ، والتَّقِيَّة، وليس في الطَّوائف المُنتسِبَة إلى القِبْلَة أعظم افتراء للكذب على اللَّه وتكذيباً بالحقِّ منهم. مقالات الإسلاميين (ص٥)، منهاج السُّنَّة النَّبويَّة - ط جامعة الإمام - (٢٠/١، ٢٧، ٣٨، ٣٠٦، ٤٨٦)، (٣٤/٢)، (٣٤٥/٤).

(٤) الباطنيَّة: فِرْقَة تزعم التَّشيُّع وحُبَّ آل البيت، وتُبطِن الكفر، سُمُّوا بـ«الباطنيَّة»؛ لحُكْمِهم بأنَّ لكلِّ ظاهرٍ باطناً، ولكلِّ تنزيلٍ تأويلاً. المِلَل والنِّحَل (١٩٢/١).

ولو كان رجلاً صالحاً لكان أصحابه صالحين»[١].

وإمَّا جاهلٌ مُفْرِطٌ في الجهل والهوى، وهو الغالب على عامَّة الشِّيعَة - إذا كانوا مسلمين في الباطن -، عن جابر رضي الله عنه قال: «قِيلَ لِعَائِشَةَ: إِنَّ نَاساً يَنَالُونَ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم حَتَّى أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ، فَقَالَتْ: وَمَا تَعْجَبُونَ مِنْ هَذَا؟ انْقَطَعَ عَنْهُمُ العَمَلُ فَأَحَبَّ اللَّهُ أَنْ لَا يَقْطَعَ عَنْهُمُ الأَجْرَ»[٢]، وعن عروة قال: «قَالَتْ لِي عَائِشَةُ: يَا ابْنَ أُخْتِي، أُمِرُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِأَصْحَابِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَسَبُّوهُمْ» أخرجه مُسلمٌ[٣].

وقال الشَّيخ رحمه الله: «أصحابُ رَسولِ اللَّه صلى الله عليه وسلم جَمِيعُ ما يُطعَنُ به فيهم أَكثرُه كَذِبٌ، والصِّدق منه غايته أنْ يَكونَ ذنباً أو خطأً، والخطأ مغفورٌ لهم، والذَّنب لتكفيره أسباب متعدِّدةٌ[٤]، وكثيرٌ ممَّا يُطعَن به على

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٤/ ٤٢٩)، الصواعق المرسلة (٤/ ١٤٠٥).

(٢) رواه الخطيب في تاريخ بغداد (١٣/ ١٥١)، وابن الأثير في جامع الأصول (٨/ ٥٥٤)، رقم (٦٣٦٦).

(٣) كتاب التفسير، رقم (٣٠٢٢).

(٤) قال الوالد رحمه الله: «ذكرها الشَّيخ في منهاج السُّنَّة النَّبويَّة (٣/ ١٧٩)».

قلت: «وهي:

١ - التَّوبة.
٢ - الاستغفار.
٣ - الأعمال الصَّالحة.
٤ - دعاء المؤمنين لهم.
٥ - شفاعة النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم يوم القيامة؛ فإنَّهم أخصُّ النَّاس بدعائه وشفاعته.
٦ - ما يُفعل له بعد الموت مِنْ عَملٍ صَالحٍ؛ كالصَّدقة عنه والحجِّ عنه.
٧ - المصائب الدُّنيويَّة التي يُكَفِّر اللَّه بها الخطايا.
٨ - ما يُبتلَى به المؤمن في قبره من الضَّغطة، وفتنة المَلَكَيْن.
٩ - ما يحصل له في الآخرة من كَرْب أهوال يوم القيامة.

=

أحدهم يكون من مَحَاسِنِه وفَضائِلِه»[١].



= ١٠ - أنَّ المؤمنين إذا عبروا الصِّراط وُقِفُوا على قَنْطَرةٍ بين الجَنَّة والنَّار، فيُقتَصُّ لبعضهم من بعضٍ، فإذا هُذِّبوا ونُقُّوا أُذِن لهم في دخول الجَنَّة».

قال شيخ الإسلام: «فهذه الأسباب لا تفوت كلُّها من المؤمنين إلَّا القليل، فكيف بالصَّحابة رضوان اللَّه عليهم الذين هم خير قرون الأُمَّة؟!». منهاج السُّنَّة النَّبويَّة - ط جامعة الإمام - (٦/ ٢٣٨).

(١) منهاج السُّنَّة النَّبويَّة (٣/ ١٧٥، ١١٥، ٥٨، ٢٤١-٢٤٦، ٣٨-٤٤، ٢٥٨، ١٧٤)، (٤/ ٢٥٦)، (١/ ٢٠٥، ٤٣، ٤٤).

مُدَّةُ خِلَافَةِ أَبِي بَكْرٍ

أقام ﷺ في الخلافة سنتين وأربعة أشهر، ثمَّ توفِّي لثمانٍ بَقِين من جمادى الآخرة، سنة ثلاث عشرة، هذا قول أهل السِّيَر فيما حكاه ابنُ عبد البَرِّ(١)، وجَزَم به ابنُ إسحاق، وابنُ زَبْرٍ(٢)، وابنُ قانعٍ(٣)، وابنُ الجوزيِّ، والذَّهبيُّ(٤).

والصَّحيح أنَّه عاش ثلاثاً وستِّين سنةً، وهو قول الأكثرين(٥).



(١) هو: أبو عمر يوسف بن عبد اللَّه ابن عبد البَرِّ النَّمَرِيُّ، المالكيُّ، ولد سنة (٣٦٨هـ)، حافظٌ فقيهٌ، شيخُ علماء الأندلس وكبيرُ مُحَدِّثيها في وقته، توفي ﷺ سنة (٤٦٣هـ). ترتيب المدارك (٨/ ١٢٧)، شجرة النُّور الزَّكية في طبقات المالكية (١/ ١٧٦).

(٢) هو: أبو سليمان مُحمَّد بن عبد اللَّه ابن زَبْر الرَّبَعيُّ، الشَّيخ العالم، مُحَدِّث دمشق، توفي ﷺ سنة (٣٧٩هـ). تاريخ دمشق لابن عساكر (٥٣/ ٣١٧)، سير أعلام النبلاء (١٦/ ٤٤٠).

(٣) هو: أبو الحسين عبد الباقي بن قانع بن مرزوق الأمويُّ مولاهم، البغداديُّ، ولد سنة (٢٦٥هـ)، حافظٌ صدوقٌ، كان واسعَ الرِّحلة كثيرَ الحديث بصيراً به، توفي ﷺ سنة (٣٥١هـ). سير أعلام النبلاء (١٥/ ٥٢٦)، الوافي بالوفيات (١٨/ ٩).

(٤) الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٣/ ٩٧٧)، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم (٤/ ١٣٠)، تاريخ الإسلام (٢/ ٥٣)، طرح التثريب في شرح التقريب (١/ ٧١).

(٥) طرح التثريب في شرح التقريب (١/ ٧١).

قَبْرُهُ

أخرج ابن سعد(١) عن القاسم بن مُحمَّد(٢): «أَنَّ أَبَا بَكْرٍ أَوْصَى إِلَى عَائِشَةَ أَنْ يُدْفَنَ إِلَى جَنْبِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَلَمَّا تُوفِّيَ حُفِرَ لَهُ وَجُعِلَ رَأْسُهُ عِنْدَ كَتِفِ النَّبِيِّ ﷺ، وَأُلْصِقَ اللَّحْدُ بِقَبْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ»(٣).

وأخرج سعيد بن منصور(٤) عن سعيد بن المُسَيِّب قال: «رَأَتْ عَائِشَةُ كَأَنَّهُ وَقَعَ فِي بَيْتِهَا ثَلَاثَةُ أَقْمَارٍ، فَقَصَّتْهَا عَلَى أَبِي بَكْرٍ - وَكَانَ مِنْ أَعْبَرِ النَّاسِ - فَقَالَ: إِنْ صَدَقَتْ رُؤْيَاكِ لَيُدْفَنَنَّ فِي بَيْتِكِ خَيْرُ أَهْلِ الأَرْضِ - ثَلَاثاً -، فَلَمَّا قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ: يَا عَائِشَةُ، هَذَا خَيْرُ أَقْمَارِكِ»(٥).



---

(١) هو: أبو عبد اللَّه مُحمَّد بن سعد بن منيع البغداديُّ، ولد سنة (١٦٨هـ)، حافظٌ علَّامةٌ، كان من أوعية العِلم، توفي رحمه الله سنة (٢٣٠هـ). سير أعلام النبلاء (١٠/ ٦٦٤)، الوافي بالوفيات (٣/ ٧٥).

(٢) هو: أبو مُحمَّد القاسم بن مُحمَّد بن أبي بَكرٍ الصِّدِّيق، ولد في خلافة عَلِيٍّ رضي الله عنه، من سادات التَّابعين، وأحد الفقهاء السَّبعة، توفي رحمه الله سنة (١٠٦هـ). وفيات الأعيان (٤/ ٥٩)، سير أعلام النبلاء (٥/ ٥٣).

(٣) الطبقات الكبرى (٣/ ٢٠٩).

(٤) هو: أبو عثمان سعيد بن منصور بن شعبة الخراسانيُّ المَروزيُّ - ويُقالُ: الطَّالقانيُّ -، ثمَّ البَلْخيُّ، ثمَّ المَكِّيُّ المجاور، من الحُفَّاظ المشهورين، والعلماء المُتْقِنين، توفي رحمه الله سنة (٢٢٧هـ). سير أعلام النبلاء (١٠/ ٥٨٦)، الوافي بالوفيات (١٥/ ١٦٣).

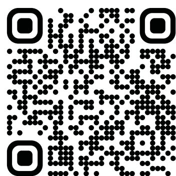
(٥) لم أقف عليه في كتب سعيد بن منصور المطبوعة، وقد رواه الحاكم في المستدرك (٣/ ٦٢)، رقم (٤٤٠٠).

وصلَّى اللَّه وسلَّم على نبيِّنا مُحمَّدٍ، وعلى آلِه وأَصحابِه أجمعين.



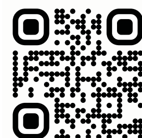
انتهيتُ من جَمْعِه وترتيبه عام:
ثمانيةٍ وأربعِ مئة وألفٍ هجريَّة
مُحمَّد بن عبد الرَّحْمَن بن مُحمَّد ابن قاسمٍ

فِهرِسُ المرَاجِعِ



فِهْرِسُ ٱلْمَوْضُوعَاتِ



مؤسَّسة طالب العلم للنَّشر والتَّوزيع
+٩٦٦ ٥٠ ٦٠ ٩٠ ٤٤٨


دار الدليقان للنَّشر والتَّوزيع

مؤسسة طالب العلم للنشر والتوزيع +٩٦٦٥٠٦٠٩٠٤٤٨

ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٠٤-٨٩٠٦-٠